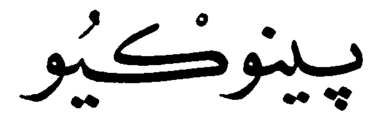

أولادنا
بينوكيو
بقلم : حمدالله سلطان
دار المعارف

أولادنا

٧



الطبعة الثامنة



١

يُحكَى أنّ . . . .

سيقول قُرّائى الصّغارُ : « يُحكى أنّ ملكا . . . » ، لا يا أصدقائى ، يُحكَى أن قطعةً من الخشب ، لم تكن أحسنَ الخشب ، بل من الخشب العادىّ ، الذى نستعمله فى الأفران والمدافئ ، لإيقاد النّار وتدفئة الغُرَف فى الشّتاء ....

كانت هذه القطعة من الخشب فى دكّان نجارٍ عجوز اسمُه السيد « أنطونيو » ، وإنْ كان الناسُ جميعاً يسمُّونه السّيد « كَرِيزة » لأن طرَف أنفِه كان دائماً أحمرَ لامعاً ، مثل « الكريزة » الناضجة تماماً بتمام .

فلما رأى السّيد « كريزة » هذه القطعةَ من الخشب سُرَّ سروراً عظيماً ، وفَرَكَ كفّيْه فرحاً وقال لنفسه :

« إن هذه الخشبة قد جاءت فى الوقت المناسب تماماً ، فهى بالضبط ما كنت أبحث عنه من زمن بعيد لكى أعمل رِجلاً لمائدتى الصغيرة .

وقام فى الحال ، فتناول قدُومه واستعدّ لنزع القشرة وتسويتها كما يريد . لكنّه عند ما رفع يده بالقَدُوم لينزل على الخشبة بالضَّرْبة الأولى ، توقّفتْ يده فى الهواء ، لأنه سمع صوتاً رفيعاً ، رفيعاً يقول له محذِّراً :

لا تضربنى بشدة !

تصوروا دهشة السيد «كريزة» فى تلك اللحظة .

لقد تلفت حوله فى الدكان خائفاً ، باحثاً عن الجهة التى يمكن أن يكون الصوت قد جاءه منها . لكنه لم ير أحداً. نظر تحت «بنكه» ... لا أحد ! فراح إلى خزانة كانت مقفلة دائماً ففتحها ونظر فيها... لكن ما من أحد ! فنظر فى سلة كان يرمى فيها النشارة وبقايا الخشب ... لا أحد ! ففتح باب الدكان ونظر خارجه ... ما من أحد ! إذن ما الحكاية ؟

وأخيراً ضحك وحك «قرعته» وقال : «آه ، فهمت ، لابد أن خيالى قد صور لى أننى أسمع هذا الصوت . فما دام الأمر كذلك ، فلنشتغل إذن ! »

وتناول قدومه ثانية ورفعه فى الهواء ثم نزل به على قطعة الخشب .

فقال الصوت الرفيع « آى ، إنك توجعنى ! »

لقد صعق السيد «كريزة» هذه المرة ، وخرجت عيناه من وجهه خوفاً وفزعاً ، وانفتح حنكه ، وتدلى لسانه فوق ذقنه ، وأصبح جامداً

كالتماثيل الموجودة في النافورات !

وبقي فترة يرجف من شدة الرعب. فلما هدأ وأمكنه أن يتكلم قال متمتماً: «ولكن من أين يجيء هذا الصوت الرفيع الذى قال: "آى!" ؟ليس فى هذا الدكان مخلوق ! أيمكن أن تكون قطعة الخشب هذه قد تعلمت البكاء والشكوى كما يبكى الأطفال ويشتكون ؟!! لا يمكننى أن أصدق هذا . إن قطعة الخشب هذه – انظر إليها ! – ليست إلا من ذلك الخشب الذى نوقد به النار، كأى قطعة أخرى ، فإن وضعتها فى النار ساعدت على غليان الماء. هل يمكن أن يكون أحد ما مختبئاً فيها ؟ ! إن كان الأمر كذلك ، فلا يلومن إلا نفسه، فإننى لا بد أن أنظر فى أمره ! ! » .

وأمسك الخشبة المسكينة بيديه الاثنتين ، وبدأ يضرب بها فى الحائط ضرباً شديداً من غير رحمة .

ثم توقف وأنصت. وبقي منصتاً دقيقتين ، لكنه لم يسمع شيئاً ... خمس دقائق ، لا شيء ! عشر دقائق .... لا شيء أبداً ! فضحك وحك « قراعته » وقال: « الآن فهمت . إن خيالى هو الذى صور لى سماع هذا الصوت الرفيع الذى قال: "آى" ! . وما دام الأمر كذلك ، فلنشتغل إذن ! »

ولما كان يشعر فى قرارة نفسه بالخوف الشديد، فقد راح يغنى تشجيعاً لنفسه .

وترك القدوم وأمسك الفارة، وبدأ يصقل الخشبة ويسويها . لكنه

ما لبث فى أثناء ذهاب الفارة ومجيئها فوق الخشبة، أن سمع ذلك الصوت الرفيع يقول ضاحكاً : « كفى ، كفى ، إنك تدغدغنى !!! »

لقد سقط السيد « كريزة » المسكين هذه المرة على الأرض من شدة الخوف . فلما فتح عينيه بعد ذلك ، كان لا يزال جالساً على الأرض ، وقد تغيرت سحنته تماماً، حتى لتصعب عليك معرفته . فطرف أنفه الذى كان دائماً لامعاً ، أصبح من شدة الخوف أزرق باهتاً .

٢

فى هذه اللحظة دق الباب .

لكن النجار لم يكن قادراً على الوقوف على قدميه فقال : « ادخل ! »

ودخل الدكان رجل صغير الجسم خفيف الحركة اسمه « جيبتو » وإن كان الأولاد من أهل تلك الجهة يسمونه السيد « عصيدة » معاكسة له ، لأن « قراعته » كانت بلونها الأصفر شبيهة بالعصيدة ....

وكان جيبتو هذا من الناس الذين يغضبون بسرعة . ويا ويل من يناديه باسمه الجديد : « عصيدة » إنه حينئذ يستشيط غضباً، فلا يستطيع أحد أن يكلمه .

قال جيبيتّو : «صباح الخير يا سيّد أنطونيو ! لماذا تجلِس على الأرض بهذه الصّورة ؟ » .

ـــ أعلم النملَ القراءة !

ـــ عال ، عال ! مباركٌ عليك .

ـــ وما الذى جاء بك إلى هنا يا سيّد جيبيتو ؟

ـــ قدماى ! هل تعرف يا سيد أنطونيو أننى جئت أطلبُ منك معروفاً ؟

فقال النجار وهو يقف على قدميه : « بكل سرور ! أنا فى خدمتك» .

ـــ لقد خطَرتْ لى هذا الصباح فكرة .

ـــ وما هى ؟

ـــ خطَر لى أنْ أصنَع « أرجوزاً » لطيفاً من الخشب ، « أرجوزاً » مُدهشاً ، « أرجوزاً » ؟ يرقص ويبارِز ويتقلّب فى الهواء ، فأدور به حولَ العالم ، فأكسِب بفضله قوتَ يومى . فما قولك فى هذا ؟

فصاح الصوت الرّفيع يقول : « مرحى ! مرحى ! أيها السيد " عصيدة " ! » .

ولما سمع جيبِتو صوتاً يناديه باسم « عصيدة » غضِب غضباً شديداً ، واحمرَّ وجهه حتى أصبح فى لون الطماطم ، والتفت بسرعة إلى النجّار وقال مُحنقاً :

ـــ كيف تهزَأ بى ؟

– من الذى هزأ بك ؟
– أنت . أسميتنى « عصيدة » .
– لا ، أبداً ، لم أقلْ لك ذلك .
– إنى متأكد من أنك أنت الذى قلت لى ذلك .
– لا !
– نعم !
– لا !
– نعم !
– لا !
– نعم!

وزاد كلٌّ منهما هِياجاً وغَضَباً ، وتضاربا . وشدَّ كلٌّ منهما « قرّاعة » زميله ، بل لقد صفَعَ كلٌّ منهما الآخر وعضَّه وأحدث بوجهه خدوشاً .

فلما انتهت المعركة وجد السّيد أنطونيو فى يده « قرّاعة » جيبيتو الصفراء ، فى حينَ كانت « قراعة » السّيد أنطونيو الرمادية اللون ، بين أسنان جيبيتو .

قال أنطونيو : أعطنى « قراعتى » !
– وأنت أعطنى « قراعتى » ، ولنتصالحْ !
ووضع كل منهما « قرّاعته » ، على رأسه ، وتصافحا .

وأراد النجار أن يبرهن لصديقه على أنهما متصافيين فقال : « والآن يا عزيزى جيبيتو ، ما الذى يمكننى أن أعمله لك ؟ » ؟

– أريد قطعة خشبٍ صغيرةً أصنع منها « أرجوزى » . فهل تعطينى ما أطلب ؟

فراح السيد أنطونيو إلى « بنكه » مسروراً ، وتناول الخشبة التى كانت سبباً فيما أصابه من فزَعٍ شديدٍ. فلما همَّ بإعطائها صديقه، اهتزّت وسقطت من يده على ساق جيبيتو المسكين ، فآلمته ألماً شديداً موجعاً .

– آىْ ! هذه يا سيد أنطونيو طريقةٌ لطيفةٌ فى تقديم الهدايا ! لقد أعرجتنى !

– أقسم لك بشرفى إننى لم أفعل ذلك !

– إذن « أنا » الذى فعلته !

– إنها قطعة الخشب هذه ... إنها غلطتها ...

– نعم . أنا أعرِف أن الخشبة خبَطتنى ؛ ولكنك أنت رميتها على ساقى !

– لا ، لم أرْمها .

– كذّاب !

– جيبِتو ، لا تشتمنى ، إنك إن شتمتنى أسميتك « عصيدة » !

– أنت مغفّل !

– « عصيدة » !

— حمار !

— « عصيدة » !

— قردٌ قبيح المنظر !

— « عصيدة » !

ولما سمع جيبتِو صاحبه يسمّيه « عصيدة » للمرة الثالثة ، غضِب غضباً شديداً وهجم عليه . وكانت بينهما معركة ثانية أشدّ من الأولى وأسوأ .

فلما انتهت ، كان بأنف السيد أنطونيو خدْشان ، وفقدَ السيد جيبتِو زرّين من أزرار سترته . . .

ثم صُفِّيَ الحساب بينهما ، وتعاهدا على أن يبقيا طول حياتهما صديقين مخلِصين متصافيين .

وأخذ جيبتِو خشبته ، وبعد أن قدَّم الشكر للسيد أنطونيو ، رجع إلى البيت وهو يعرَج .

٣

كان جيبتو يسكُن غرفة صغيرة بالطابق الأرضيّ يدخلها النور من نافذةٍ تحت السلم . كل ما فيها من أثاثٍ كرسيٌّ يكاد لا يقوَى على الوقوفَ ، وسريرٌ كسيح ومائدة تكاد تقع .

وكانت بالغرفة مِدْفأة بها نار مُوقدة ، غيرَ أنّ النار لم تكن فى الحقيقة إلا صورةً مرسومةً على الحائط ، يعلوها فى الرسم مِرْجل (غلاية) يغلِى الماء فيه . فيخرُج الدخان منه سحاباً كثيفاً يرتفع فى الجوّ كأنه بخارُ ماءٍ حقيقىّ !!!

ما إنْ وصل جيبيتو إلى بيته حتى تناول عُدَّته ، وبدأ ينحت أرجوزه .

وقال لنفسه : « ماذا أسمّيه ، أعتقِد أنّ اسم "پينوكيو" مناسبٌ . إنه اسم يجلِب لصاحبه الحظّ الحسَن . كنت أعرِف فيما مضى أسرة أعضاؤها جميعاً اسمهم پينوكيو : الأب پينوكيو والأم پينوكيو والعيال كل منهم اسمه پينوكيو ؛ ولقد عاشوا جميعاً سعداء فى أحسن حال : كان أغناهم شحّاذاً متسوّلا فقيراً مُعدِماً ....

وبعد أن اختار لأرجوزه اسمه ، راح يعمَل بهمَّة ، حتى فرَغ فى وقتٍ قصيرٍ جدًّا من صُنع شعره وجَبهته وعينيه . فلما أتمّ صُنع عينيه ....
تصوّروا دهشته حين رآهما تتحركان وتنظران إليه نظراتٍ حادةً شديدةً !

حين رأى جيبيتّو العينين الخشبيتين تنظران إليه وتراقبانه ، لم يُعجبه ذلك منهما وقال مُغضَباً : « أيتها العينان الخشبيَّتان ، لماذا تنظران إلىّ ؟ »
لكنه لم يسمَع جواباً !

وصنَع بعد العينين الأنفَ . فما إن انتهى منه حتى رآه ينمو ويكبر !

ويكبر ، ويكبر . . . حتى صار بعد دقائقَ قليلةٍ أنفاً طويلاً ، كأن ليس لطوله نهاية !

فراح المسكين يعمل فى همّة كبيرة وسرعة لإنقاص طولها . لكنه كان كلما أنقص من طولها قليلا ، زاد الأنف الوقح طولا !!!

وبعد الأنف صنع جيبيتو الفم ، لكنه ما كاد ينتهى من صُنعه حتى بدأ الفم يضحك ويهزأ به . فقال جيبيتو محتدّا غاضباً : « كفى ضحكاً ! » لكنه كان كأنما يكلم الحائط .... فصاح مهدّداً : « أقول لك كفى ضحكاً ! »

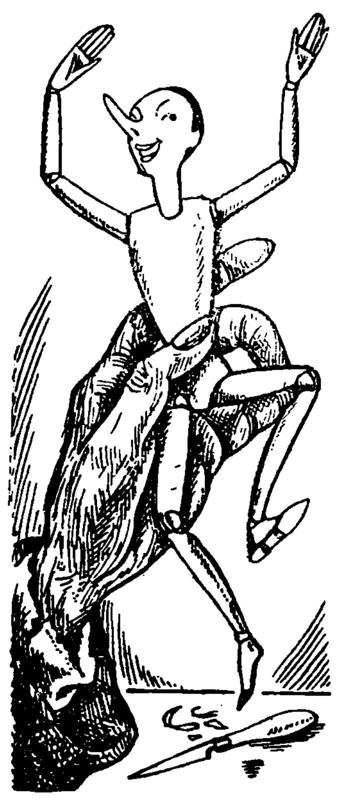
فتوقّف الفم عن الضحك وأخرج لسانه !

وكان جيبيتو يريد ألا يفسد ما بينه وبين أرجوزه ، فتظاهر بأنه لم يرَ شيئاً ، واستمرّ فى عمله . وصنع بعد الفم الذقن ثم الرقبة ، ثم الكتفين ، ثم البطن ، ثم الذراعين ، ثم اليدين .

فلما انتهى من صنع اليدين خُطِفت « قراعته » من فوق رأسه . فلما نظر إلى أعلى رأى قراعته الصفراء فى يدى الأرجوز . فقال : « بينوكيو ، أرجع لى " قرّاعتى " حالا ! » .

لكن بينوكيو بدلا من أن يُعيد القراعة وضعها على رأسه هو فغطّته كله ، من رأسه إلى قدميه .

لقد شعر جيبيتو المسكين بالحزن الشديد لأول مرة فى حياته بسبب ذلك السلوك المهين الساخر ، فالتفت إلى بينوكيو وقال : « أيها الابن العاقّ



اللعين ، إنك لم تكتمل بعدُ ، ومع ذلك فقد بدأت تعصِى أباك ! هذا أمرٌ قبيح ياولدى ، قبيح جدًّا جدًّا !!! »

ومسَح دمعة تحدَّرت من عينه على خدّه .

وبقِيت الساقان والقدمان .

فلما انتهى من صنعهما شعر المسكين برفْسةٍ شديدةٍ فى أنفه . فقال محدّثاً نفسه :

« هذا جزاءٌ حسنٌ ولا شكّ ، كان يجب أن أفكّر فى هذا قبل فوات الأوان ! » . وأمسك « الأرجوز » من يديه ، ووضَعه على الأرض ، ليرى هل يقدِر على المشْى .

لكن رِجلىْ پينوكيو كانتا يابستين ، لايعرِف كيف يحرّكهما . فأخذه جيبِتو من يديه وعلمه كيف يضَع قدماً أمامَ قدم .

فلما لانت رجلاه ، راح پينوكيو يمشى وحدَه ويجرى فى الغرفة ، ثم انساب من الباب إلى الشارع ، وانطلق يجرى .

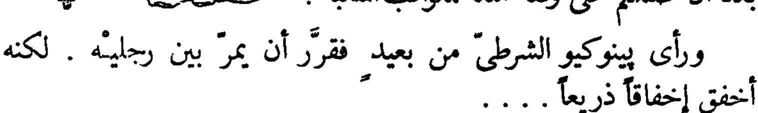
وجرى جيبِتو المسكين وراءه مسرعاً ، لكنه عجَز عن إمساكه ،



لأنّ اللعين كان يقفز كالأرانب . وكانت قدماه الخشبيتان « تطرقعان » وتُحدِث ثان ضجةً كأنّهما عشرون قبقاباً من الخشب .

وكان جيبتو يَصيح : « أمسكوه ! أمسكوه ! » . لكنّ الناس لما رأوا « الأرجوز » الخشبي يجرى منطلقاً كأنه حصان السباق ، خَملقوا فيه مدهوشين متعجّبين ، ثم ضحِكوا وضحكوا حتى وجَعَتهم جنوبهم .

وأخيراً ظهر شرطىّ ، ساقتْه المصادفة السعيدة . لقد سمع الشرطىّ وقْع القدمين الخشبيتين على الأرض فحسِب أنّ حصاناً هرَب من صاحبه ، فوقَف بشجاعة فى وسط الشارع ،وقد باعد ما بين قدميه ومدّ ذراعيه ، بعد أن صمّم على وقفه منعاً للعواقب المتعبة !



ورأى پينوكيو الشرطىّ من بعيدٍ فقرَّر أن يمرّ بين رجليْه . لكنه أخفق إخفاقاً ذريعاً . . . .

فأمسكه الشرطىّ من أنفه وأعاده إلى جيبتو الذى أراد أن يشدّ أذنيه عقاباً له . . . .

تصوّروا يا أصدقائى ما شعر به جيبِتو فى تلك اللحظة لما لم يجد لأرجوزه أذُنين يشدّهما ، أتعرفون السبب ؟ إنه كان مستعجلا فنسِيَ أن يصنع أذنيه !!! وعندئذ أمسكه من رقبته ، وعاد به إلى البيت وهو

يهزّه مهدّداً ويقول له : « تعال معى إلى البيت ، فسأصفّى الحساب معك ! » .

لما سمع إينوكيو هذا الإنذار ، رمى نفسه على الأرض ، ورفض أن يمشىَ خطوةً واحدةً . واجتمع حولهما خلقٌ كثير من المتسكعين ومَن لا عمل لهم . وراح بعضهم يقول شيئاً ويقول آخرون شيئاً آخر .

فبعضهم قال : « مسكين الأرجوز ! إنه محقٌّ حين يرفُض الذهاب إلى البيت ، فمن ذا الذى يعرف ما ينتظره هناك من ضربٍ شديد على يد هذا الرجل الشّرير ، جيبيتو ؟ ! » .

وأضاف بعضهم إلى هذا فى خبثٍ قولهم : « جيبيتو رجلٌ طيّب فى الظاهر ، لكنّه فى الحقيقة قاسٍ ، فإذا تُرِك معه الأرجوز المسكين فربما قطّعه إرْباً !!! »

لقد قالوا كثيراً وأعادوا كثيراً ، إلى أن حضَر الشرطى ، وقرّر أن يأخُذ جيبيتو إلى السجن . وعجَز الرجل عن الدفاع عن نفسه ، وكان فى الطريق إلى السجن يبكى ويقول :

– أيها الابن اللعين ، يؤلمنى أن أتذكّر جهدى وتعبى فيك لأصنع " أرجوزاً " لطيفاً . لكننى أستحِقُّ ذلك ، وأكثر من ذلك . فقد كان الواجب أن أعرِف أن هذا الذى حدث سوف يحدث .

فأما الذى حدث من بعد ذلك ، فهو أكثر ما يمكنكم أن تتصوّروه يا أصدقائى . وسأرويه لكم فى الفصول التالية .

٤

عندما كان جيبيتو المسكين يُساق إلى السجن، دونَ أن يرتكب ذنباً ، كان ذلك اللعين بينوكيو — وقد تُرك حرًّا — يجرى فى الغيطان ليتمكن من الوصول إلى البيت من أقصر طريق ، وكان فى أثناء ذلك يقفز فوقَ الجسور والحواجز الشوكيّة ، والحفر الملآنة بالماء ، كأنه الأرنب الهارب من الصيّادين .

ووجد باب البيت مُقفَلاً ، فدفعه فانفتح ، فدخل منه ثم أغلقه وراءه ، وأحكم إغلاقه . ثم استلقى على الأرض وتنفّس الصّعداء، دليلاً على شعوره بالراحة .

لكن الراحة لم تدُمْ طويلا ، فقد سمع صوتاً فى الغرفة يقول :

« كْرِى... كْرِى... كْرِى...! »

فقال بينوكيو فزعاً: « من ذا الذى ينادينى ؟ »

« أنا ... »

فتلفّت بينوكيو فرأى صرصوراً كبيراً يزحف على الحائط .

ـ قل لى أيها الصرصور ، من أنت ؟
ـ أنا الصرصور المتكلم ، عشت فى هذه الغرفة مائة عام .
ـ لكن هذه الغرفة أصبحت اليوم غرفتى . ويسرنى أن تخرج منها حالا .
ـ لن أترك هذا المكان قبل أن أقول لك حقيقة لا تسرك .
ـ وما هى ؟ أسرع بقولها !
ـ ويل للأطفال الذين يعصون آباءهم ، ويهربون من بيوتهم . إنهم لن يروا السعادة فى هذه الدنيا أبداً ، سيندمون على ذلك أشد الندم .
ـ رح لحالك ، واستمر فى غنائك أيها الصرصور . أما أنا فإننى سأرحل غداً عند شروق الشمس ، لأننى إن بقيت هنا حدث لى ما يحدث لغيرى من الأطفال : سأرسل إلى المدرسة لأذاكر وأتعلم ، رضيت أم لم أرض ، وأنا لا أريد أن أتعلم . وسأكون أسعد حالا إن أنا انطلقت حرًّا ، أطارد الفراش وأتسلق الأشجار لأسرق أعشاش العصافير .
ـ أيها الأبله المسكين ، إنك إن قضيت وقتك على هذه الصورة أصبحت ـ متى كبرت ـ حماراً عظيماً !
ـ اسكت أيها الصرصور النقاق .
لكن الصرصور كان فيلسوفاً صبوراً ، فلم يغضب ، بل استمر يقول ناصحاً :
ـ ثم لماذا لا تتعلم حرفة إن كنت تكره المدرسة ، فتتمكن من كسب قوتك من طريق شريف !

فردّ پينوكيو ، وقد فَقَدَ صبره ، فقال :

– هل تريد أن تعرف رأيي ؟ كلُّ الحرف فى هذه الدنيا لا تناسبنى منها إلا حرفةٌ واحدةُ .

– وما هى ؟

– أن آكل وأشرب وأنام وأكسَل من الصباح إلى المساء !

قال الصرصور المتكلم فى صبر وهدوء :

– دَعْنى أقول لك إنّ أصحاب تلك الحِرفة ينتهى بهم الحالُ فى الغالب إلى المستشفى أو السجن !

– حاذرْ ، حاذر ، أيها الصرصور المشئوم ، إن أغضبتنى فلا تلومَنَّ إلا نفسَك !

– إننى أيها المسكين پينوكيو متألمٌ لك أشدّ الألم .

– ولماذا ؟

– لأنك « أرجوز » وأسوأ من هذا أن رأسك من خشب !

فضاق پينوكيو ذَرْعاً بالصرصور . وأمسك القَدُوم الخشبية ورماها عليه . ولعله لم يكن يُريد أن يُؤذيه ، لكنّ القَدُوم ، لسوء الحظ ، أصابت الصرصور فى رأسه فقتلته فى الحال ، دون أن تترك له وقتاً ليقول

غيرَ ما قال ، إلا صيحة أخيرة: «كرِى ... كرِى... كرِى!» ثم تمدّد يابساً على الحائط وبقى مشتبكاً به .

٥

خيّم الظلام، وتذكّر بينوكيو أنْ ليس لديه ما يأكله . وكان يُحِس بانفتاح فى الشهوة ... والشهوة فى الأطفال تَزيد وتَنمو بسرعة عجيبة ، ثم أصبح هذا الإحساس بعد دقائقَ جوعاً شديداً ، ثم لم يلبث أن أصبح جوعاً شديداً خطراً ، كجوع الذئاب ، حتى كان من المحتمل أن يأكل المسكين أظافرَه من شدّ الجوع !

وجرَى إلى المِرْجل الذى يغلى ، ليرفع غطاءه ويرى ما فيه . لكن المرجل لم يكن إلا رسماً على الحائط ، فشعرَ المسكين بخيبةٍ شديدةٍ ! حتى لقد زاد أنفه طولا على طول .

وراح المسكين يجرى فى أرجاء الغرفة مفتّشاً فى كلّ صحْن وخزانة ، عن كِسْرة من الخبز ولو ناشفة، أو عظمة تركها كلب ، أو شوكة سمكة أو أىّ شىءٍ يمكن مَضغه . لكنّه لم يجد شيئاً على الإطلاق !

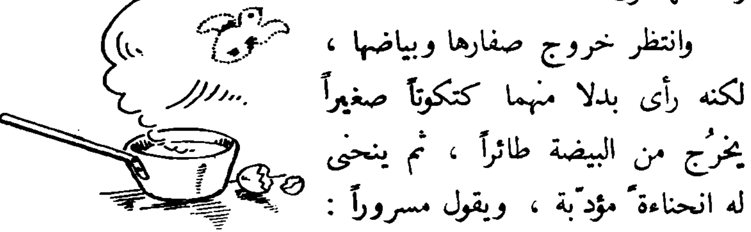
وكان جوعه فى أثناء ذلك يزيد ويَشتدّ . فلما لم يجد شيئاً يأكله ، جلس يتثاءب ... لقد راح يفتح فمه بالتثاؤب واسعاً واسعاً، حتى وصل إلى ما وراء أذنيه . فلما انتهى من تثاؤبه، بصق وكأنْ لم تكن له معدةٌ على الإطلاق.

ولما اشتدّ به اليأسُ بكى وقال : « لقد كان الصرصور المتكلم محقًّا ، فأنا أخطأت حين عصَيتُ أبى وهرَبت منه . فلو أنّ أبى كان هنا الآن ، لما بقيتُ أتثاءب حتى لكأننى سأموت . إن الجوع مرَضٌ فظيع ! »

وسُرْعان ما رأى فى كومة من الزّبالة شيئاً كأنه بيضة . فقفز بسرعة وانقضّ عليه فأمسكه . لقد كان بيضةً فعلاً .

ويستحيل علىّ أن أصف لكم فرحه بتلك البيضة . فلكم أنتم أن تتصوَّروه . لقد كاد يُجنّ من شدّة الفرح ، وخاف أن يكون حلماً ما رأى ، فأدار البيضة فى يده ثم قبّلها ، وقال : « والآن كيف أطبخها؟ أأعملها " عجة " ... ؟ لا ! إنى أفضلها مقشورةً مسلوقةً فى الماء المغلىّ لكنها قد تكون أحسنَ طعماً لو أننى قليتها . ترى أأضعها فى الماء المغلى كما هى؟ لا! الأفضل أن أكسرها فى الماء الغالى فتنضَج فى الحال » .

وسرعان ما فعل ذلك . لقد وضع المِقْلاة فوق كانون به فحمٌ متّقد ، ووضع فى المِقْلاة ماءً بدل الزّبد . فلما غلى الماء ... طكّ ! كسَر البيضة وأمسكها فوق المقلاة .



وانتظر خروج صفارها وبياضها ، لكنه رأى بدلا منهما كتكوتاً صغيراً يخرُج من البيضة طائراً ، ثم ينحنى له انحناءةً مؤدّبة ، ويقول مسروراً :

ـ شكراً لك ألف شكر ، أيها العزيز بينوكيو ، لقد وفّرت عليّ مجهوداً أبذله فى كسر القشرة ! إلى اللقاء إذن ، واعْتَنِ بنفسك ، وبلّغ سلامى إلى الأصحاب ! .

ثم فَرَد الكتكوت جناحيْه ، وخرّج طائراً من النافذة المفتوحة ، وغاب عن الأنظار .

وبقى الأرجوز المسكين مدهوشاً : فعيناه ثابتتان لا تتحركان ، وفمه مفتوح ، ويداه تُمسِكان قشرة البيضة ، فلما أفاق قليلا من الفزَع الذى أصابه ، راح يبكى ويصرُخ يائساً ، ويقول : « نعم ، كان الصرصور المتكلم محقًّا ، لو لم أهرُب من البيت ، أو لو كان أبى هنا ، لما كنت الآن أموت من الجوع ، إن الجوع مرَض مخيفٌ ! »

واشتد جوعه ففكر فى أن يذهب إلى القرية ، بأمل أن يجد هناك شخصاً محسناً ، يُعطيه كسْرةً من الخبز .

٦

كانت الليلة شديدةَ البرد قارسة ، وكان الرّعد يدوّى والبرق يخطف الأبصار والهواء عاصفاً .

كان بينوكيو خائفاً من أصوات الرعد ومنظر البرق ، وكان جوعه مع ذلك أشدّ من خوفه . ففتح الباب وجرى إلى القرية بأسرع

ما يمكنه . فوصل إليها وقد تدلّى لسانُه من فمه كأنّه لسان كلب من كلاب الصيد .

كان كل ما فى القرية مظلماً ساكناً كأنها قرية الأموات. فالدكاكين مُقفلة ، والشوارع خالية . فدقّ پينوكيو باب واحد من البيوت دقّاً طويلا ، وهو يقول لنفسه :

— لا شكّ أن بعضهم سيطلّ من الشباك !



وفعلا أطلّ من الشباك رجلٌ عجوزٌ، يلبَس على رأسه « طاقية نوْم» ، وصاح غاضباً :

— مَن أنت ، وماذا تُريد فى مثل هذه الساعة ؟

— هل يسمَح لى قلبك الطيّب بكسرةٍ من الخبز؟

فظنّ الرجل أن پينوكيو من أولئك الأطفال الأشرار ، الذين يتسلَّوْن ليلا بدقّ الأبواب ليعاكسوا الناس الطيِّبين. فقال : « انتظر قليلا ، فسأرجع إليك فى الحال ! » .

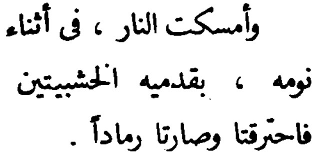
ومرّ نصف دقيقة ، فُتح بعدها

الشباك ثانيةً وقال الرجل : « قفْ تحت الشباك وارفعْ طاقيتك ! »

ولما لم تكن لبينوكيو طاقية ، فقد وقف تحت الشباك ساكناً ، وإذا بماء ينزل على رأسه ، كأنه المطر يتدفَّق من السماء . . .

لقد صبَّ الرجل عليه إبريقاً من الماء ، بلّله من رأسه إلى أصابع قدميه .

وعاد إلى البيت كأنه الفأر الغريق ، يكاد يموت من التعب والجوع الشديد . ولم يكن بإمكانه الوقوف طويلا على قدميه ، فجلس ووضع قدميه المبتلّتين الموحلتين على الكانون الدافئ ، وما لبث أن راح فى نوم عميق .



وأمسكت النار ، فى أثناء نومه ، بقدميه الخشبيتين فاحترقتا وصارتا رماداً .

لكن بينوكيو ظلّ نائماً يغطّ غطيطاً ، فلما طلع الفجر أيقظه صوتُ دقٍّ بالباب ، فتثاءب وفرّك عينيه وصاح : « من هذا ؟ » .

قال صوت : « أنا ! »

وكان الصوت صوت جيبيتو .

٧

كانت عينا پينوكيو المسكين ما تزالان نصفَ مُغمَضتين ، فلم يلاحظ أن قدميه احترقتا وذهبتا . فلما سمع صوت أبيه ، قفَز من كرسيِّه ليجرى إلى الباب . لكنه ، بعد أن ترنَّح قليلاً ، وقع على الأرض ، محْدثاً صوتاً كصوت كيس مملوءٍ بالملاعق الخشبية ، حين يقع من الطابق الخامس !!!

وصاح جيبِتو قائلا : « افتَح الباب ! »

فأجاب الأرجوز وهو يُجهِش بالبكاء ، ويتدحرَج على الأرض : « لا أقدر يا أبتِ ! »

— لماذا ؟

— لأن بعضهم أكل قدمىّ !

— من الذى أكلهما ؟

فقال پينوكيوقد رأى القطّة تلعَب ببعض نُشارة الخشب : «القطة!»

فصاح جيبتو مرة ثانية : « افتح الباب ، وإلا ضربتك بالسوط ذى الأذيال التسعة » .

— صدقنى يا أبت ، إننى لا أقدر على الوقوف . آهِ أنا المسكين

سأضطرّ ما بقى من حياتى إلى المشى على ركبتىّ !!! » .

وكان جيبيتو يحسب أن بكاءه من بعض حيله، فتسلّق الحائط ودخل من الشباك .

كان غاضباً غضباً شديداً، لكنه لما رأى پينوكيو — أرجوزه العزيز — مستلقياً على الأرض بغير قدمين ذاب غضبه ورفعه بين ذراعيه وقبّله، ثم جرت دموعه على خدّيه وقال :

— پينوكيو ، يا صغيرى العزيز ، كيف احترقتْ قدماك وذهبتا ؟

— لا أعرف يا أبتِ . ولكنْ صدّقنى إنْ قلت لك إنّ ليلتى كانت ليلة مفزعة، لن أنساها طول حياتى. كان البرق خاطفاً والرعد شديداً، والجوع يمزّق بطنى. ولقد قال لى الصرصور المتكلم : « إن هذا الدرس نافع لك، لأنك شرير وتستحق ذلك ! » فقلت له : « حاذرْ ، أيها الصرصور ! » فقال : « إنك أرجوز ورأسك من خشب! » . وحينئذ رميتُ عليه القدوم فمات . لكنه هو المخطئ ، لأننى لم أرِدْ قتله . والدليل على ذلك أننى وضعتُ المقلاة على الكانون ، لكن الكتكوت طار وهو يقول : « إلى اللقاء ، وبلّغ سلامى إلى الأصحاب ! » . وكنت فى كل لحظة أزداد جوعاً . وهذا هو السبب فى أن الرجل العجوز ذا الطاقية فوق رأسه . أطلّ من الشباك وقال : « قفْ تحت الشباك وارفع طاقيتك ! » فلما وقفتُ اندلق علىّ الماء كالسيل ، صبّه الرجل من الإبريق . وليس عاراً أن أطلب كسْرة من الخبز . أليس كذلك ؟ ثم إننى رجعت مسرعاً إلى البيت .

ولما كنت جوعان جوعاً شديداً ، وضعتُ قدميّ على الكانون لتنشفا ، وحينئذ جئتَ أنت ، واحترقتْ قدماى ؛ وما زلتُ أشعر بالجوع الشديد ، ولم تعد لى قدمان « يو ... هوّ ... هوّ .... هوّ ... ! »

وراح پينوكيو المسكين يبكى ، ويصرُخ صُراخاً عاليًا ، يمكن أن يُسمعَ من بعيد .

ولم يفهَم جيبِتو من كلّ هذا الخليط من الكلام والبكاء ، إلا أن « الأرجوز » يكاد يموت من شدة الجوع . فأخرج من جيبه ثلاث كمثريات ، وقدّمها له وقال :

– هذه الكمثريات الثلاث كانت لإفطارى . لكننى أعطيها لك بكل سرور !

– إذا أردتَ أن آكلها فقشّرها لى .

فدهش جيبِتو وقال : «أقشّرها لك ؟ ! ما كنت لأصدّقَ أنك "متحذلق" إلى هذا الحدّ ، إن هذا يا ولدى أمرٌ شديد الضّررِ فالواجب أن نعوّد أنفسنا أن نأكل كلّ ما يوضَعُ أمامنا ونحمَد الله عليه ؛ لأن الإنسان لا يعرِف أبداً ما قد يحدُث . فإنّ هذه الدنيا عجيبة ! »

قال پينوكيو: « هذا كلام طيّب جدًّا ، لكننى مع ذلك لن آكل أبداً فاكهة غير مقشورة . فأنا لا أحتمل القشر ! »

فلم يسعْ جيبيتو الطيّب الصبور ، إلا أنْ يأخذ سكّينة فيقشر الكمثريات الثلاث ، ثم يناولها لپينوكيو ويضع القشر فى ركن المائدة .

ولما أكل پينوكيو من الكمثراة الأولى ، همّ برمْى القلب والبذر . لكن جيبيتو قال : « لا ترْمِه ، فقد تكون له فائدة ! »

فالتفت إليه پينوكيو غاضباً وقال : « وهل تتصور أننى آكل القلب؟».

قال جيبيتو هادئاً : « من يدرى ؟! فهذه الدنيا عجيبة ! » . ثم راح يجمعَ كل ما يرميه پينوكيو من قلوب الكمثرى ويضعه مع القشر فى ركن المائدة .

ولما فرغ پينوكيو من أكل الكمثريات الثلاث استلقى وتمطّى وتثاءب ثم عاد « يزِنّ » من جديد ويقول :

– ما زلتُ جوعانَ !

– لكن يا ولدى لم يبقَ عندى شىءٌ أعطيك إياه .

– لا شىء ؟ لا شىء أبداً ؟

– لم يبقَ إلا هذا القشر وهذه القلوب .

– ما دام الأمرُ كذلك فلنأكلْ بعضَ هذا القشر .

وتناول قشرةً ووضعها فى فمه ، فظهر عليه الامتعاض ، ثم ما لبثت القشرة أن اختفت جميعها فى فمه ، وتلتها الثانية ثم الثالثة ، ثم القلوب

واحداً بعد آخر . فلما انتهى من التهام كل شيء ، ربَتَ (طبطب) على بطنه وقال مسروراً : « آه ! أنا الآن أحسن ! » .

فقال جيبتو : « أرأيت أنني كنت على حقّ لما قلت لك يجب أن لا تدلّلَ نفسك ، فتصبح صعبَ الإرضاء في الأكل ؟ إن الإنسان يا ولدي لا يعرِف ما قد يحدُث . فهذه الدنيا عجيبة ! » .

٨

لما شبع « الأرجوز » بدأ يتأفّف ويبكي ويطلب قدمين جديدتين .

لكن جيبتو أراد أن يعاقِبه على « شقاوته » فتركه يبكي ويتأفف نصف النهار . وأخيراً قال له : « تقول إنني يجب أن أعمل لك قدمين جديدتين ، لماذا ؟ ألأجل أن تهرُب مرّة ثانية؟ » . فقال بينوكيو باكياً :

ـ أعدُك بأن أكون ولداً عاقلا منذ اليوم .

ـ هذا كلام يقوله كلّ الأطفال عند ما يطلبون شيئاً .

ـ أعدُك بأن أذهب إلى المدرسة لأتعلم ، فتكون فخوراً بي .

ـ كل الأطفال يقولون ذلك عند ما يطلبون شيئاً .

ـ لكنني لستُ ككل الأطفال ، إنني أحسن من أيّ واحد منهم . إنني دائماً صادق ، لا أكذب أبداً . وإني أعدك يا أبتِ أن

أتعلم صناعةً لأساعدك عند ما تكبرُ ، وأسليك وأسعدك .

فامتلأت عينا جيبتو بالدموع لما رأى پينوكيو فى تلك الحال المؤلمة . ثم تناول أدواتـه وخشبتين صغيرتين وبدأ العمل فى الحال .

وفى أقلّ من نصف ساعة ، كانت القدمان جاهزتين ، قدمان صغيرتان خفيفتا الحركة ، لا يستطيع صنعَهما إلا حفّار فنّان .

قال جيبتو : « أغمض عينيك ونمْ ! » .

فأغمَض پينوكيو عينيه ، وتظاهر بالنوم . فألزق جيبتو القدمين مكانهما من پينوكيو .

ولما شعَر الأرجوز أنْ قد أصبحت له قدمان جديدتان ، قفز من المائدة التى كان راقداً عليها ، وراح يرقص ويلفّ ، ويقفِز هنا وهناك فرحاً مسروراً . ثم قال : « والآن أريد أن أذهب حالا إلى المدرسة لكى أبرهنَ على شكرى لك يا أبتِ » .

قال أبوه : « أنت ولد طيب جدًّا » .

— لكننى إنْ ذهبت إلى المدرسة احتجتُ إلى ملابس .

كان جيبتو فقيراً لا يملك مليمًا واحداً ، فلم يستطع أن يصنع لپينوكيو إلا « بذلة » من الورق المنقوش ، وحذاءً من قشر الشجر ، وطاقية صنعها له من لباب الخبز .

وكان بالغرفة حوضٌ كبيرٌ مملوءٌ بالماء . فلما تمّ صُنع الثياب ولبِسها الأرجوز أسرع إلى الماء ليرى نفسه فيه . ثم قال :



– إننى أشبه عظماءَ الرجال .

– نعم ، بلاشكّ ! ولكن تذكر أن الملابس لاتصنع عظماءَ الرجال.

– وما دمنا نتكلم عن المدرسة ، فما زال ينقصنى شىء ، شىء هامّ ، بل هو أهم شىء ...

– وهو ... ؟

– كتاب المطالعة .

ـ صحيح ، ولكن كيف نحصُل لك عليه .
ـ هذا سهلٌ ! تشترى لى من المكتبة واحداً .
ـ والثمن ؟
ـ إننى لا أملك مليماً واحداً .
فقال الرجل الطيب محزوناً : « وأنا أيضاً لا أملك شيئاً ... »
وشعر پينوكيو بالحزن الشديد ، مع أنه كان فى العادة مرحاً طروباً . فالفقر حين يكون شديداً يقضى على الفرح ، حتى عندَ الأطفال .
لكن جيبيتو ما لبث أن قال : « مهلا ! » . ثم قفزَ إلى مِعْطَفه القديم فأخذه وخرج من البيت مسرعاً .
ثم عاد بعد قليل ومعه كتاب المطالعة الأولية ، جاء به لابنه . لكنّ الرجلَ المسكين لم يعدْ عليه ما يستر جسمه إلا قميصه ، مع أنّ البرد كان شديداً والثلج يسقط كثيفاً !!!
ـ أين معطفُك يا أبتِ ؟
ـ بعتُه
ـ ولماذا بعته ؟
ـ إنه كان يجعلنى « حرّان » .
ففهِم پينوكيو فى الحال السببَ الذى من أجله باع أبوه معطفه ، فشعر بالشكر يملأ قلبه ، ومدّ ذراعيه فلفّهما حولَ رقبة أبيه ، وراح يقبّله فى كل مكانٍ من وجهه .

٩

أخذ بينوكيو كتابَه الجميلَ الجديدَ ، ووضعه تحت إبطه وخرج من البيت ليذهبَ إلى المدرسة . وكان فى أثناء الطريق يرسُم لنفسه الخطط الجميلة ، ويبنى فى الهواء ألفَ قصرٍ وقصرٍ ، ويحدّث نفسه قائلا :

« متى وصلتُ إلى المدرسة تعلمتُ فى الحال القراءة . أما غداً فسأتعلّم الكتابة ، وبعد غد الحساب . وحينئذ أكونُ قد أصبحت ولداً متعلماً مهذّباً أستطيع أن أربَح فى الحال أكواماً من النقود . فأما القروش الأولى فسأشترى بها لأبى معطفاً جديداً . بل سأشتريه له من الذّهب الخالص ، أما أزراره فستكون من الألماس ، فإنه يستحقّ منى ذلك تماماً ، لأنه فى هذا الشتاء القارس، قد حرَم نفسَه معطفه ليشترى لى بثمنه كتاباً ! » .

وبينما كان بينوكيو فى طريقه إلى المدرسة يحدّث نفسه بهذا الحديث الجميل ، إذا به يسمعُ أصوات موسيقى تأتيه من بعيد « فى ... فى ... فى ... فى ... زُومْ ... زومْ ... زومْ ... زومْ ... ! » .

كانت الأصوات تجىء من نهاية شارعٍ طويل يقطع الطريقَ المؤدّى إلى المدرسة ، فى نهايته قريةٌ صغيرة قريبة من البحر ، فقال : « ما تلك الموسيقى ؟ من المؤلم أننى مضطرّ الآن للذهاب إلى المدرسة ، وإلا كنت . . . » .

وتردّد قليلا ...

لكن الشرّير لم يلبث أن هزّ كتفيه وقال : « اليومَ أستمعُ للمزامير ، وغداً أذهب للمدرسة . ما زال الوقت متّسعاً للذهاب إلى المدرسة » .

وسُرعانَ ما جرى إلى القرية القريبة من البحر بأسرع ما يمكنه .

ولم يلبَث پينوكيو أن وجد نفسه فى ميدانٍ صغيرٍ ، يتزاحم الناس فيه حولَ بناءٍ عالٍ من الخشب والقماش الملوّن .

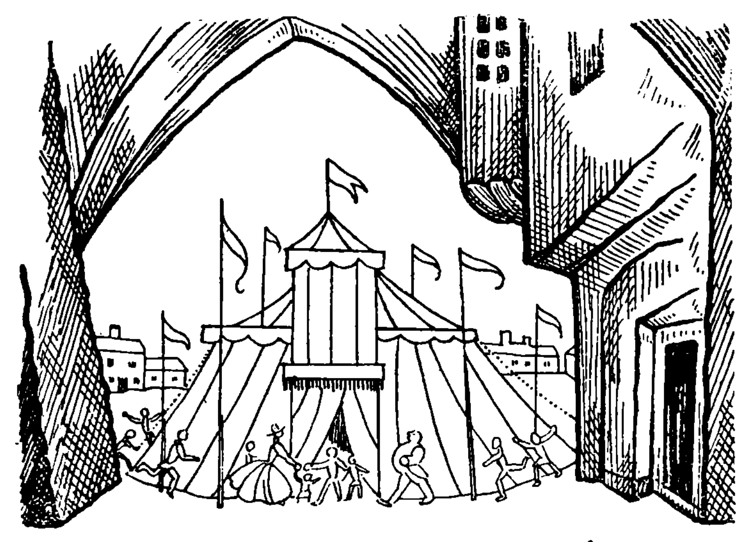
وسأل پينوكيو ولداً من الواقفين : « ما هذا البناء ؟ » .

— اقرأ العنوان إنْ كنتَ تريد أن تعرف .

— كان بوُدّى أن أقرأه ، لكننى لا أعرف القراءة .

— هذا شىء جميل جدّاً ، أيها الأبله ، إذن أقرأه أنا لك . اعلمْ أن هذا الإعلان ذا الحروف الكبيرة الحمراء كالنار ، مكتوب فيه ما يأتى :

« مسرح الأرجوزات العظيم »



– وهل بدأ اللعب من زمن طويل ؟

– لا ، لم يبدأ إلا الآن .

– وما ثمن تذكرة الدخول ؟

– مليمان .

وكاد پينوكيو يجنّ ، فقال للولد من غير أن يخجل :

– هل تعطيني مليمين حتى غد ؟

فضحك الولد ساخراً منه وقال : « كان بودّى أن أفعل هذا ، ولكنني اليومَ لا أقدر على ذلك ! » .

قال الأرجوز : « أبيعك سترتى بمليمين » .

– وماذا أصنع بسترةٍ من الورق الملوّن ، إن أمطرت السماء ذابت السترة؟

– هل تشترى حذائى ؟

– ارْمِه فى النار !

– وماذا تعطينى من أجل قُبّعتى ؟

– شىءٌ جميل ! قبعة مصنوعةٌ من لباب الخبز ! متى وضعتها على رأسى أكلتها الفئران ! ! !

وكأنما صار پينوكيو واقفاً على أطراف إبَرٍ ودبابيس . فلم يلبَث أن قال : « هل تعطينى مليمين مقابل هذا الكتاب الجديد ؟ » .

فقال الولد – وكان أعقلَ من پينوكيو – : « أنا لا أشترى شيئاً من غيرى من الأولاد ! » .

وهنا سمع پينوكيو رجلا ممن يشترون الثياب القديمة – كان واقفاً بجوارهما يتسمّع حديثهما – سمعه يقول : « أنا أعطيك مليمين ثمناً لهذا الكتاب ! » .

وبيعَ الكتابُ فى الحال ، الكتابُ الذى اشتراه جيبيتو المسكين لابنه بعد أن باع معطفه ، وبقىَ عارياً لا يستره إلا قميصه ، فى برد الشتاء الشديد ! ! !

١٠

لمَا دخل بينوكيو مسرح الأرجوزات ، أحدث دخوله ضجةً وهرَجاً .

كان الستار قد رُفع ، وبدأ اللعب .

وكان على المسرح أرجوزان اسم أحدهما « هارْلكان » واسم الثانى « بُونكيلُّو » . وكانا يتعاركان كالمعتاد .

وكان الناس يشاهدون المنظر بانتباهٍ شديدٍ ، ويضحكون حتّى وجعتهم جنوبهم لمنظر الأرجوزين ، المتشاجرين .



وفجأةً توقّف « هارلكان » عن اللعب ، ونظرَ إلى الجمهور وأشار إلى آخر القاعة ، وصاح بطريقته المسرحية : « الله أكبر ! أصاحٍ أنا أم نائمٌ أحلم ؟ ! ! إنه بالتأكيد پينوكيو ، هذا الذى بآخر القاعة ، هناك فى الخلف ! » .

فصاح پُونكيلُّو : « نعم ، إنه پينوكيو ، هو بعينه ! » .

ثم صاحت السيدة رُوزاوْرا : « نعم ، هو پنيوكيو بعينه » .

ثم جرَوْا جميعاً وانسابوا من جوانب المسرح يضحكون ويَصيحون :

— پينوكيو ! پينوكيو ! أخونا پينوكيو ! يعيش بينوكيو! .

وقال « هارلكان » صائحاً : « تعالَ يا پينوكيو ، اصعدْ هنا يا پينوكيو ، تعالَ وألق بنفسك فى أحضان أخيك الخشبى ! » .

فلما سمع پينوكيو هارلكان يدعوه هذه الدعوة الودّية ، قفَزَ من آخر القاعة إلى المقاعد الأمامية ، ثم قفَز قفْزةً أخرى وضعته على رأس رئيس فرقة الموسيقى ، وبقفزةٍ ثالثةٍ كان على المسرح ، فراح الأرجوزات جميعاً يقبِّلون پينوكيو ويحضِنونه ويقرُصونه ، ضاحكين صاخبين .

لقد كان المنظر مؤثراً جدًّا . لكنَّ المتفرجين لما رأوا اللعب قد توقَّف ضاق صدرُهم ، وبدأوا يصيحون قائلين :

— « الرّواية ! الرواية ! استمرّوا فى الرواية ! » .

ومع كلِّ صياحهم ، لم يظهر الأرجوزاتُ على المسرح . بل استمرّوا فى تقبيل صاحبهم پينوكيو والسّلام عليه . وظلوا فى سرورهم وفرحهم ، حتى



حَملوه آخر الأمر على أكتافهم ، وجاءوا به إلى أضواء المسرح .

وفجأةً ظهَرَ صاحب المسرح .

كان رجلا طويلا ، طويلا جدًّا ، عريضَ الكتفين ، قبيحَ المنظر ، يَفزَع الإنسان إذا نظر إليه ، له لحيةٌ كأنها لطعة الحبر الأسود ، أما فمه فواسع كأنه الفرن الكبير . وأما عيناه فكأنّهما مصباحان أحمران . وكان بيده سوْط (كرباج) سميكٌ طويلٌ مصنوع من أذيال الذئاب ، ملفوف بعضُها فوق بعض ! ! !

فلما ظهرَ بهذه الصورة المفاجئة ، حبَس المتفرّجون أنفاسَهم ، حتّى

لأمكن سماع صوت الدبُّوس إذا وقع على الأرض ، وأصبَح الأراجوزات جميعاً يَرجُفون من شدّة الخوف .

وسأل الرجل پينوكيو فى صوت كأنه الرعد : « لماذا جئتَ هنا تنشُر الفوضَى فى مسرحى ؟ » .

– صَدِّقنى يا صاحبَ السعادة ، إنّ الغلطة ليست غلطتى .

– اخرَس ، سوف نُصفِّى الحسابَ الذى بيننا بعدَ قليلٍ .

وانتهى اللعب وانصرف الجمهور . فذهب صاحب المسرح إلى المطبَخ ، حيث كان قد وضَع خروفاً بأكمله على النار ، يجهِّزه لعشائه . فلما رأى أن الحشب الذى عنده لا يكفى لبقاء النار مُوقدة حتى يتمّ شَىُّ الخروف ، صاح منادياً هارلكان و پُونكيلو ، قال :

– أحضِرا إلىّ ذلك « الأرجوز » ، تجدانه معلقاً بمسمارٍ فى الحائط . إن خشَبه جيِّدٌ ناشفٌ يصلح لإيقاد النار ، حتى يتم شَىّ خروفى !

تردّد هارْلكان و پُونكيلو قليلا ، لكنّ الرجل حدّق فيهما مهدّداً فأطاعا . ومرّت لحظات رجَعا بعدها إلى المطبخ يحملان پينوكيو المسكين الذى كان يتلوّى وينتفض كأنه السمكة خرجت من الماء ، ويصرُخ باكياً ويقول : « لا ! لا ! الحقْنى يا أبتِ ، أنقذْنى يا أبى ، إننى لا أريد أن أموت ، لا أريد أن أموت ! » .

١١

كان « آكلُ النار » – وهو اسم صاحب المسْرَح – فى ظاهره رجلا مُخيفاً ، بلحيته السوداء المتدلية على صدره إلى قدميْه . لكنَّه فى حقيقة الأمر كان طيِّبَ القلب . فإنه لما رأى بينوكيو المسكين يبكى ، ويصرُخ قائلا : « لا أريد أن أموت ! لا أريد أن أموت ! » أخذتْه به الرحمة فعطَسَ عَطسةً شديدةً .

وكان هارلكان مغموماً حزيناً مثلَ « مالك الحزين » . لكنَّه لما سمع الرجلَ يَعطَس ، أشرق وجهُه وتهلل ، ومال على بينوكيو وقال : « أبْشر يا أخى ، لقد عطسَ الرجل ! وهو إذا عطَس ! كان ذلك علامةً على أنه متألمٌ لحالك . وإذنْ ، فقد نجوتَ ! » .

ذلك بأنَّ هذا الرجل العجيب « آكل النار » ، إذا تألَّم أو أحسَّ بالحزن من أجلِ أحد ، عطَس عطسةً شديدةً ، يذهَب بها غضبه ويلِينُ قلبهُ !

بعدَ أن عطَس صاحب المسرح ، بَقِىَ يتكلم بصوتٍ خشنٍ أجَشّ ويصرُخ فى بينوكيو ويقول :

« كفى بكاءً ! إن البكاءَ يجعلنى أحسّ فى معدتى بإحساسٍ مزعجٍ ... حتى إننى ... آتشو ! .... آتشو ! .... » لقد عطس الرجلُ هذه المرة عطستين .

قال پينوكيو : « يرحمكم الله ! » .

فقال آكل النار : « شكراً ! وأبوك وأمك ، هل يـَعيشان ؟ » .

ــ أبى حىّ ، أما أمّى فلم أعرِفها فى حياتى .

إن أباك العجوز ليحزَن جدًّا إذا رميـْتك فى النار ! مسكين ذلك الرجل العجوز ! إنى متألم له ألماً شديداً .... آتشو! ... آتشو ! ... آتشو ! ... » ثلاث مرات ! قال پينوكيو : « يرحمكم الله ! » .

ــ شكراً ! على أنه هو أيضاً يجب أن يتألم لحالى ، فليس عندى من الخشب مايكفى لإتمام شىّ عشائى . وأنت أنسَبُ شىء عندى الآن لذلك الغرض ، أنسَب شىء بالتأكيد ! لكننى قد عفوتُ عنك ، ويجب أن أدبـّر أمرى ، فأضع أحد أرجوزات فرقتى فى النار تحت الخروف بدلا منك . يا شرطىّ !

فلم يلبـَث أن ظهر َ فى الحال شرطيان خشبيـّان ، طويلان ، رفيعان ، يمسك كلٌّ منهما فى يده سيفاً مسلولا .

قال صاحب المسرح فى صوت خشن أجشّ « خُذَا "هارلكان" واربِطاه برباطٍ متينٍ ثم ارمياه فى النار ، فإنّ خروفى يجب أن يتمّ شيُّه! » .

تصوروا هارلكانَ المسكين ! لقد أصابه خوفٌ شديدٌ ، فانكفأ على وجهِه فزعاً !

ولما رأى پينوكيو هذا المنظر المؤلم ، رمَى نفسَه عند قدمى صاحب المسرح وبكى بكاءً شديداً جدًّا ، وقال متوسلاً : « ارحَمْه ، أيها السيد العظيم » .

قال الرجل بشدة : « لا سادةَ هنا » .

– ارحمه أيها الفارس الهمام .

– لا فرسانَ هنا .

– ارحمه أيها القائد العظيم .

– لا قوّاد هنا .

– ارحمه يا صاحبَ السعادة .

فلما سمع الرجل لقبَ « صاحب السعادة » زمّ شفتيه ، وتحرّك قلبه الطّيب فجأة ، وقال :

– حسناً، ماذا تُريد أن أفعلَ ؟

– تعفو عن هارلكان ، أتوسّل إليك !

– إنك تطلب المستحيل . فإننى إنْ عفوت عنه ، فلا بدّ من أن أضَعك أنت فى النار . لأنّ خروفى يجب أن يتم شيه .

فقام پينوكيو واقفاً وأمسك طاقيته المصنوعة من لباب الخبز فرماها بعيداً وقال :

« إذن ، فأنا أعرف واجبى فى هذه الحالة . إلىّ ياشرطى ! اربطونى أيها السادة وارمونى فى النار ! فليس من العدل أن يموتَ من أجلى هارلكان صديقى المحبوب ! » .

قال پينوكيو هذه الكلمات بصوتٍ عالٍ كصوت الأبطال ، حتى أبكى كلّ من كان حاضراً من الأرجوزاتٍ ، وحتى الشرطيان بكيا كالأطفال ، مع أنهما كما نعرف كانا مصنوعيْن من الخشب !

أما « آكل النار » فقد بقىَ جامداً بارداً كقطعة الثلج . لكنّه بعدَ ذلك بدأ يذوب قليلاً قليلاً ، ثم يعطس ! فلما عطّس أربعَ مراتٍ أو خمساً ، فتح ذراعيه فى حنان لپينوكيو وقال :

« إنك ولدٌ شجاعٌ ، تعالَ إلىّ أقبّلك ! » .

فجرى پينوكيو مسرعاً إلى « آكل النار » وتسلق لحيته كأنه الفأر وقبّل طرف أنفه قُبلة عالية مُدوّية .

أما « هارلكان » المسكين فكان واقفاً ما يزال يرجُف . فلما رأى ذلك قال : « وحياتى ، هل أُنقذتُ ؟ » .

قال آكل النار : « حياتك أنقذتْ : » وسكت قليلا ثم قال : « يجب أن أرتب أمرى على أكل خروفى نيّئاً قبل أن يتم شيُّه ! » .

ولما عرَف الأرجوزات أن صاحبهم پينوكيو وأخاهم هارلكان قد بَعُد عنهما الخطر ، جروا جميعاً إلى المسرح فأضاءُوا الأنوار كلها ، كأنهم يستعدّون لحفلةٍ فخمةٍ كبيرةٍ ، ثم أخذوا يقفِزون ويرقصون ويغنُّون . ويُقبّل بعضهم بعضاً . وبقُوا على هذه الحال من الطرب والفرح والسرور ، حتى أشرقت الشمس فى الصباح التالى .

١٢

ولما كان اليومُ التالى ، نادى « آكل النار » پينوكيو وقال له :

— ما أسمُ أبيك ؟

— جيبيتو .

— وما صناعتُه ؟

— صناعته رجلٌ فقيرٌ !

— هل يربَح كثيراً ؟

— إنه يربح ما يكفيه للمشيِ طولَ يومه ، دونَ أن يكونَ فى جيبه مليم واحد . تصوَّرْ ! إنه لأجل أن يشترىَ لى كتاب المطالعة قد باع معطفه ، وبقىَ بغير معطف .

— مسكين ! إنى متألمٌ لحاله . خُذْ ! هاكَ خمسة جنيهات ذهبيَّة . اذهَبْ إليه مسرِعاً وأعطِه إياها ، وبلغه سلامى .

لقد شكر پينوكيو « لآكل النار » معروفه ألف مرةٍ ومرةٍ ثم راح إلى جميع أرجوزات الفرقة يقبِّلهم الواحدَ بعد الآخر . حتى الشرطيَّان احتضنهما كذلك وقبلهما . ثم انصرف إلى البيت يكادُ يطيرُ من شدّة الفرَح .

لكنَّه ما إنْ سار قليلاً حتى قابل ثعلباً يعرج وقطًّا أعمى ، يمشيان معا ، ويتكئ كل منهما على صاحبه بقدْر ما يحتمل . فلما اقتربا من پينوكيو قال الثعلب فى أدب كثير :

— صباح الخير يا بينوكيو !

— آه ! أنت تعرفُ اسمى ؟ كيف عرَفتَه ؟

— بل إنى أعرِفُ أباك أيضاً معرِفةً جيدةً .

— وأين رأيتَه ؟

— رأيتَه بالأمس واقفاً بباب بيته .

— وماذا كان يعمل ؟

— كان لابساً قميصه ، وكان يرجفُ من شدّة البرد .

— مسكينٌ أبى ، لكنه بحمد الله لن يرجفُ بعدَ اليوم أبداً .

— ولماذا ؟

— لأننى أصبحت غنيًّا .

— أنت ؟ ! غنى ؟ !

وأخذ الثعلب يضحـَك باحتقار . وكذلك ضحك القطّ ، لكنه وضع كفّه على شاربيْه لكى يُخفِى ضَحكه . فتضايق بينوكيو وصاح قائلاً :

— ليس فى الأمر ما يُضحِك . هذه — إذا كنتما تعرِفان مثل هذه الأشياء — جنيهاتٌ خمسة ذهبية جميلة .

وأخرَج من جيبه النقود الذهبية ، التى أعطاه إياها « آكل النار » . فلما سمع الثعلب رنينَ الجنيهات الذهبية الجميل ، تحرّكت قدمُه العرجاء

من غيرِ أن ينتبه ، وفتَح القطّ عينيْه واسعتين ، لكنه ما لبث أن أغمضهما بسرعة ، قبل أن يلحظ بينوكيو ذلك .

وسأل الثعلب بينوكيو قال : «وما الذى تنوى أن تفعلَه بهذه الجنيهات ؟ » .

قال الأرجوز : « إننى أولا وقبلَ كلّ شىءٍ أنوى أن اشترىَ لأبى معطفاً جديداً جميلا ، معطفاً مصنوعاً من الذهب الخالص بأزرارٍ من الألماس . ثم أشترىَ لنفسى كتاب مطالعةٍ جديدٍ » .

– لنفسك ؟

– بالتأكيد ! فإننى أنوى الذّهاب إلى المدرسة ، والاجتهاد فى دروسى .

– انظُر إلىّ أنا ! لقد كان حبى السخيف للدروس والمدرسة سبباً فى أنى فقدتُ كل فائدة من رجلى هذه !

وقال القط : « وانظر إلىّ أنا ، فإننى بسبب حبى السخيف للدروس والمدرسة فقدتُ بصرى وخسِرتُ عينىّ ! » .

وفى هذه الأثناء كان عصفورٌ أسودُ جالساً على حافة سورٍ من الزرع قائم على جانب الطريق ، وكان ينظر إليهم ويستمع لحديثهم . فلما انتهى القط من

عبارته ، راح العصفور يغرّد كعادته ويقول : « يا پينوكيو ، يا پينوكيو ، لا تستمع لنصائح رُفقاء السوء ، وإلا ندمتَ ندماً شديداً ! » .

ألا ليتَ العصفور لم يقلْ ذلك ! فإنّ القط لما سمعه يقدّم لپينوكيو هذه النصيحة هجَم عليه فى قفْزةٍ طويلة ، وبلعَه دفعةً واحدةً بريشه وعظمه ولحمه ! ثم مسَح فمه وشاربيه وأغمضَ عينيْه ثانيةً ، وعاد أعمى من جديدٍ ، كما كان فى أول الأمر ... !

قال پينوكيو : « مسكينٌ العصفورُ الأسود ، لماذا فعلتَ به هذا ؟ » .

قال القط : « لأعطيَه درساً . لكيلا يتدخّل بين الناس حين يتكلمون ! » .

وكانوا قد بلغوا فى مشيهم أكثرَ من نصف المسافة إلى بيت پينوكيو ، فوقف الثعلب فجأة ، والتفت لپينوكيو وقال :

— هل تُحِبّ أن تضاعف جنيهاتك الذهبية ؟

— ما الذى تريد أن تقوله ؟

— هل تحبّ أن تجعل جنيهاتِك الذهبيةَ الخمسة التافهةَ هذه ، مائةً أو ألفاً أو ألفين ؟

— هل أحبّ ؟ ! ! طبعاً أحبّ ، ولكن كيف يمكن ذلك ؟

— ليس أسهلَ من ذلك فى الدنيا شىء ! إن كلّ الذى يجب أن تعملَه هو أن تجىء معنا الآن بدلاً من أن ترجِع إلى البيت .

— وأين تذهبان ؟

— إنّا ذاهبان إلى « بلاد الغفْلة » .

ففكر پينوكيو لحظة ثم قال : « لا ، لا أريد أن أذهب . إننى الآن

قد بلغتُ البيت تقريباً ، وأريد أن أذهب لأرى أبي الذى لا شكّ ينتظر الآن رجوعى . أنا أعرفُ أنى كنت ولداً شريراً . إن الصرصور المتكلم كان على حق عند ما قال : إن الأطفال الذين لا يُطيعون أهليهم ، لن يَسعَدوا فى حياتهم أبداً . والآن فقط عرَفت ذلك وتأكدت منه بعد أن دفعت الثمن غالياً ، فلقد قاسيْت كثيراً من المتاعب ، حتى لقد كنت فى الليلة الماضية معرضاً لخطر شديد جدًّا فى بيت آكل النار» !

قال الثعلب : «وهو كذلك ! تريد الرجوع إلى البيت ، فليكن . ارجعْ إذنْ ! اذهبْ ! أسرعْ ! ولكن لا تلومنّ بعد ذلك إلا نفسك ! » .

وقال القط مكرراً : «لا تلُومَنّ إلا نفسك ! » .

— فكّرْ جيداً يا پينوكيو ، إنك تدير ظهرَكَ للغنى والثراء !

فقال القط : «للغنى والثراء ! » .

— إنّ جنيهاتك الذهبية الخمسة تصبح ألفين فى يومٍ واحدٍ فقط !

فقال القط : «يوم واحد فقط ! » .

وبقى پينوكيو ساكتاً لحظة ثم قال : «ولكن كيف يمكنُ أن تصبح بهذه الكثرة ؟ » . ثم فتح فمه دهشةً .

قال الثعلب : «سوف أشرَح لك الأمر فى الحال . إن هناك فى "بلاد الغفلة" تلك ، غيطاً سحريًّا اسمه "غيط المعجزات" ، إن حفَرت فيه حفرةً صغيرةً ، ووضعتَ فيها مثلاً جنيهاً ذهبيًّا ، ثم أعدت عليه التراب ورششتَ الماء فوقه رشًّا من الينبوع الموجود هناك ، مع قليلٍ من الملح ،

فاذهب إلى فراشك بعد ذلك ونم نوماً هنيئاً مطمئنا . فإنّ الليل إذا جاء نما الجنيه وازدهر . فإذا رُحتَ فى الصباح إلى الغيط ، فماذا ترى ؟ ترى شجرةً كبيرةً جميلةً كثيرةَ الفروع ، محملةً بالجنيهات الذهبية لا عددَ لها ، كأنها سنابل القمح بحباتّها ! »

قال پينوكيو : «فإذا أنا دفنت جنيهاتى الذهبية الخمسة فى ذلك الحقل ، فما عدد الجنيهات التى أجدها فى الصباح ؟ » .

قال الثعلب : « مسألة بسيطة جدًّا ، ومشكلة حلها سهل ، بل إنى ليمكننى أن أعدّ ذلك على أصابع يدىّ . اسمع ! افرض أنّ كلّ قطعة ذهبية تُصبح عنقوداً به خمسمائة قطعة ؛ ثم اضرب الخمسمائة فى خمسة . فما النتيجة ؟ ألفان وخمسمائة ! أليس كذلك ؟ إنك يا پينوكيو سوف تجد هناك فى الصباح ألفين وخمسمائة من جنيهاتك الذهبية الجميلة بدلاً من جنيهاتك الخمسة التافهة هذه ، تَبْرُق بريقاً جذّاباً ، وترنّ رنيناً موسيقيًّا ساحراً !!!

كاد عقل پينوكيو أن يطير من شدّة الفرَح ، وأخذ يرقُص طرباً ويقول : « عظيم جدًّا !!! إنى متى أحصُد هذه الجنيهات الذهبية أهدِكما منها خمسمائة وأحتفظ لنفسى بالألفين الباقية . فما قولكما دام فضلكما ؟ ».

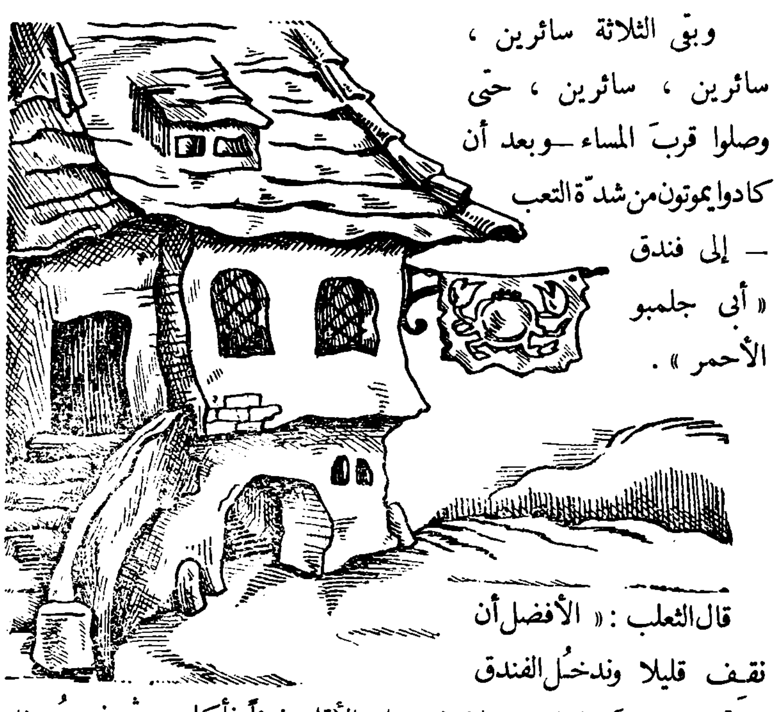
فقال الثعلب باحتقارٍ : « تهدينا خمسمائة ؟ !! وهل تظننا ننتظر منك هديةً مقابل خدمتنا لك ، إنك يا أخى تهيننا ! سامحك الله ! » .

قال القط : « سامحك الله ! » .

فبقى پينوكيو يفكر لحظة ثم قال : « ما أطيَب قلبيكُما ! » .

ونسِيَ أباه ومعطفه الجديدَ وكتابَ المطالعة ، وكلَّ ما كان ينوِى عمله من الأفعال الصالحة الجميلة ، وقال لصاحبيه الجديدين ، الثعلب والقط : « وهو كذلك ! دُلانى على الطريق ، فإنى ذاهبٌ معكما ! »

١٣



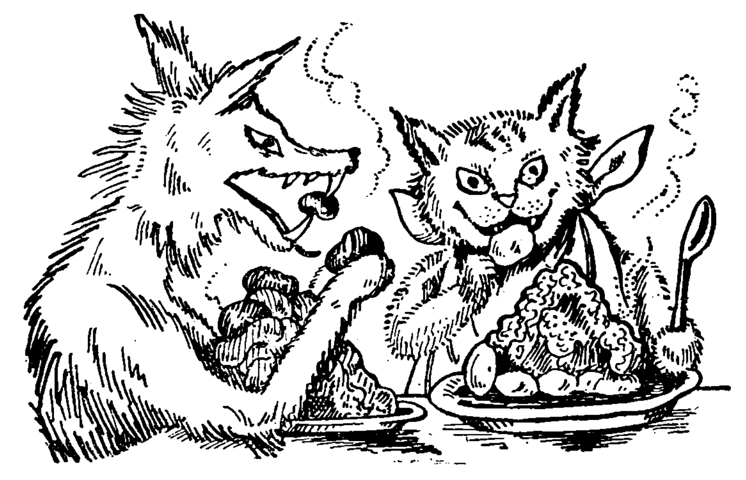
وبقى الثلاثة سائرين ، سائرين ، سائرين ، حتى وصلوا قربَ المساء ــ وبعد أن كادوا يموتون من شدّة التعب ــ إلى فندق « أبى جلمبو الأحمر » .

قال الثعلب : « الأفضل أن نقف قليلا وندخُل الفندق لنستَريح بضعَ ساعاتٍ . إن فيه على الأقل شيئاً نأكله ، ثم نعودُ عند

مُنتصف الليل فنبدأ مشينا من جديدٍ ، كي نَتمكن من الوصول إلى " غيْط المعجزات" عند شروقِ الشمس » .

ودخلوا الفندق ، وجلسوا إلى مائدةٍ . ولكن لم تكن لأحدٍ منهم شهوة مفتوحة .

فالقط كان بـَطنه يـُوجعه جداً ، فلم يأكل إلا خمسةً وثلاثين سمكةً مطبوخة « بصلصة » الطماطم ، وأربعة أطباق من الكرش ، فوقها كثيرٌ من مسحوق الجبنة الرومىّ . لكنه لما وجد أن الكرش غير مُتقن الصنع طلب ثلاثَ مرات زبداً وجبناً مفروماً .



أما الثعلب ، وكان فى العادة يأكل كلّ شىء ، فإنه « المسكين ! » ـــ لما كان الطبيب قد أمره بالاقتصاد فى الأكل ـــ قد اكتفى بأرنبٍ كبيرٍ

فى « الصلصة » يحيط به عدد من فِراخ الرّبيع السمينة ، ثم طاب بعد هذا الصحن ـ لكى يفتح شهْوَته ـ طبقاً من الديك الرومى والبلبول والضفادع والسحالى وعنَب الجنّة . فلما فرَغ من أكلها جميعاً ، رفض أن يأكُلَ بعد ذلك شيئاً ...

وأما پينوكيو فكان الوحيد الذى أكل . لقد طلب رُبع أوزّة وقطعةً صغيرةً جدًّا من الخبز . ثم ترك هذا كله فى الصحن لم يقربْه ! لقد كانت أفكاره كلها محصورةً فى غيط المعجزات ! وكان يشكو تخمةً ستجيئه من كثرة الجنيهات الذهبية المنتظرة !

ولما فرغوا من تَناوُل عشائهم ، قال الثعلب لصاحب الفندق :

ـ أعطنا غرفتين جميلتين من غُرَف النوم ، واحدة للسيد پينوكيو ، والأخرى لى ولصاحبى . إننا سننام فترةً صغيرةً ، فلا تنس أن تُوقِظنا عند منتصف الليل تماماً ، لنتمّ رحلتنا .



قال الرجل : «حسناً يا سيدى !» ثم غمزَ بعينه للثعلب والقط ، وكأنه يقول : « أنا فاهمٌ ما تعمَلان » .

وما إنْ دخل پينوكيو فراشه حتى نام نوماً عميقاً ، وراح يحلُم

أحلاماً لذيذةً : من ذلك أنه فى وسط غيط كبيرٍ ملآن بالأشجار ، فروعُها محملةٌ بالجنيهات الذهبية الجميلة ، تتمايل فى لطفٍ مع النسيم العليل ، وترنّ رنيناً بديعاً وكأنها تقول : « كلّ من أراد فليحضُرْ إلينا وليأخذ ما يشاء ! » . لكنه فى اللحظة الهامة جداً ، أعنى حين مدّ يدَه ليجمعَ من الجنيهات الذهبية ما يُريد ، أيقظتْه من الحلم اللذيذ ثلاث دقّات شديدة على باب غرفته .

إنّه صاحب الفندق جاء ليوقظه فى مُنتَصف الليل كما طلب منه .

قال بينوكيو : « وأين صاحباى ؟ هل أيقظتَهما ، وهل استعدّا ؟ » .

ــ استعدّا ؟ ! لقد رحلا من ساعتين !

ــ من ساعتين ؟ ! ! وما سبب عَجَلتهما ؟

ــ لقد وصلت إلى القط رسالةٌ بأن أخاه الأكبرَ الذى كان يشكو « القشف » مريضٌ ولا يُنتظرُ أن يعيشَ .

ــ وهل دفعا ثمنَ العشاء ؟

ــ ماذا تقول ؟ ! !وهل يُمكن أن يدفعا ثمنَ العشاء وأنت يا سيدى موجود؟ إنّ أدبهما يمنعهما أن يوجّها مثل تلك الإهانة إلى سيّدٍ كريمٍ مثلك .

ــ شىءٌ يُؤسَف له كثيراً ، إن مثل هذه الإهانة أرحّب أنا بها كلّ الترحيب ، هى تَسرّنى كثيراً !

وحكّ بينوكيو رأسه فترةً ثم قال :

ـ ألم يَقلْ لكَ الصديقان الطيّبان شيئاً عن المكان الذى سينتظرانى فيه ؟

ـ نعم . إنهما بانتظارك فى « غيْط المعجزات » غداً عند شروق الشمس .

فدفع پينوكيو ثمنَ عشائه وعشاء زميليه جنيهاً ذهبيًّا ، ثم تركَ الفندق ورحلَ .

لقد كان مُضطرًّا أن يتحسّس طريقه ، فقد كان الظلام حالكاً حتى ليستحيل على الإنسان أن يرى يدَه ، ولو وضعها أمامَ وجهه ! وكلّ ما أمكنه سماعُه فى هذا الريف هو السكوت الكامل التام ؛ حتى أوراق الشّجر لم يكنْ يُسمع اهتزازها مع الريح ! اللهم إلا بضعة من الطيور ، كانت تُرفرف بجناحيْها طائرة من شجرةٍ فى جانب الطريق إلى شجرةٍ فى الجانب الآخر ؛ فتلمس بجناحيها أنف پينوكيو فتردّه إلى الوراء خوفًا وفزعاً فيصيح قائلا : « من ذا الذى يمشى هناك ؟ » .

ورأى أثناء مشيه شيئاً صغيراً فوق جِذْع شجرةٍ يبرق بنورٍ أصفرَ ضئيل ، كأنه مصباحٌ ليلىٌّ زجاجته من الصينى لا من الزجاج .

قال پينوكيو : « من أنت ؟ » .

فجاءه الرد فى صوت خافتٍ واطئ ، كأنه يجىء من دنيا غير هذه الدنيا ، قال : « أنا شبح الصرصور المتكلم » .

ـ وماذا تريد منى ؟

ـ أريد أن أوَجِّه إليك نصيحتى . ارجعْ إلى البيت حالاً ، واحمل الجنيهات الذهبيَّة الباقية إلى أبيك المسكين ، الذى يبكى من أجلك بكاءً مرًّا .

إن أبى سوف يُصبح سيداً غنيًّا غداً فى الصباح ، لأنّ هذه الجنيهات الذهبية الأربعة سوف تصبح ألفين .

ـ يا بنىّ لاتأمن أناساً يَعِدُونك بالغنَى يوماً . إنهم قومٌ نصّابون استمع لى يا ولدى ، وارجع إلى البيت .

ـ لا ! سأسير فى طريقى هذا .

ـ إن الوقت متأخرٌ .

ـ سأسير فى طريقى .

ـ والليلة كما ترى ظلماء .

ـ سأمشى فى طريقى .

ـ والطريق خطرة ....

ـ إنى سائرٌ فى طريقى .

ـ تذكر أنّ الأطفال الذين يفعلون ما يشتهون، يندمون اليوم أوغداً.

ـ هذه حكاية قديمة ! سعدَتْ ليلتك ، أيها الصرصور !

ـ سعدَتْ ليلتك ياپينوكيو ، ولْيحفظك الله من القتَلة ومن الضباب !

وما لبِث النورُ الأصفر الباهِت أنِ انطفأ ، كما ينطفىء نور الشمعة الخافت ، وآختفى الصرصور المتكلم . واشتد الطريق ظلاماً على ظلامٍ .

١٤

كان بينوكيو يُحدّث نفسه في أثناء رحلته إلى غيط المعجزات : «ما أتعسَنا نحن الأطفال! مساكين! كلُّ إنسان يؤنّبنا ويحذّرنا وينصحنا ! إنك إن سمِعتهم يكلمونك حسبتهم جميعاً آباءنا أو مدرّسينا — كلّ واحدٍ منهم ! حتى الصراصير المتكلمة ! والفكرة في ذلك ؟! إنّ مجرّد عدم استماعي لنصائح هذا الصرصور المتكلم المزعج سيكون سبباً — من يدري ، كما يقول — في نزول المصائب بي ، فأنا سألاقي القتلة ! لكنني من حُسن حظّي لا أعتقد ، ولن أعتقدَ أبداً ، بوجود القتلة ! إن القتَلة شيء اخترعه آباؤنا ليُخيفونا به ، حتى لا نخرُج وحدَنا بالليل . بل افرضْ أنني قابلتهم ، فهل تظنني أخاف منهم ؟ لا ، أبداً ! إنني ، على العكس ، بسأتقدم إليهم وأقول : «يا حضرات القتَلة ، ماذا تريدون مني ؟ لا تنسوا أنني لا أحِبّ المزاح ، فأهدأوا وانصرفوا إذن لحال سبيلكم ! » ولا شك أن القتَلة المساكين ، إذا سمعوني أكلمهم بهذه الشِّدّة ، فإنهم سيهربُون . إنني أتصوّرهم الآن يسابقون الريحَ فراراً مني ! فإن وقفُوا لي ولم يهرُبوا ، فسأهرُب أنا ، وبهذا ينتهي كل شيء ! » .

ومع أنّ بينوكيو كان يريد أن يستمر في حديثه هذا مع نفسه ، فقد سكت فجأةً ، ذلك بأنه سمع حفيفَ أوراق الشجر وراءه عالياً .

والتفت وراءه بسرعة ، فرأى « شكلين » مُرعبيْن أسوديْن ملتفيْن فى كيسيْن من أكياس الفحم ، يمشيان نحوْه قفزاً على أصابع أقدامهما ، كأنهما شبحان ! فقال لنفسه : « إنهم القتلة ، بغير أدنى شكّ ! » .

وتذكّر جنيهاته الذهبية ، فلما لم يجد مكاناً يُخَبّئها فيه ، وضعها فى فمه تحت لسانه .

وأراد أن يجرىَ . لكنه ما لبث أن أحسّ يداً تُمسِك ذراعه ، ثم سمع صوتين مخيفين يقولان له : « نقودَك أو حياتك ! » .

كان پينوكيو عاجزاً عن الكلام ، لأن نقوده كانت فى فمه . فانحنى للشبحين ألفَ مرةٍ ومرةٍ ، وأشار إليهما ألف إشارة ، لكى يُثبت للصين المقنّعين — اللذين لم يكن بإمكانه أن يرى منهما غيرَ أعينهما من خروق الكيسين — أنه مسكين لا يملك مليماً واحداً .

قال اللصان مهدِّديْن : « خلّ عنك هذه المحاولات الفاشلة وسلم نقودَك » .

لكنّ پينوكيو استمر يشير لهما ويحرك يديه وذراعيه ورأسه كأنما

يقول : « لا أملك مليماً واحداً » .

قال أطول اللصين قامة : « سلِّمْ نقودك وإلا فأنت ميت ! » .

قال الآخر : « أنت ميت ! »

– وبعد أن نقتلك نقتل أباك كذلك .

– أباك كذلك !

فصاح پينوكيو يائساً : « لا ، لا ، لا ، لاتقتلا أبي المسكين! لا ! ».

وحينئذ سمع اللصان رنين الذهب فى فمه ، فقال اللص الطويل القامة :

– آه ، أيها اللعين ، إنك تخبئ نقودك تحت لسانك ! ؟ أخرجها حالا ! » .

فلم يهم پينوكيو لهذا ، وبقى ساكتاً ، فقال اللص :

– آه ، أنت لاتفهم ما أقول ؟؟! انتظرْ لحظة ، فسنعلّمك كيف تُخرجها فى الحال !

ثم إنه أمسك پينوكيو من طرف أنفه الطويل ، وأمسكه اللص الثانى من ذقنه ، وراحا يشدانه بغير رحمة ، الأول فى اتِّجاه ، والثانى فى اتجاه آخر ، لكى يرغماه على فتح فمه . ولكنهما لم يقدرا . فإنّ فم پينوكيو كان مقفلا إقفالاً محكماً ، كأنما كان مسمَّراً و « مبرشما » .

وحينئذ أخرج اللص القصير القامة من جيبه سكيناً ، حاول أن يفتح بها فم پينوكيو ويباعد ما بين شفتيه ، لكنّ پينوكيو كان أسرع من البرق ، فعضّ يد اللص عضّةً شديدةً فقطعها . وتصوّروا يا أصدقائى

دهشته حين نظر إلى اليد المقطوعة فوجدها مِخْلب قط!

وشجَّعه هذا النصرُ الأول الذى فاز به، فما زال بنفسه حتى خلَص من قبضات اللصَّين. ثم قفزَ فوق الجدار الذى كان بجانبه، وهرب مخترقاً الغيطان، ومن ورائه اللصان. وكان اللصّ القصير القامة، الذى فقدَ مِخلبه، يجرى برجلٍ واحدةٍ! وهو — كما تروْن — أمرٌ عجيبٌ!

وظلّ الثلاثة يجرُون حتى تعبَ بينوكيو وأنهكه التَّعب. فلما رأى أنه ضائعٌ تسلّق شجرةً من أشجار الصنوبر العالية، وجلس فى رأسها فوق أحَدِ الفروع. وحاول اللصّان تسلُّق الشجرة وراءه، لكنهما لما وصلا إلى منتصف الجزْع، انزلقا ووقعا على الأرض، بعد أن تسلّختْ أيديهما وأرجلهما.

ومع ذلك فلم ييأسا ولم ينصرفا. بل جمعا كومةً من الحطب عند سفح الشجرة، ثم أشعلا فيه ناراً. ولم تلبث النار أن أمسكت بالشجرة كلها فاشتعلت، وصارت كأنها الشمعة فى الهواء فلما رأى پينوكيو اللهب يرتفع إليه بسرعةٍ ويكاد أن يبلغه، ولما لم يكن فى نيته أن ينشوِى كأنه حمامة أعِدّتْ للعشاء، فقد قفز من قمة الشجرة إلى الأرض، وأطلق ساقيه للريح وسط الغيطان ومزارع العنب، ومن ورائه اللصان يتابعانه، وكأنهما لم يشعرا بالتعب.

وأوشك الفجر أن يطلع، وما زال الثلاثة يجرُون. ورأى پينوكيو فجأةً الطريق أمامه مسدودةً تعترضها حفرةٌ واسعةٌ عميقةٌ، يملؤها ماءٌ قذر.

فصاح قائلاً : « واحد ، اثنين ، ثلاثة ! » ثم انطلق إلى الأمام كأنه الريح المندفعة ، وقفزَ قفـْزة طويلة بديعةً من فوق الماء . وقفز اللصان وراءه ، لكنهما لم يـُحسنا تقدير المسافة ، فوقعا فى وسط الماء تماماً !

وسمع پينوكيو وراءه صوتَ وقوعهما فى الماء ، فاستمرّ يجرى ويضْحـَك ويقول لهما : « نعماً أيـُّها اللصان العزيزان ! » .

وحسب أنهما غرِقا . فلما التفت ليراهما يـَغرَقان ، وجدهما يجريان وراءه ، ملتفـّين فى كيسَى الفحم ، يتساقط الماء منهما كما يتساقط من سلـّة مخروقة .

١٥

شعر پينوكيو أن لا أملَ له فى النجاة هذه المرة . وكان على تمام الاستعداد لأن يرمىَ نفسه على الأرضَ ويستسلم ، لو لم تقعْ عيناه فجأةً على بيت ٍ صغيرٍ جميل ، أبيض كالفلّ ، قائم أمامه على بـُعـْد بين الأشجار الخضراءِ المتشابكة .

قال لنفسه : « لو بقىَ لى من الأنفاس ما يكفينى للوصول إلى ذلك البيت نجوْت ! » .

وزاد من سرعته واللصان يـُلاحقانه .

وبعد جرْى ٍ يائس ٍ ، دام ساعتين تقريباً ، وصل المسكين أخيراً إلى



بابَ البيت الصغير ، وقد أنهكه التعبُ الشديدُ .

ودقّ الباب . لكنْ لمْ يُجبه أحد .

ودقه مرة ثانية دقًّا عالياً ، لماسمع وراءه وقعَ خطوات اللصين وأنفاسهما المتعبة . ولكن كل شيء فى البيت ظلّ ساكناً كما كان .

فلما رأى أن الدّق لم يُفدْه شيئاً ، بدأ يرفس الباب بقدمه هذه مرة ، وبقدمة الأخرى مرة ثانية . وعندئذ أطلّت من الشباك طفلةٌ لطيفةٌ جميلةٌ ، شعرُها أزرقُ ووجهها أبيضُ كالشمع ، وقد أغمضتْ عينيها ووضعت على صدرها يديها ، وقالت ، من غير أن تحرّك شفتيها ، بصوتٍ خافتٍ واطئٍ كأنه يجيء من عالمٍ آخر :

– ليس فى هذا البيت أحدٌ ، إنهم جميعاً قد ماتوا .

فصاح پينوكيو باكياً متوسّلاً قال :

– ولكن ستسمحين لى على الأقل بالدخول !

– وأنا أيضاً ميتة !

– ميتة ؟ ! إذن ما الذى تفعلينه بالشباك ؟

– أنتظرُ مجيء عربة الموتَى لتحملنى .

وما إنْ فرغَت الطفلة الجميلة من كلامها حتى اختفت ، وانقفل الشباك فى هدوء .

فصاح پينوكيو متوسلا ، وقال : « أيتها الطفلة الجميلة ذات الشعر الأزرق الجميل ، افتحى لى الباب بالله عليك ! ارحمى ولداً مسكيناً يجرى وراءه قاتـ .... » .

لكنّه قبل أن يتمّ كلمته ، شعر بمن يُمسكه من رقبته ، وسمع الصوتين القاسيين يقولان : « لن تهرُب منا هذه المرة ! » .

فشعر أن نهايته قربت ، وبدأ يرجُف خوفاً ، ويهتزُّ فزَعاً ، حتى كنت تسمع « طقطقة » مفاصل رجليه الخشبيتين ، ورنين الجنيهات الذهبية فى فمه .

قال اللصان : « والآن ، أتفتح فمك أم لا تريد أن تفتحه ؟ إنك لا تُجيب ، حسَنٌ جداً ، إذن فاترك الأمر لنا ، إننا سنفتحه لك هذه المرة ، أردت أم لم تُرِدْ ! » .

وأخرجا من جيبهما سكينين طويلتين ، حادتين كأنهما الموسَى ، وخبطاه بهما بوحشيّة فظيعة .

لكن پينوكيو كما تعرفون يا قرائى الأعزاء كان لحسن الحظّ مصنوعاً من أنشف أنواع الخشب وأشده صلابةً ، فتكسرت السكينان على جسمه ، وأصبحتا ألفَ قطعة وقطعة ، ولم يبقَ منهما بيد اللصّين القاتلين غيرُ مِقبَضيهما ، من غيرِ أن يصيبه أىّ أذًى . .

وقف اللصان القاتلان أمامه يُحملقان فيه مدهوشين ، وينظر أحدهما إلى الآخر متعجباً !

قال أحدهما : « يجب أن يُشنَق ، يجب أن يُشنَق ! » .

فقال الآخر : « أن يُشنق ! » .

ثم أمسكاه وربطا يديه وراء ظهره ، ووضعا حول رقبته حلقةً من الحبل المتين ، وعلقاه فى فرع شجرة باوطٍ كبيرة .

ثم جلسا بجواره على العُشب الأخضر ينظران إليه ، وينتظران أن يتوقف عن تحريك يديه وقدميه فى الهواء . لكنهما بعد ثلاث ساعات ، نظرا إليه فوجدا عينيه مفتوحتين واسعتين ، وأنه لا يزال يحرّك يديه ورجليه تحريكاً يدلّ على القوة والعافية ! ! !

فلما تعبا من طول الانتظار ، التفتا إليه وقالا مستهزئين : « إلى اللقاء غداً إن شاء الله ، سنجىء إليك فى الصباح ، ونرجو أن يكون فكرك حينئذ قد هداك إلى أن الأفضل لك ولنا أن تموت ، بعد أن تترك لنا فمك مفتوحاً على مصراعيه . إلى اللقاء يا پينوكيو العزيز ! » .

وانصرفا .

وبدأت ريح الشمال تهب باردةً قارسةً ، وتصفّر شديدة ، فتطوح پينوكيو المسكين إلى الأمام وإلى الوراء كأنه مِدَقّ الجرس . وشدّت حلقة الحبل على عنقه شدًّا ، حتى كادت أنفاسه أن تمتنع . وأخذت عيناه تُظلمان قليلاً قليلاً .



لكنه مع كل هذا ، كان يأمل أن تُنقِذه في آخر لحظة نفسٌ كريمة.
وبقي ينتظر ، وينتظر ، وينتظر ، من غير أن يأتيه أحدٌ على الإطلاق.
وحينئذ تذكر أباه المسكين ، وتمتم ، وهو على وشك الموت ، قال :
« آه يا أبي ، لو كنتَ هنا ! » .

ولم يُمكنه أن يزيدَ على ذلك حرفاً واحداً . فأقفلَ عينيه ، ومدّ رجليه ، وأخذ جسمُه كله يرجُف ! وتيبَّس حتى صار كقطعة الرّخام الصّلبة الباردة .

١٦

بينما كان بينوكيو المسكين — بعد أن تركه القاتِلان مُعلقاً في شجرة البلوط الكبيرة — أقربَ إلى الموت منه إلى الحياة ، أطلت الطفلة الجميلة ذات الشعر الأزرق من الشباك مرة ثانية . فلما رأته في تلك الحال ، شعرت بالألم لِما أصاب «الأرجوز» التعس ، الذى كان يترنّح على النغمة التى تعزِفها رياح الشمال الباردة الشديدة ، فصفّقت بيدها ثلاث مرات تصفيقاً خافتاً.

وعندئذ سُمع صوتٌ كأنه حفيف أجنحةٍ تُسرع ، وظهر في الحال صقرٌ كبيرٌ ، حطّ على حافة الشباك ، وقال :

«أمرك أيتها الإنسِيّة الجميلة !» ثم خفّض مِنقارَه احتراماً وإجلالاً .
(لأنكم يا قرائى الأعزاء ، يجب أن تعرِفوا أن الطفلة الجميلة ، ذات الشعر

الأزرق، لم تكن إلا « إنْسِيَّةً » رقيقة ، عاشت فى تلك الجهة المُجاوِرة للغابة أكثر من ألف سنة وسنة) .

ــ هل ترى ذلك الأرجوز المعلق هناك فى شجرة البلوط الكبيرة ؟

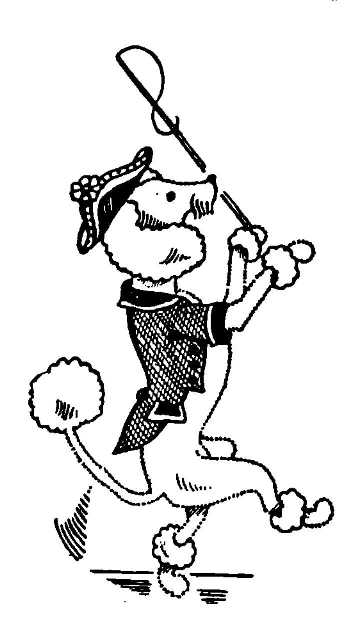
ــ نعم أراه .

ــ اذهبْ إليه فى الحال ، واقطع بمنقارك القوىّ عقدة الرباط الذى يمسكه ، ثم ضَعهُ برفق وحنان على الأرض بجوار الشجرة .

فطار الصقر ثم رجع بعد دقيقتين يقول :

ــ نَفَّذْتُ أمرَكِ ، أيتها الإنسية الجميلة !

ــ وكيف وجدتَه ، حيًّا أم ميتًا ؟



ــ عند النَّظر إليه يحسبه الإنسان ميتاً ، لكنه فى الحقيقة لا يمكن أن يكون قدمات تماماً . لأنى عندما فككْتُ الرباط ، تنفَّس وتمتم قائلا : « الحمد لله ، الآن أشعر أننى أحسن ! » .

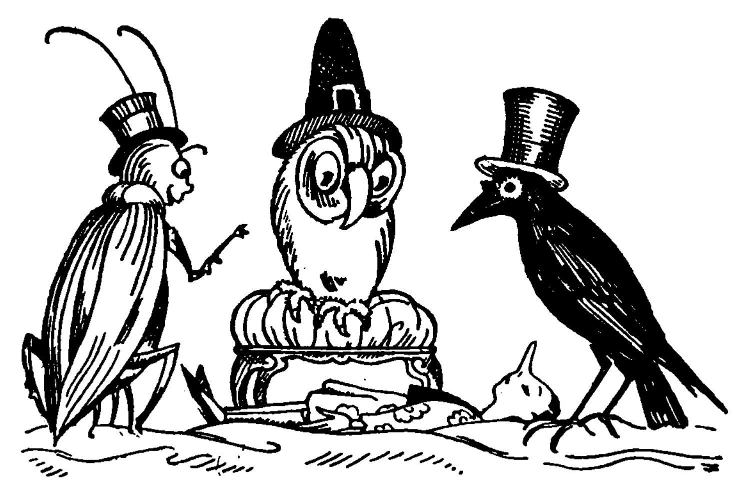
فصفّقت الإنسية بيديها الصغيرتين مرتين ، فظهر فى الحال كلب ضخم جميل ، يمشى واقفاً على قدميه الخلفيَّتين ، كأنه رَجُل ، ويلبس ثوباً من الثياب المُزَخرفة التى يلبسها الحوذىّ فى الحفلات ،

وعلى رأسه قبعة عالية ذات أركان ثلاثة ، لها حافة ذهبية ، وتحت القبعة شعر مستعار أبيض كالفل ، أما سترته فكانت بلون « الشكولاته » . وأما أزرارها فمن الألماس ، ولها جيبان واسعان ، يحمل فيهما كل ما أعطته إياه سيدته الجميلة من عظم لعشائه ، وكان سرواله (بنطلونه) القصير من القطيفة الحمراء الثمينة . وأما جوربه فمن الحرير . وأما حذاؤه فمن الجلد اللامع الجميل . وكان له وراء ظهره ما يشبه المظلة مصنوعة من الحرير الأزرق ، يُخبئُ فيها ذيله كلما أمطرت السماء .

قالت الإنسية : « أسرع يا ميدُورو ! أخرِجْ فى الحال أجمل عرَبَاتى ، ورُح إلى الغابة تجدْ عند شجرة البلوط أرجوزاً مسكيناً نصف ميت ، نائماً على الأرض . ضَعْهُ برفق فى العربة فوق المخدّات ، وأحضِرْهُ إلىّ حالا . أفاهم أنت ؟ » .

فهزّ الكلب الكيس الحريرى الأزرق الذى وراءه ثلاث مرات أو أربع ، دلالة على أنه فهم ما تقول ، ثم راح يجرى مُنْطَلِقاً كالرصاصة .

ولم تَمْضِ على ذلك لحظات قليلة حتى كانت قد خرجت من الإصطبل عربة فخمة ، لونها شفاف كالهواء ، مفروشة بأفخر أنواع ريش عصفور الكنار ، أما بطانتها فمن القشدة المضروبة والمهلبية مع الكعك الحلو . وكان يجرها من الفئران البيض مائة زوج وزوج ، فى حين كان الكلب الفخم جالساً فوق صندوق الحوذى يضرب سَوْطه فى الهواء فوق رُؤوس الفئران ، فيُحدِثُ به صوتاً عالياً مدَوّياً ، وكأنه حوذى حقيقى .



وفى أقل من ربع ساعة رجعتِ العربة ثانية تحمل « الأرجوز ». وكانت الإنسيةّ تنتظر بالباب رُجوعَها ، فلما رأتها أسرعتْ إليها وفتحت بابها ، وحملت « الأرجوز » فوق ذراعيها إلى غرفة صغيرة ، حيطانها من الصدف . ثم أرسلت تدعو فى الحال ثلاثة من كبار الأطباء وأشهرهم .

وجاء الأطباء مُسرعين : غرابٌ وبومة وصرصورٌ مُتَكلِّم ! ! !

ووقف الأطباءُ الثلاثة بجوار سرير « الأرجوز » ، فقالت الإنسيّةُ الجميلة : « أريد ، أيها السادة ، أن تقولوا لى ألا يزال الأرجوز حيًّا ، أم أنه مات » .

واقترب الغراب من سرير المريض ، وجس نبضه ، ثم أنفه ، ثم خِنصر قدمه . ثم قال فى صوتٍ رهيب : « رأيى أن هذا الأرجوز قد

مات وانتهى . فإن لم يكن – لسوءِ الحظ – قد مات ، كان ذلك دليلا مُؤكداً على أنه لا يزال حيًّا ! » .

واقتربتِ البومة من سرير المريض وقالت : « أنا آسفة يا سيِّدى الغراب . فرأيِى فى هذه الحالة غير رأيِك ، مع كل ما لكَ عندى من الاحترام والتَّقْدير ، فأنت زميل عظيمٌ ، وصديق عزيز . لكننى مع ذلك أرى أن الأرجوز لايزال حيًّا . فإن لم يكن – لسوء الحظ – حيًّا ، كان ذلك دليلا مؤكداً على أنه قد مات وانتهى ! » .

فالتفتت الإنسيَّةُ إلى الصرصور المتكلم وقالت : « وأنت يا سيِّدى ، أليس عندك ما تقوله ؟ » .

قال الصرصور : « أعتقد أن الطبيب العاقل يُفَضِّل أن يسكت إذا لم يجد شيئاً يقوله . على أن ملامح هذا الأرجوز ليست جديدة بالنسبة إلىّ ، لقد رأيته من قبل . نعم رأيته من قبل ! » .

وكان پينوكيو قد بقى إلى تلك اللحظة مُتَيَبِّساً كأنه قطعة خشب حقيقية لا حياة بها . لكنه فى هذه اللحظة انتفض انتفاضة شديدة ، هزّت السرير كله .

وقال الصرصور متمِّماً كلامه : « هذا الأرجوز " نصّاب " بارع ومحتال ماهر . . . »

وفتح پينوكيو عينيه ، لكنه ما لبث أن أغمضَهما فى الحال !

« ... إنه محتال ، مراوغ ، فاسد ، متشرد ، شرير . . . ! »

فأخفى پينوكيو وجهه تحت الملاءة .

« . . . وهو ابن عاق غير مطيع ، سيكون سببَ موت أبيه المسكين حسرةً وألماً ! » .

حينئذ سمع الحاضرون صوتَ بكاءٍ خافتٍ وعويلٍ مكتوم. ولكمْ أن تتصوروا دهشتهم حين رفعوا الملاءة فرأوا أنّ پينوكيو هو الذى يبكى هذا البكاء !

قال الغراب فى صوت رهيب : « إن الولد الفاسد حين يبكى فهذا معناه أنه سيصبح ولداً صالحاً » .

وقالت البومة : « أنا آسفة يا سيدى الغراب ، فرأيى فى هذه الحالة غير رأيك ، مع كل ما لكَ عندى من الاحترام والتقدير ، فأنت زميل عظيم ، وصديق عزيز ، لكننى مع كل ذلك أرى أنّ البكاء فى مثل هذه الحالة دليل على أن الأرجوز لا يريد أن يموت » .

١٧

لما انصرف الأطباء من الغرفة ، جاءت الإنسيّةُ إلى سرير پينوكيو ، ووضعتْ يدها على جبهته ، فرأته مصاباً بحمّى حارقة !

فأذابت مسحوقاً أبيض فى نصف كوب من الماء ، وأدْنَتِ الكوب من شفتيه قائلة فى حنان :

ــ اشربْ هذا ، فتَشفى فى أيام ، وتعود لك صحتك .

نظر پينوكيو إلى الكوب ، وزمّ شفتيه . وقال متـأوِّهاً :

ــ أحلوٌ هو أم مرّ ؟

ــ مُرّ ، لكنه مفيد ، ولسوف يشفيك .

ــ إنْ كانَ مُرًّا فلا أريده .

ــ لكنه سيشفيك . استمع لنصيحتى واشربه .

ــ لكننى لا أحب المرّ .

ــ اشرَبْهُ أعْطِك قطعة من السكر تُغيّر طعم فمك .

ــ وأين قطعة السكر ؟

فتناولت الإنسية قطعة من السكر وقالت : « ها هى ذى ! » .

ــ أريد قطعة السكر أولا ، ثم أشرب هذا الماء المرّ .

ــ هل تَعِدُنى بشربهِ ؟

ــ نعم .

فأعطته الإنسية قطعة السكر ، فقضمها ، و « قرقشها » وبلعها فى أقل من لمح البصر ، ثم لحس أصابعه بعدها ، وقال :

ــ لو كان السكر دواء ، لمرضتُ كل يوم !

ــ والآن نفذْ وعدَك واشرب هذه النقط القليلة من الماء ، فإنها تَشفيك .

أمسكَ پينوكيو الكوب بيده ، ثم شمّ ما به ، وقرّبه من شفتيْه ، ثم شمَّه ثانية ، ثم قرَّبه من شفتيه ، ثم قال :

– إنه مرّ ، مرّ جدًّا جدًّا ، ولا أقدر على شُرْبه .

– كيف تقول ذلك وأنت لم تذُقْهُ ؟

– أعرف أنه مرّ . بإمكانى أن أشمّه فأعرف أنه مرّ . أعطينى قطعة أخرى من السكر ، وبعدها أشربه .

وأعطته الإنسية قطعة أخرى من السكر (فقد كانت كالأمّهات على جانب كبير من الصبر والرحمة والحنان) وضَعَتها فى فمه ، ثم قدّمتْ له كوب الدواء .

فصار يحرّك أعضاء وجهه أشكالا ثم قال : « لا ، لا ! لا يمكننى أن أشربه وأنا على هذه الصورة » .

– والسبب ؟

– السبب أن هذه المخدّة الموجودةَ على قدمىّ تُزْعِجنى .

وشالتِ الإنسية « المخدّة » .

– لا فائدة ، لا فائدة ! فلا يمكننى أبداً أن أشرب الدواء وأنا على هذه الصورة .

– والسبب ؟

– السبب أن هذا الباب يُضايقنى لأنه مُوارَب .

وأقفلت الإنسية الباب . فصرخ پينوكيو باكياً وقال :

– لا ، لا ! أنا فى الحقيقة لا أريد أن أشرب هذا الماء المرّ . لا ، لا ، لا ! » .

– يا بنىّ ، ستندم على ذلك .

– إننى لا أهتم .

– إنك مريض جدًّا .

– لا أهتم .

– إن هذه الحمى تستعجل موتك فى ساعات قليلة .

– لا أهتم .

– ألاَ تخشَى أن تموت ؟

– كلا ! بل إننى لأفضِّل الموت على شرب هذا الدواء الفظيع !

وهنا دُفع الباب بشدة فانفتح ، ودخلت منه أرانب أربع كبيرة سُود كالحبر ، تحمل على أكتافها نعشاً أسود .

فجلس پينوكيو خوفاً وفزعاً ، وصاح قائلا : « ماذا تريدون منى ؟ » .

قال أكبر الأرانب : « جئنا من أجلك » .

– من أجلى أنا ؟ ! لكننى لم أمت بعد !

– صحيح لم تمت . ولكن كل ما بقِى من حياتك دقائق قليلة . ستموت بعدها ، لأنك ترفض شرب الدواء الذى يشفيك فى الحال .

فصاح پينوكيو بالإنْسِيَّةِ قال : « أيتّها الإنسيّة ، أيتّها الإنسيّة ،



أعطيني الكوب حالا . . . . أسرعي . . . أسرعي بالله عليك ، فإنني لا أريد أن أموت ! لا أريد أبداً أن أموت ! » .

وأمسك الكوب في كلتا يديه ، وأفرغها في جوفه دفعة واحدة .

فوضع الأرانب النعش الصغير على أكتافهم ، وخرجوا من الغرفة يُتَمْتِمُون ويزمْجِرُون غاضبين .

ومرّت دقائق ، قفز بعدها پينوكيو من السرير موْفور العافية مستكمل الصحة . لأنكم ، يا أصدقائي الأعزّاء ، تعرفون أن الأرجوزات الخشبية تمتاز بأنها لا تمرض إلاّ في النادر القليل ، وإذا هي مرضت يوماً فإنها تَشْفَى بسرعة مدهشة .

ولما رأته الإنسية يجري ويلعب في نواحي الغرفة فرحاً طروباً ابتسمتْ وقالت :

— إذنْ فقد أفادك دوائي .

— بل أكثر من هذا ، إنه أرجعني إلى الحياة !

— فلماذا إذنْ أتْعَبْتَنِي حتى شربتَه ؟

— هذا حال الأطفال جميعاً . فنحن نخاف الدواء أكثر مما نخاف المرض .

— يا للعار ! يجب أن يعرف الأطفال أن الدواء الصالح حين يُؤخَذُ في مواعيده يُنقذهم من المرض ، بل هو قد يُنجيهم من الموت .

— لن أتْعِبَكِ بعد ذلك أبداً كما أتعبتُك هذه المرة . ولن أنسى

أبداً تلك الأرانب السود تحمل على أكتافها النعش الأسود . سأمسك الكوب فى يدى و . . . . ُهوبّ . . . أشرب الدواء دفعة واحدة !

– والآن تعال إلىّ هنا ، وقل لى كيف وقعتَ فى أيدى القاتليْن.

– الحكاية وما فيها أنّ آكل النار ، صاحب المسرح ، أعطانى بضعة جنيهات ذهبية وقال : « ُخذْ هذه لأبيك » . لكننى فى الطريق قابلت الثعلب والقط ، وهما غاية فى الظرف ، فقالا : « هل ُتحب أن تجعل من هذه الجنيهات ألف جنيه أو ألفين ؟ تعال معنا إذن نذهب بك إلى حقل المُعْجزات» ، فقلت : « هيا بنا فى الحال» . فقالا : « نستريح قليلا فى فندق (أبى جلمبُو) الأحمر ، ثم ُنعاوِدُ السير بعدذلك عند منتصف الليل » . ولما صحوت فى منتصف الليل ، لم أجدْهما ، لأنهما انصرفا قبل أن أصحو من نومى . وعلى ذلك سِرْتُ وراءهما فى الليل . وليس بالإمكان أن يظن المرء أن الظلام يكون أحياناً حالكاً إلى هذه الدرجة . ولقيتُ فى طريقى قاتليْن يلبسان كيسين من أكياس الفحم . فقالا لى : « سَلِّمْ نقودك! » قلت : «ليس معى نقود» ؛ فإننى كنت قد أخفيتُ الجنيهات الذهبية فى فمى . وحاول أحدهما أن يضع يده فى فمى لإخراجها فعضضتُها فقطعتها. فلما بصقتُها رأيت أنها ليست يد إنسان ، بل مخلب قط . وجرى القاتلان ورائى فجريت وجريت بأسرع ما يمكننى ، لكنهما لحقا بى وأمسكانى وعلّقانى فى شجرة البلوط الكبيرة تلك ، وقالا : « سوف نجىء إليك غداً صباحاً ، وحينئذ تكون قد متّ وانفتح

فمك ، ونستطيع نحن أن نأخذ الجنيهات الموجودة تحت لسانك » .

قالت الإنسيّة : « وأين الجنيهات الذهبية الآن ؟ » .

فقال پينوكيو كاذباً : « ضيّعتها » ! فإن الجنيهات كانت في جَيْبِهِ .

وكانت نتيجة كذبه هذا أن زاد طول أنفه (وكان من الأصل أطول من المعقول) قيراطين !

— وَأَيْنَ ضيّعْتَها ؟

— فى الغابة هناك .

وكان كذبه للمرة الثانية ، سبباً فى زيادة طول أنفه مرة أخرى قيراطين آخرين .

— ما دامت قد ضاعت فى الغابة فبإمكاننا أن نذهب لنبحث عنها هناك ، فربما نعثر عليها ، لأن كل ما يضيع فى الغابة يمكن العثور عليه .

فقال « الأرجوز » ، وقد اضطرب اضطراباً شديداً :

— أوه ، لقد تذكرتُ الآن، إننى لم أضيّعها ، بل لقد بلعتُها !

ونتيجة لكذبه للمرة الثالثة زاد أنفه مرّة أخرى قيراطين آخرين !

ثم أخذ بعد ذلك يطول ، ويطول ، ويطول ، حتى أصبح طويلا جدًّا جدًّا ، وحتى عجز الأرجوز المسكين عن الحركة فى أىّ اتّجاه . فكان إذا التفت إلى اليمين ضرب أنفه السرير أو زجاج الشباك ؛ وإذا التفت إلى الشمال ضرب أنفه الحيطان أو الباب ؛ وإذا رفعه قليلا أصاب

عينَ الإنسيَّة الجميلة فتعرضتْ للخطر الشديد .

وكانت الإنسية فى أثناء ذلك تراقبه وتضحك .

واضطرب « الأرجوز » وتضايق من طول أنفه ، وكان لا يزال يزيد طولا على طول . فقال للإنسيَّة :

ـ علام تضحكين ؟

ـ أضحك على كذبك .

ـ وكيف عرفتِ أننى أكذب ؟

ـ إنّ الكذبَ يا بنىّ تسُهل معرفته . والكذب نوعان : الكذب ذو الأرجل القصيرة ، والكذب ذو الأنوف الطويلة . وكذبُك أنت من النوع الثانى ، ذى الأنوف الطويلة .

حاول پينوكيو أن يُخفى وجهه خجلا . . وحاول أن يهرب من الغرفة . لكنه لم يقدر ، لأن أنفه الطويل الطويل منعه من الوصول إلى الباب ! ! !

١٨

تركت الإنسيَّة پينوكيو يبكى ويصرخ ويُوَلْوِل ساعة ونصف ساعة ، بعد أن عجز عن الوصول إلى الباب ، لطول أنفه المُتَزايد . لقد فعلتْ ذلك عقاباً له على كذبه ، ولكى تَشفيه من تلك العادة

المَذمومة ، التى هى من أقبح
العادات التى يمكن أن يتّصف
بها الأطفال . لكنها حين رأت
وجهه مُنْتَفِخاً من كثرة البكاء ،
وعينيه قد خرجتا من وجهه من شدة اليأس ،
أخذتْها الشفقة به ، فصفّقتْ بيديها . وعندئذ
دخل الغرفة من الشباك ألف طائر كبير من الطيور
ناقِرَة الخشب ، وحطّت جميعاً فوق أنف بينوكيو ،
ثم أخذت تنقره بمناقيرها بهمّة زائدة ونشاط بالغ ،
حتى عاد الأنف الطويل جدًّا ، المضحك جدًّا ،
إلى حجمه الطبيعى فى دقائق معدودات .

قال بينوكيو وهو يمسح عينيه : « ما أطيبَ قلبك ، أيتها الإنسيّة العزيزة ! إنى أحبك جدًّا جدًّا ! » . فأجابته الإنسيّة وقالت :

– وأنا أيضاً أحبك يا بينوكيو . وإن أنت بقيتَ معى فستكون أخى الصغير العزيز ، وأكون أنا أختك المُحبّة » .

– كان بودّى أن أبقى معك . . . لكن ما قولك فى أبى المسكين ؟

– لقد فكرتُ أنا فى كل شىء ، ورتّبتُ كل شىء . إن أباك يعرف جميع أخبارك ، وسيكون هنا معنا عند المساء .

فكاد بينوكيو يطير من الفرح لهذا الخبر السارّ ، وصاح وهو يقفز

طرباً ويصفق بيديه :

ــ أحقًّا ما تقولين ؟ إذن فاسمحى لى ، أيتها الإنسية العزيزة ، أن أذهب للقائه ، فلا يمكننى أن أصبر أكثر من هذا . إننى مُشتاق لرؤية هذا الرجل الطيب العجوز ، الذى قاسَى بسببى كثيراً !

ــ اذهبْ ، اذهب ، لكن حاذر أن تضلّ الطريق . امشِ من الطريق الذى يخترق الغابة ، فلا بد أن تلقاه فى أثناء مجيئه .

وخرج پينوكيو فرحاً ، وراح يجرى فى الغابة بسرعة الغزال الرشيق ، حتى وصل إلى شجرة البلوط الكبيرة ، خُيِّلَ إليه أنه يسمع شيئاً يتحرك بين الأشجار ، فوقف . وعلى حين فجأة ظهر له فى الطريق . . . زميلاه فى السفر ، اللذان تناول معهما طعام العشاء فى فندق « أبى جلمبو » الأحمر ، الثعلب والقط ! ! !

وفتح له الثعلب ذراعيه واحتضنه وقبّله وقال : « أهلاً يا پينوكيو ، يا صديقنا العزيز ، ما الذى جاء بك إلى هذا المكان ، أيها المحبوب ؟ » .

قال القط : « هذا المكان ، أيها المحبوب » .

فقال پينوكيو : « إنها حكاية طويلة . ومع ذلك فسأقصّها عليكما فيما بعد عند ما يتّسع وقتى لذلك . ولكن اعلَما ، على كل حال ، أننى حين تركْتُمانى وحيداً فى تلك الليلة قابلت فى طريقى قاتلين مُخيفيْن » .

ــ قابلتَ قاتليْن ؟ ! ! أوه ، أيها الصديق العزيز المسكين ! وما الذى كان يريدانِه منك ؟ ؟

ـ كانا يريدان سرقة نقودى .

ـ يا للفظاعة ويا للعار ! هذا مخجل وقبيح !

فقال القط : « مخجل وقبيح ! »

واستمرّ بينوكيو فى كلامه قال : « لكننى انطلقتُ أجرى كالسهم ، فجريا هما ورائى يلاحقانى ، حتى أمسكا بى عند هذه الشجرة ، فعلّقانى بفرع من فروعها » . وأشار إلى شجرة البلوط الكبيرة .

قال الثعلب : « هذا فظيع ! هل سمعتَ فى حياتك بأقبح من هذا ؟ أيّةُ دنيا هذه التى كُتِبَ علينا أن نعيش فيها ؟ إذن فأمثالنا من الناس الطيّبين والأمناء لا يمكنهم أن يعيشوا فى أمان ! ياسبحان الله ! ! أين إذن نعيش إن لم نجد الأمن والطُّمَأنينة فى هذه الحياة ، رحمتك يا رب ! »

ولاحظ بينوكيو فى أثناء الحديث أن رجل القط الأمامية اليمنى عرجاء ، لا يستطيع الوقوف عليها ، لأن المخلب لم يكن له وجود . فقال له : « ما الذى حدث لمخلبك ؟ » .

فأراد القط أن يرد عليه ، لكن انعقد لسانه ، فلم ينطق بكلمة واحدة . وحينئذ قال الثعلب :

ـ إن صديقى القط متواضعٌ جدًّا ، وهو لهذا السبب لا يجيب عن سؤالك . فاسمح لى أنا أن أخبرك ، نيابة عنه ، بما حدث له . لقد قابلنا من نحو نصف ساعة ذئباً كبيراً عجوزاً يكاد يموت جوعاً . فلما رآنا طلب منا قطعة من الخبز . لكننا لم يكن معنا شىء نعطيه إياه .

وحينئذ . . . وحينئذ . . . ماذا تظن القط قد فعل ، وهو الذى تعرفه نبيلا طيب القلب ؟ لقد تألَّم لحال الذئب وما أصابه من ضَعفٍ سببه الجوع الشديد ، فعض مخلبه فقطعه ، وأعطاه الذئب المسكين يتبلَّغ به . . . !

ومسح الثعلب بيده دمعةً تحدّرت على خده ! ! !

أثَّر فى پينوكيو سماع هذه القصة ، فاقترب من القط ، وهمس فى أذنه وقال : « لو كانت القطط جميعاً مثلك ، لكانت الفئران أسعد مَن فى هذا الوجود ! » .

قال الثعلب : « وما الذى جئتَ تعمله هنا ، فى هذا المكان ؟ » .

– جئتُ أنتظر وصول أبى . إنه سوف يصل بعد قليل .

– وجنيهاتك الذهبية ؟

– فى جيبى كلها ، إلا ذلك الذى دفعته ثمناً لعشائنا فى الفندق .

– تصوَّرْ يا پينوكيو أنه مكتوب عليك أن لا يكون معك إلا أربعة جنيهات ذهبية ، فى حين يمكنك أن تمتلك غداً ألفاً أو ألفين ! لماذا لا تأخذ بنصيحتى ؟ لماذا لا تزرع جنيهاتك فى غيط المعجزات ، فتُصبح من الأغنياء ؟

– مستحيل أن أذهب معكما اليوم . إنى اليوم بانتظار أبى . سأذهب معكما فى وقت آخر .

– إن لم تذهب ، ضاعت عليك الفرصة .

ـ ولماذا ؟

ـ لأن رجُلا من الأغنياء اشترى ذلك الغيط ، وقرَّر ألا يسمح لمخلوق بعد اليوم أن يزرع نقوده فيه .

ـ وما المسافة بيننا الآن وبين هذا الغيط ؟

ـ تزيد قليلا عن كيلو متر ، هل تجيء معنا ثم ترجع فى أقل من نصف ساعة ، بعد أن تكون قد زرعتَ جنيهاتك الذهبية الأربعة ، فتحصدها بعد دقائق قليلة ألفاً أو ألفين ، وترجع إلى البيت غنياً ، قد امتلأت جيوبك بالذهب الرنان ؟

تردّد پينوكيو قليلا . لقد تذكر الإنسيّة الجميلة ، وتذكر أباه جيبيتو العجوز ، وتذكر تحذير الصرصور المتكلم . لكنه مع هذا فعل ما يفعله أى طفل لا عقل له ولا قلب : فقد هزّ رأسه ، وقال لصاحبيه الثعلب والقط :

ـ هيا بنا ! إننى ذاهب معكما ! .

وانطلقوا .

وظلُّوا سائرين نصف النهار تقريباً ، حتى وصلوا إلى مدينة اسمها « فخّ البُلَهاء » . فلما دخلوها رأى پينوكيو الشوارع ملأى بالكلاب شعرها قد سقط ، وأفواهها مفتوحة من أثر الجوع والعطش ، ورأى خرافاً منحولا شعرها ، ترجف من شدة البرد ، « وكتاكيت » لا ذيل لها ، وديكة بغير عرف ، وحماماً كثيراً يشحذ حبة واحدة من القمح فلا يجدها ،

وفراشاً قد عجز عن الطيران لأنه باع أجنحته الجميلة ، وطواويس لا ذيل لها تحاول الاختباءَ خجلا فى الأركان، بعد أن فقدت أذيالها ذات الألوان البديعة ، وطيوراً بريَّة حزينة تبكى وتندب حظها التعس ، بعد أن ضيّعتْ ريشها الذهبيّ الجميل .

كذلك رأى پينوكيو – وسط هذا الجمع الحاشد من الشحاذين والحيوانات التى تخفى وجهها من شدة الخجل – عربات جميلة فخمة . تسير من وقت لآخر ، وفيها ثعلب أو غراب أو طائر من الطيور الكاسرة .

وسأل پينوكيو صاحبيه قال : « ولكن أين غيط المعجزات ؟ »

فقال الثعلب : « سنصل إليه بعد قليل جداًّ » .

واخترقوا المدينة كلها ، فلما تخطّوا أسوارها الخلفية ، رأى پينوكيو غيطاً مهجوراً لا يختلف عن أى غيط آخر .

قال الثعلب : « هذا هو الغيط العجيب الذى حدّثناك عنه . والآن ، احفر بيديك حفرة صغيرة ، ثم ضع فيها نقودك الذهبية » .

وأطاع پينوكيو ، فحفر الحفرة ، ووضع فيها جنيهاته الذهبية الباقية ، ثم غطّاها بالتراب .

قال الثعلب : « والآن ، اذهبْ إلى البئر التى بجوار طاحونة الهواء ، تجد بجوارها جرَّة . املأ الجرة ماء ،وأحضر الماء ، وصبّه فوق الحفرة التى زرعتَ فيها حبوبك لترويها » .

وذهب بينوكيو إلى البئر التى بجوار طاحونة الهواء ، لكنه لم يجد بجوارها جرة . فخلع فردة حذائه وملأها ماء ، فلما عاد إلى الحفرة المغطاة بالتراب ، رشّ عليها الماء جميعاً . ثم قال لصاحبيه :

– وما الذى يجب علىّ أن أفعله بعد ذلك ؟

قال الثعلب : « لا شىء أكثر من ذلك . فأنت الآن تستطيع أن تنصرف . ويمكنك أن ترجع بعد نحو عشرين دقيقة . وستجد حينئذ شجرة صغيرة قد نمت فى هذا المكان ، وامتلأت أغصانها بالنقود الذهبية . . . » .

وكاد بينوكيو يطير من شدة الفرح لما سمع ؛ وشكر للثعلب والقط جميلهما ألف مرة ، ووعدهما بهدية جميلة . فقال التعسان :

« هدية ؟ ماذا تقول ؟ ! أتحسب أننا عملنا ما عملنا لكى تقدّملنا هدية ؟ لا ، ياأخانا ، لا ! إنما فعلنا ذلك لكى نراك غنيّاً . فنحن يسعدنا أن تصبح غنيّاً من غير أن تتعب ، يسعدنا ذلك غاية السعادة ... »

ثم تمنّيا له محصولا وافراً باهراً ، وودّعاه ، وانصرفا .

١٩

عاد بينوكيو للمدينة ، وبدأ يعدّ الدقائق واحدة بعد واحدة فرِحاً مسروراً . فلما ظن أنّ الدقائق العشرين قد انقضت ، رجع مُسْرِعاً إلى غيط المعجزات .

وراح يجرى مسرعاً بأقصى ما يستطيع ، وكان قلبه يدق كالساعة : تيك — توك ، تياك — توك ، تيك — توك ، تيك — توك . وكان يُحَدِّث نفسه قائلا :

« ما قولُك يا بينوكيو دام فضلُك ، إن أنت وجدت بدل الجنيهات الألف فوق أغصان الشجرة ألفين ؟ وما قولك دام فضلك ، إن وجدت فوقها بدل الألفين خمسة آلاف ؟ بل ما قولك دام فضلك ، إن أنت وجدت بدل الآلاف الخمسة مائة ألف ؟ أوه ، إنك إذن تكون قد أصبحت رجلا غنيًّا كأى رجل غنى آخر ! حينئذ يكون لك يا بينوكيو قصرٌ فخمٌ عظيم ، فيه خدَم وفيه حشَم ، وفيه ألف حصان خشبى وألف إصطبل ، وخزانة كبيرة ملأى بالكعك والحلوى وعصير الليمون بالسكر ، ومكتبة ملأى بأنواع الفاكهة المسكرة والفطائر اللذيذة ، والكعك المصنوع من اللوز الخالص وأشكالا وألواناً من المهلبية ! »

وإذْ كان لا يزال غارقاً فى أحلامه هذه وتخيُّلاته الجميلة تلك ،

وصل إلى مَرْمَى البصر من الغيط . فوقف مكانه وسدّد النظر إلى الأفُق البعيد وكله أمل فى أن يرى تلك الشجرة الموعودة بفروعها المحمَّلة بالنقود الذهبية ، تبرق وتلمع . لكنه لم ير شيئاً . فسار خطوات أخرى ثم وقف . . . لكنه لم ير شيئاً . فعاد يمشى بضع خطوات ثم وقف . . . لكنه مع ذلك لم ير شيئاً . ووصل إلى الغيط ودخل فيه وسار حتّى وصل إلى المكان الذى دفن فيه نقودَه الذهبية ، لكنّه لم ير هناك شيئاً ما . فأسند ذقنه إلى يده وأخذ يفكر ، ثم حكّ بيده رأسه بشدّة ، ناسياً أصول اللياقة وآداب السلوك .

وفى هذه اللحظة رنَّت فى أذنيه ضحكة عالية . فلما التفت رأى ببغاء عظيماً فوق شجرة مجاورة ، يلقط بمنقاره البراغيث من الريش القليل الذى بقى بجسمه .

قال پينوكيو والغم يملأ قلبه :

– ما الذى يُضْحِكك يا هذا ؟

– أضحك لأنى بينما كنت أنظّف ريشى دغدغتُ نفسى تحت إبطى .

فلم يجبه پينوكيو . بل راح فى صمت إلى البئر المجاورة ، وملأ فردة حذائه ماء ، وعاد بها مسرعاً ورش الماء فوق الحفرة المغطاة بالتّراب .

لكنه ما لبث أن سمع ضحكة أخرى ترنّ فى أذنيه أعلى من سابقتها . . . ها هـّا ها . . . ! دوّت فى أرجاء الغيط ، وعاد إليه صداها

بعد قليل أكثر وقاحةً واستهزاءً . فصاح بالببغاء غاضباً ، وقال :

– اسمعْ يا أخانا . هل تسمح لى أن أسألك عن سبب ضحكك ، أيها الببغاء الوقح ؟

– إنى أضحك من « البُلَهاءِ » الذين يصدقون كل ما يقال لهم من كلام فارغ ، ويخدعهم مَنْ هم أقل منهم ذكاء .

– هل تتكلم عنى أنا ؟

– نعم ، أيها المسكين پينوكيو ، أتكلم عنك أنت يا من بلغتَ منَ البلاهة درجة كبيرة ، حتى صرتَ تصدق أن بإمكانك أن تزرع نقوداً قليلة فتحصد نقوداً كثيرةً ، كأنها سمسم أو فول أو شعير ! لقد صدَّقتُ أنا أيضاً من قبلك هذا الكلام الفارغ ، فصرتُ فى هذه الحال المُؤْلِمةِ التى ترانى الآن فيها . ولكننى الآن – بعد ضياع الفرصة ، مع الأسف الشديد – قد تعلمت أنّ الذى يريد أن يربح مالا ، عليه أن يربحه بأمانته وتعبه وعرَق جبينه وعمل يديه ورأسه .

قال پينوكيو وقد بدأ يرجف من الخوف : « لا أفهم ما تقول . ماذا تريد بكلامك هذا » .

قال الببغاء : « صبراً ، يا پينوكيو ، فسأوضّح ما أقول . لما كنتَ فى المدينة ، جاء الثعلب وصاحبه القط ، فرفعا التراب عن الحفرة ، وأخذا نقودك وهربا بسرعة الريح » .

فانفتح فم پينوكيو دهشة وفزعاً ، ثم راح يكشف التراب عن الحفرة بهمَّة زائدة . وظلّ يحفر ويحفر ويحفر ويحفر ، حتى أصبحت الحفرة كبيرة كالبئر . لكنه مع ذلك لم يجد من نقوده الذهبية شيئاً .

وعندئذ عاد إلى المدينة يائساً يجرى كالمجنون ، وقصد إلى المحكمة مباشرة ، ليبلغ القاضى ما كان من أمر اللصين اللعينين ، اللذين خدعاه وسرقا نقوده .

وكان القاضى قرداً عجوزاً ، عجوزاً جدًّا ، مهيب الطلعة وقوراً محترماً ، له لحية بيضاء طويلة تتدلّى على صدره ، ويلبَس « نظارات » ذهبية براقة ليس فيها زجاج ، لكنه كان مع ذلك مضطرًّا للبسها لأنه كان يشكو مرضاً بعينيه قديماً !



فلما دخل عليه پينوكيو حياه باحترام ثم قصّ عليه ما كان من أمر اللصين ، وكيف أنهما خدعاه واحتالا عليه حتى سرقا جنيهاته

الذهبية ، فلما انتهى من روايته ، طلب من القاضى إنصافَه وتنفيذ القانون .

وكان القاضى يُنصت ساكتاً تبدو عليه الطيبة والمهابة . واهتم كثيراً لـمَا سمع ، وأظهر أسفه على ما حدث لپينوكيو المسكين.حتى إذا انتهى الأرجوز من شِكايته ، دقّ القاضى الجرس دقًّا عالياً .

وعندئذ ظهر أمامه كلبان كبيران فى زى رجال الشرطة .

وأشار القاضى إلى پينوكيو وقال لهما : « هذا المسكين قد خدعه خادِعان،وسرقا نقوده الذهبية. خُذاه إذن إلى السجن واحْبِساه ! » .

وصُعِق پينوكيو ، وأراد أن يحتجّ على هذا الحكم العجيب . لكن الشرطيين أطبقا أيديهما على فمه ، وجرّاه إلى السجن جرًّا .

بقى پينوكيو فى السجن شهوراً أربعة ، شهوراً أربعة طويلة مرّت كأنها أعوام . وكان من الممكن أن تطول مدة حبسه ، لو لم يحدث – لحسن حظه – أن الإمبراطور الصغير لمملكة « فخّ البُلَهاء » ، لما انتصر على أعدائه انْتِصاراً عظيماً حاسماً ،أراد أن يحتفل بهذا الانتصار احتفالاً فخماً باهراً ، فأمر بإقامة الزينات والحفلات فى كل مكان من مملكته . فكنتَ ترى فى كل رُكن من أركان المملكة الأنوارَ الجميلة و « الصّواريخ » وحفلات سباق الخيل والدراجات . وأحسنُ من هذا كلِّه وأجمل ، أنه أمر بفتح أبواب السجون جميعاً ، ليخرجَ منها كل منْ فيها من اللصوص والمُحْتالين والأوْغاد والقَتَلةِ والمجرمين .

قال پينوكيو للسجان : « ما دام كل سجينٍ قد خرج ، فأنا أيضاً أريد أن أخرج » .

قال السجان : « لا ، لا يمكنك أن تخرج ، لأنك لست من هذه الطبقة » .

قال پينوكيو : « عفواً يا سيدى ، فأنا أيضاً وَغْدٌ من كبار الأوغاد » .

قال السجّان : « ما دام الأمر كذلك ، فالحقّ معك ، وتستطيع إذن أن تخرج » .

ثم إنه رفع قبعته لپينوكيو احتراماً ، وانحنى له وفتح باب السجن وتركه يخرج !

٢٠

يمكنكم يا أصدقائى الأعزاء أن تتصوروا فرح پينوكيو بعودة الحرية إليه ، بعد أشهُرٍ أربعة قضاها المسكين فى السجن من غير ذنب جناه . فلما غادر السجن خرج مُسرعاً من المدينة ، ومشى فى الطريق الذى يوصله إلى بيت الإنسيّة .

كانت السماء تُمطر شديداً ، والوحل كثيفاً عميقاً غاصت فيه قدَماه إلى الرُّكبتين . ومع ذلك فلم يكن يهتم بكل هذا ، لأنه لم يفكر إلا فى

أنه سوف يرى أباه المسكين ، وأخته الصغيرة الجميلة ، ذات الشعر الأزرق ، فكان يجرى طَروباً ويقفز هنا وهناك ، فى حين كان الوحل يتطاير من حوله إلى ما فوق رأسه . وكان يحدِّث نفسه قائلا :

« أيّةُ بلايا تلك التى نزلت بى . . . إننى فى الحقيقة أستأهلها جميعاً . لقد أردتُ أن أعيش حسب هواى ، وألا أسمع لنُصح الناصحين المحبين ، والذين هم أعقل منى ألف مرة ! لكننى منذ هذه اللحظة سوف أحيا حياة تختلف تماماً عن كل ما مضى من حياتى . سأكون مطيعاً عاقلاً ، أسمع كلامَ الكِبار ، لأننى عرفت أن الأطفال الذين لا يُطيعون من هم أكبر منهم ، لا ينالهم إلا الشرّ ، ولا يكسبون غير الندم . وأبى المسكين ، ألاَ يزال ينتظرنى ؟ وهل أجده فى بيت الإنسِية ؟ لقد مضى وقت طويل منذ رأيتُه آخر مرّة ، حتى لم أعُد أقدر على الصَّبر ، إننى متى رأيتُه فسَأَلفّ ذراعىّ حول عنقه وأقبِّله قبلات طويلة حارَّة ، كلها حب وحنان . ثم هل تُسامحنى الإنسيّة بعد ما كان منى من عِصيان ، وما بذلَتْه لى هى من عناية وحب وعطف ورعاية؟ إننى إن كنت اليوم حيًّا فما ذلك إلا بفضلها هى . وهل يمكن أن يوجد فى هذه الدنيا ولد أكثر منى نكراناً للمعروف ؟ » .

وما إن فرغ من كلمته هذه ، حتى توقَّف فجأة فى وسط الطريق وقد ملكه فزع ورعب شديدان ، فرجع إلى الوراء خطوات مُسْرِعات ، وقد كادت أنفاسُه تنقطع من شدة الخوف .

ما الذى رآه فأفزعه هذا الفزع الشديد ؟

لقد رأى المسكين ثعباناً هائلا فظيعاً ممدوداً بعرض الطريق ، جلده أخضر وعيناه تُرْسِلان ناراً . وأماذيله فكأنه المدخنة العظيمة يخرج منه دخان أسودُ كثيف ! ! !

إننى يا أصدقائى الأعزاء لا أجد من الكلمات ما يكفى لوصف ما أصاب پينوكيو من فزع شديد . لقد تراجع إلى الوراء مسرعاً ما يزيد على ألف متر ! وجلس على كومة من الحجارة كى يرى ما يفعله الثعبان الفظيع ، مُنتظِراً فى أثناء ذلك ذهابه وانصرافَه ، وحتى تُصبح الطريق أمامه حرة خالية .

انتظر پينوكيو ساعة ثم ساعتين ثم ثلاث ساعات . لكن الثعبان لم يتحرك من مكانه ، بل بقى حيث كان . على أن پينوكيو كان وهو فى مكانه فوق كومةِ الحجارة يرى عينى الثعبان الناريّتَيْن ، وذيله الذى هو كالمدختة يُخرج عموداً كثيفاً من الدخان الأسود .

واستجمع پينوكيو كل شجاعته ، واقترب من الثعبان الفظيع وقال له فى صوت واطئ حلو مُغرٍ : « أيها الثعبان الكريم عفواًومعذرة! لكننى أرجو أن تسمح بأن تتحرك قليلا من موضعك هذا كى أتمكن من المرور » .

لكنه كان كمن يكلم جداراً من الحجر الأصم ، فلم يسمع لكلامه جواباً !

وعاد يقول مرة ثانية ، وبنفس الصوت الواطئ الحلو المُغْرِى :

« أنت يا سيدى الثعبان لا شكّ تعرف أننى ذاهب إلى البيت ، وأنّ أبى ينتظر هناك رُجوعى بفارغ الصبر، فلقد مرّ وقت طويل لم أره فيه . فهل تسمح أيها الثعبان الكريم بأن تتحرك قليلا من موضعك هذا كى أتمكن من المرور ؟ » .

وانتظر أن يتلقّى من الثعبان إشارة ما جواباً عما قال . لكن الثعبان بدلا من أن يجيبه أو يشير له أيةّ إشارة ، بقى هادئاً لا يتحرك بل لقد أقفل عينيه وتوقّف ذيلُه عن إخراج الدخان ، بعد أن كان يبدو إلى تلك اللحظة أنه ممتلىء بالحياة ، حتى حسب الأرجوز المسكين أنه مات .

قال بينوكيو : « لعله قد مات ! » وفرك يديه فرحاً ، ونوى أن يمرّ من فوقه دون أن ينتظر لحظة أخرى . لكنه فى اللحظة التى رفع فيها قدمه ، قام الثعبان فجأة، مُنْدَفِعاً كأنه « الزنبرك » ، فقفز بينوكيو إلى الوراء مُسرعاً فَزِعاً دون أن يحتاط ، فانقلب على رأسه ووقع على الأرض .

وكان سقوطُه شديداً على الأرض الموحلة ، فانغرز رأسه فى الوحل وبقيتْ قدماه فى الهواء .

ولما رأى الثعبانُ « الأرجوز » مغروزاً فى الوحل تتحرك قدماه فى الهواء حركة سريعة ، لا يقدر عليها أى « أرجوز » آخر فى الدنيا غيره ، أصابته نوبة شديدة من الضحك ، فصار يضحك ضحكاً عالياً كأنه الرعد . وصار يضحك ويضحك ويضحك ويضحك ، حتى انفجر آخر الأمر شُريان من شرايين دماغه ، فمات فى الحال .

وكان بينوكيو قد تمكن من الخلاص من الوحل . فلما رأى الثعبان قد مات ، انطلق يجرى مسرعاً إلى بيت الإنسيّة لكى يصل إليه قبل الظلام . لكنه أحس فى أثناء الطريق بالجوع يمزق أمعاءه ، حتى عجز آخر الأمر عن احتماله . فقفز فوق جدار ليلتقط عنقوداً من العنب يُشبعُ به جوعَه .

آه ، لَيْتَهُ لم يفعل ذلك !

فإنه ما إن وصل إلى عناقيد العنب حتّى شعر أن رجليه قد أمسكتهما حديدتان حادّتان قويّتان ، وأنهما توجعانه وجعاً شديداً فظيعاً .

لقد وقع المسكين فى فخٍّ متين وُضع هناك فوق الجدار ليمسك ابنَ عرس كبيراً ، كان ينشر الفزع والرعب فى جميع أعشاش الدجاج فى تلك الناحية . .

٢١

ويُمكِنُكم يا أصدقائى أن تتصوَّروا صياح پينوكيو وصراخه وعويله وبكاءه ، طلباً للنّجدة والمعونة . لكن ذلك كله لم تكن له أية فائدة ، لأن تلك الجهة كانت خالية من البيوت القريبة ، ولم يكن يمرّ بها فى مثل ذلك الوقت مخلوق .

وجاء الليل .

وكاد پينوكيو يغمى عليه بسبب الآلام الشديدة الناتِجة من إطباق الفخ الحديدىّ على ساقيْه ، وبسبب الخوف الذى أصابه من وحْدتِه فى الظلام الحالك وسط الغيطان المهجورة المُوحِشة .

ورأى فى أثناء ذلك يَراعةً (ذبابةً ينير جسمها بالليل) تمر من فوق رأسه فناداها قائلا : « أيتها اليراعة الجميلة ، هلا تأخذك بى الشّفقة فتُنقِذينى من هذا العذاب الذى أنا فيه ؟ » .

فنظرت إليه البراعة فى عطف وقالت : « مسكين أيها الولد ! كيف أمكن أن تقع فى هذا الفخ القاطع الحاد ؟ ! » .

— دخلتُ الغيط لأقطع عنقوداً من العنب ، و . . .

— ولكن هل العنب عنبك ؟

— لا . . . .

— فمن الذى علمك أن تأخذ شيئاً لا تملكه ؟

— كنت أشعر بالجوع . . .

— ليس الجوع يا ولدى عذراً ، أو سبباً لتأخذ ما ليس لك .

— هذا صحيح ، صحيح ! ولن أفعل ذلك بعد اليوم قطّ .

وقطع حديثهما هذا صوتُ أقدام تسير نحوهما . إنه صاحب الغيط قد جاء ماشياً على أطراف أصابع قدميه ، كى يرى هل اصطاد فخه إحدى بنات عرس التى كانت تأكل دجاجه بالليل .

وأخرج الرجل مصباحه من تحت معطفه ، فأدهشه أن يرى

فى الفخ ولداً ، بدلاً من ابن عرس .

قال الفلاح غاضباً: « آه ، أيُّها اللص اللعين ! إذن فأنت الذى تسرق دجاجى ! »

فقال بينوكيو باكياً : « لا ، لا يا سيِّدى. صدِّقنى إن قلت لك إننى ما جئتُ هنا قبل اليوم قط ، وإننى ما أردت دخولَ الغيط إلا لأقطف عنقوداً من العنب » .

— إن الذى يسرق العنب يسرق الدجاج أيضاً . اتْرُكْ لى أنا هذه المسألة ، فسأعلمك درساً نافعاً لن تنساه ما بقىَ من حياتك .

وفتح الرجل الفخ ، وأمسك بينوكيو من ياقته ، ووضعه تحت إبطه ، كأنه خروفٌ صغير !

ولما وصل إلى فناء دارِه ، رماه على الأرض ، ووضع إحدى قدميه فوق رقبته وقال :

« لقد تأخر بى الوقت ، ولَستُ أحسّ رغبة فى النوم . ولذلك فسأجلس معك إلى الصباح ، على أنى قد خطرتْ لى الآن فكرة جميلة . إنك تعرف أن كلبى الأمين ، الذى كان يقوم لى بالحراسة ، قد مات هذا الصباح ، وعلى ذلك فَستَحِلُّ أنت محله . ستكون أنت كلب الحراسة فى هذا البيت وهذا الغيط . ما قولك فى هذا ؟ جميل طبعاً ، جميل ! أليس كذلك ؟ » .

ولم يُضِعِ الرجل دقيقة واحدة! بل أخذ فى الحال السلسلة

والحلقة التي يضعها حول رقبة الكلب ، وكانت الحلقة من الجلد المتين ، تزيّنها أزرار من النحاس الأصفر ، فربطها حول عنق بينوكيو ، وشدّها ، بحيث أصبح من المستحيل عليه بعد هذا أن يخلص منها مهما حاول ذلك ، ثم شبك السلسلة بالحائط ، وأحكم شبكها .

ولما انتهى الفلاح من ذلك قال : « إن أمطرت السماء هذه الليلة فني إمكانك أن تدخل هذا الصندوق الخشبي الذى كان مُخصّصاً لنوم كلبي المرحوم . ولا تَنْسَ أن تفتح أذُنَيْكَ تماماً لكل صوت. وإذا حدث أن جاء اللصوص ليسرقوا دجاجي ، فلا تنس أن تنبح نَبحاً عالياً كيْ أستيقظ » .

وترك الرجل بينوكيو على هذه الحال ودخل بيته لينام ، وأقفل الباب وراءه . فجلس الأرجوز المسكين فى الفناء باسطاً ذراعيه . فى حالة هى أقرب إلى الموت منها إلى الحياة ، من شدة الجوع والخوف .

وكان من لحظة إلى أخرى يُدخِل أصابعه تحت ياقته الجديدة ، التى كانت تشدُّ على رقبته شدّاً موجِعاً ، ويكلم نفسه باكياً يقول :

«لا شكّ أنه درس نافع لى! درس نافع جدّاً أنا الذى أردتُ أن أعيش حياة كسل وتَسَكُّع ، واستَمَعْتُ لنصح رُفَقَاء السوء . هأنذا أحيا هذه الحياة التعسة المنكودة . لو أننى حاولت أن أصلح حالى ، وأصبح ولداً طيباً عاقلا ، أو لو أننى كنت راغباً فى العمل مع أبى المسكين أساعده على متاعب الحياة ، لمَا كنت الآن هنا فى هذا المكان ، أعيش

عيشة الكلاب ، وأقوم بعمل الكلاب ، وأحرس أشياء هذا الفلاح كأنني كلب . آ . . . . ه ، وألف مرة آه ! لافائدة من كل هذا ، لقد ضاعت الفُرَص الجميلة ، ولم يبق إلا أن أصبر على بَلْوَاى، فى هذا المكان المنْفَرِد البعيد عن كل مكان معمور » .

وشعر ببعض الراحة إذ قرر أن يصبر . ثم زحف على قدميه ويديه ، ودخل الصندوق الخشبى ، ونام . . .

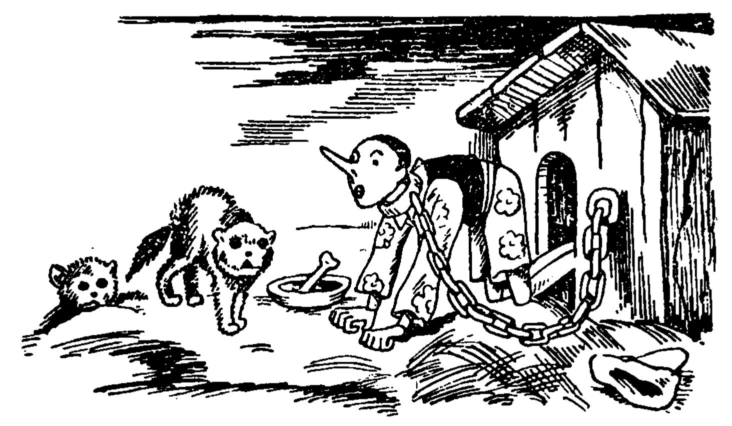
٢٢

نام پينوكيو فترة تزيد على الساعتين . فلما كان نصف الليل ، أيقظه هَمْس وتَمْتَمةٌ وأصوات خافتة غريبة. فلما فتح عينيه وتسمّع ، عرف أنها تأتيه من الفناء . فلما أخرج أنفه من الصندوق رأى حيوانات أربعة ذات فراء غامقة ، تتكلم معاً ، لقد كانت هيئتها كهيئة القطط ، لكنها لم تكن قططاً . إنها كانت من بنات « عرْس » (عِرَس) آكلة اللحوم ، المغرمة — بصفة خاصة — بأكل البيض والدجاج والكتاكيت .

وتركت إحداها زميلاتها واقتربت من صندوق الكلب وقالت فى صوت واطئ كالهَمْس :

— مساء الخير يا عزيزى ميلامبو!

قال پينوكيو : « ليس اسمى ميلامبو! » .



ـ آ . . . ه ؟ ! إذن ما اسمك، ومن أنت ؟

ـ أنا پينوكيو .

ـ وماذا تفعل هنا ؟

ـ أنا كلب الحراسة .

ـ وأين ميلامبو ؟ أين ذلك الكلب العجوز الطيب الذى يعيش هنا ؟

ـ مات هذا الصباح .

ـ مات ؟ مسكين ! كان طيب القلب جدًّا ، رحمة الله عليه! على أننى ، مع ذلك ، أرى من هيئتك أنك ، أنت أيضاً ، كلب طيب القلب .

ـ لا تؤاخذينى ، فلستُ كلباً .

ـ آ . . . ه ؟ ! إذن ما أنت ، إنْ لم تكن كلباً ؟

– إننى أرجوز .
– وتقوم بعمل كلب الحراسة ؟ !
– نعم ، مع الأسف ، عقاباً لى .
– عقاباً لك ؟ وكيف كان ذلك ؟ على أن هذا لا يهمنا . إننا سنتفاهم على الأساس الذى اتفقنا عليه مع المرحوم ميلامبو . أنا واثقة أنك ستكون مسروراً سعيداً ، متى عرفت شروطنا .
– وما هذه الشروط التى تَعْرِضينها علىّ ؟
– شروط سهلة عليك جداً ، حسنة للغاية . سنجىء هنا ليلة واحدة من كل أسبوع ، عند منتصف الليل، إلى « عشة » الدجاج تلك ، كما كنا نفعل فى كل ما مضى ، فنأخذ سبعاً من الدجاج، نعطيك منها واحدة لعشائك ، ونأخذ نحن ما يتبقّى ، وذلك بشرط (وأنت تفهم هذا طبعاً) أن تتظاهر بالنوم حين نجىء ، وألا تنبح أبداً لتوقظ الفلاح .
– وهل هذا ما كان ميلامبو يعمله ؟
– بالضبط ، لا أكثر ولا أقل ! كنا متفاهمين معاً كلّ التفاهم وكانت الأمور تمشى على ما يرام كأنها على عجلات . والآن ، نَمْ فى أمان، وتأكّد أننا قبل أن ننصرف سنجيئك بدجاجتك بعد أن ننظفها لك ونجهزها تجهيزاً ! هل فهمت ؟
– بالتأكيد فهمت ؟ فهمت كلّ ما تقولين .
قال بينوكيو هذه العبارة وهو يهز رأسه لضيفته مهدداً، وكأنه

يريد أن يقول : « وسنرى فى الحال كيف نُدَبِّرُ الأمر ! » .

ولما اطْمأنَّت « بنات عرس » وتصوَّرَتْ أنها آمنة ، قصدت فى الحال إلى « عشة » الدجاج المجاورة « لبيت الكلب» ، ودخلتْها واحدة وراء أخرى . لكنها ما كادت تدخلها حتّى انقفل الباب وراءها ، أقفله پينوكيو ليحبسها فى الداخل .

ولم يكْتَفِ الأرجوز بذلك ، بل وضع على الباب حجراً كبيراً ليضمن بقاءه مقفلا .

ثم بدأ ينبح نبحاً عالياً ، كأىّ كلب من كلاب الحراسة الكبيرة : هاو ، هاو ، هاو ، هاو ! هاو ، هاو ، هاو ، هاو ! هاو ، هاو ، هاو ، هاو ! .

وسمع الفلاح نبحه فاستيقظ ، وقفز من سريره ، وأمسك « بندقيته » وفتح الشباك قال :

ـ ما الذى حدث !

ـ اللصوص هنا !

ـ أين هم ؟

ـ فى « عشة » الدجاج .

ـ سأجىء حالا .

وفى أقل من الوقت الذى تقول فيه مثلا: « عبد العال أفندى » كان الفلاح ، قد وصل إلى « عشة » الفراخ .

وأمسك « بنات عرس » الأربع ، ووضعها فى كيس ، وقال فرِحاً :

« أخيراً وَقعتُنَّ فى يدى ، يا لعينات ! بإمكانى أن أعذّبكُن عذاباً شديداً ، لكننى سأكتفى بأخْذِكنّ إلى مالك الضَّيْعة فى البلدة المجاورة ، ليذبحكنّ ويسلخ جلودكنّ ثم يطبخكن « بالصلصة » ويأكلكنّ كأنكن أرانب لا « بنات عرس » . صحيح أن هذا شرف لا تَستأهِلْنَهُ ، ولكنّ مثلى من كِرَامِ الناس لا يفعل إلا الأفعال الطيبة الكريمة! » .

ثم راح إلى پينوكيو ومسح جسمه بيده مداعباً ملاطفاً ، وامتدح شجاعتَه وأمانته وقال فيما قال له : « وكيف اكتشفتَ مؤامرة هؤلاء اللصوص الملاعين ؟ فى حين أن ميلامبو ، كلبى المخلص ميلامبو ، لم يتمكن قطّ من معرفة أى شىء ؟ ! » .

كان ممكناً أن يبوح پينوكيو بالحقيقة كاملة ، أعنى أنه كان ممكناً أن يحدث الفلاح بما كان بين الكلب وبنات عرس من اتّفاق مخجل ، لَوْلا أنه تذكر أن الكلب قد مات ، فقال لنفسه : « وما الفائدة من اتّهام الأموات؟ أفْضَلُ من هذا تركهم فى قُبورهم آمنين ! » .

قال الفلاح : « حين ظهرت "بنات عرس" أول مرة ، أنائماً كنت أم مستيقظاً ؟ » .

– كنتُ نائماً . لكنهن أيقظننى بكلامهن فيما بينهنّ . ثم جاءتنى إحداهن فحيّتنى وقالت: « إنْ وعدتَنا ألا تنبح لتوقِظ الفلاح ،

فإننا نعطيك دجاجة مجهَّزة تجهيزاً كاملا » . فأنت ترى أن وقاحتهن فاقت كلّ وقاحة ! تصوّر أنهن يعرضْنَ عليّ مثل هذا الاقتراح القبيح المَعيب ! صحيح أنني « أرجوز » ، وأنني لا أخلومن العيوب ، لكنني مع كل عيوبي لا يمكن مطلقاً أن أتفق مع لصوص ، ولن أقبل أبداً أشياء مسروقة » .

قال الفلاح وهو يربت على ظهره : « مَرْحَى ، مرحى ، يا ولدى ! هذا خُلُقٌ كريم جداً ، مُشرِّفٌ لك غاية التشريف. وإنى — رغبة فى أن أظهر لك مقدار سرورى بفعلك النبيل هذا — سأطلق سراحك فأنت منذ الآن حُرٌّ لوَجه الله ، تستطيع أن تذهب حيث تشاء ، وأن ترجع إلى البيت متى أردتَ ! »

٢٣

لما أصبح پينوكيو حرًّا ، انطلق يجرى فى الحقول ، إلى أن وصل إلى الطريق الكبير ، الذى ينتهى عند بيت الإنسيَّة الجميلة .

ووقف ينظر يميناً وشمالا ، ويتلفت هنا وهناك . فرأى المكان الذى تمّ فيه ذلك اللقاء المَنكود التَّعِس، بينه وبين الثعلب والقط . كان يرى شجرة البلوط الكبيرة التى عُلِّقَ فيها، تَعْلُوما جاورها من الأشجار . لكنه لما نظر أمامه فى نهاية الطريق ليرى البيت الأبيض الصغير ،

الذى لقِيَ فيه الطفلة الجميلة ذات الشعر الأزرق ، لم يجده . . . . !

وشعر فى نفسه بخوف لا يعرف سببه . فانطلق يجرى بأسرع ما يستطيع فوجد نفسه بعد دقائق وسط الحقل ، الذى كان البيت الصغير الأبيض قائماً فيه ذات يوم . لكن البيت الصغير الأبيض لم يكن الآن موجوداً حيث كان يراه ، بل وجد مكانه قطعة من المرمر الأبيض الشفّاف ، منقوشاً عليها :

هُنا ترقُد
الطفلة ذات الشعر الأزرق
التى ماتت من شدة الحزن
بعد أن هَجرها أخوها الصغير
پينوكيو

وأترك لكم يا إخوانى أن تتصوروا الإحساسات المؤْلِمَة التى قامت فى نفس پينوكيو عند ما قرأ — بصعوبة — تلك الكلمات القليلة ! ! ! .

لقد وقع على الأرض ، وراح يُقبِّل قطعة المرمر الباردة ألف مرة . وأجهش بالعَويل والبكاء ، فذَرَف دموعاً تملأ بحراً بأكمله . لقد بقى طول الليل يبكى . فلما طلع الفجر كان لا يزال فى مكانه يبكى ، مع أنه قد ذرف دموعَه ولم يبق له منها بعينيه شىء ! وكان يتأوّه



ويصرخ صراخاً يُجَلْجِل فى أرجاء الحقل والتِّلال المجاورة. وكان فى أثناء بكائه يقول : « أيتها الإنسية العزيزة ، قولى لى لماذا متِّ ! لماذا لم أمُتْ أنا ، أنا الشقى التعس ، بدلا منك ، أنت الطيبة الكريمة ؟ وأبى المسكين ، أين هو ؟ قولى لى ، أيتها الإنسية العزيزة ، أين أجد أبى ، لأننى أريد أن أبقى معه ما يَتَبقى من حياتى ، ولن أتركه بعد اليوم أبداً ، أبداً ! آ . . . ه ، يأيتها الإنسية العزيزة ، قولى لى : إن هذا غير صحيح ، وإنك لم تموتى ! عُودى إلى الحياة ، ارجعى كما كنتِ من قبل ، إن كنت تحبّينى حقّا ، إن كنت تحبّين أخاك الصغير

بينوكيو ! ألا يُحزِنُك أن تريني الآن هنا وحيداً ، بعد أن هجرني كل الذين يحبونني ؟ إن القتلة واللصوص إن لقوني فإنهم هذه المرة سيشنقونني . وحينئذ أموت حقًّا، أموت فعلا ، أموت موتاً لا شك فيه ! ما الذي يمكنني أن أفعله الآن في هذه الدنيا ، بعد أن أصبحتُ فيها وحيداً ؟ من ذا الذي سيعطيني بعد اليوم – وقد أصبحتُ وحيداً – شيئاً آكله ؟ وأين أنام ؟ ومن ذا الذي سوف يصنع لي سترة جديدة ؟ آ . . . . ه ، إني أفضِّل ألف مرة أن أموت على أن أعيش في هذه الدنيا وحيداً ! إنني أيضاً أريد أن أموت ! نعم ، أريد أن أموت ! آ . . . . ه . . . . ه . . . . ه ! ! هُوء . . . هوء . . . هوء . . . هوء . . . . هوء . . . . ! ! » .

ثم اشتدّ به اليأس وزاد ، فأراد أن يقطع شعره ، فلما وضع يده على رأسه ليمسك شعره لم يجد شعراً يمسكه ، لأن شعره – كما تعرفون – كان من الخشب ، فلم يتمكن لهذا السبب من أن يُدخِل أصابعه فيه كما أراد !

وفي هذه اللحظة مرّتْ به حمامة طائرة ، حمامة كبيرة جدًّا جدًّا ، كانت تطير على ارتفاع منه . فلما رأته ، توقفت ، في الهواء قليلا ، وقد فردتْ جناحيها ، وصاحت به قائلة :

« قل لي ، أيها الطفل ، ماذا تفعل هنا ؟ » .

فأدار بينوكيو وجهه إلى أعلى ، إلى الجهة التي يجيء منها الصوت ، فلما رأى الحمامة الكبيرة التي تكلمه ، مسح عينيه بكمّ سترته وقال :

« ألا ترين ؟ إننى أبكى ! »

قالت الحمامة : « قل لى ، هل تعرف بين زملائك الذين يلعبون معك أرجوزاً اسمه پينوكيو ؟ » .

فقفز پينوكيو واقفاً على رجليه ، وقال : « پينوكيو ؟ هل تقولين پينوكيو ؟ أنا پينوكيو ! » .

فلما سمعت الحمامة هذا ، هبطت إلى الأرض مُسرِعة .

لقد كانت أكبر حجماً من الديك الرومى !

وسألت « الأرجوز » : « وهل تعرف جيبتُّو؟ » .

– هل أعرفه ؟ ! إنه أبى المسكين ! هل كلَّمكِ عنى ؟ هل يمكنك أن تأخذينى إليه ؟ ألا يزال حيًّا ؟ قولى لى بسرعة ، من فضلك، بالله عليك ، أيتها الحمامة العزيزة ، ألا يزالُ حيًّا ؟ » .

– لقد تركتُه من نحو أيام ثلاثة ، عند شاطئ البحر .

– وماذا كان يعمل هناك ؟

– كان يصنع قارباً صغيراً يعبر به البحر . مسكين هذا الرجل ! إنه منذ أكثر من أربعة أشهر يجوب الأرض باحثاً عنك . فلما لم يجدك قرر أن يبحث عنك وراء البحار .

قال پينوكيو بلَهَف : « وأين شاطئ البحر هذا ؟ هل هو بعيد ؟ » .

– يبعد عن هذا المكان بنحو خمسمائة ميل .

– خمسمائةميل؟!آه،أيتها الحمامة العزيزة ، لوأن لى مثل جناحيك! .

– إن كنتَ تريد الذهاب إلى أبيك فإنني أحملك.
– كيف ؟ .
– على ظهرى. هل وزْنك ثقيل ؟
– ثقيل ؟ ! لا ، لا ، إننى أخفُّ من الريشة .

وقفز پينوكيو على ظهر الحمامة، وترك رجليه تَتدلَّيان على جانبيها ، كأنه فارس يركب حصاناً ، وصاح فرحاً : « ارْكُضْ ، اركض أيها الحصان الصغير ! أريد أن أرى أبى بسرعة » .

وطارتِ الحمامة . وبعد دقائق كانت تُحَلِّقُ عالية فى السماء ، على أعظم ارتفاع ممكن ، هناك بقُرب السحاب ، حتى كادت تلمَسه بجناحيها ! فلما رأى پينوكيو نفسه على هذا الارتفاع العظيم ، دُهِش وتعجَّب ، فلما نظر إلى أسفل يريد أن يرى سطح الأرض ومَن عليها ، داخ ودار رأسُه ، واشتد به الخوف ، فلفَّ ذراعيه وشدَّهما على رقبة حصانه ذى الريش ، لكيلا يقع من هذا العلوّ الشّاهق !

وبَقيا طائريْن طول النهار ، فلما اقترب المساء قالت الحمامة :
– إنى أحسّ بالعطش الشديد .
– وأنا بالجوع الشديد .
– إذن نقف هنا قليلا ، فى بُرج الحمام هذا . فإذا استرحْنا ،

عاوَدنا رحلتَنا ، لنصل إلى شاطئ البحر عند شروق الشمس مُبكرَيْن .

ودخلا برج حمامٍ مهجور ، وجدا فيه حوض ماء ، وسَلة ملأى بالخس .

وكان من عادة پينوكيو ألا يأكل الخس أبداً . كان يقول إنه يقلِب له معدته ! لكنه فى تلك الليلة أكل الخس بشراهة ونَهَمٍ شديدين ، فلما فرغا من أكله قال للحمامة :

ــ لم أكن أظن قطُّ أن الخس لذيذُ الطعم !

ولم تُطِل الحمامة وصاحبها الانتظار ، بل أسرعا فى الرّحيل ، وما زالا طائريْن حتى وصلا ، عند شروق الشمس ، إلى شاطئ البحر .

وهبطت الحمامة إلى الأرض . وبقيتْ دقيقة حتى ينزِل پينوكيو عنها ثم طارت فى الحال .

ورأى پينوكيو الشاطئ مزْدَحِماً بالناس ، يَصيحون ويتكلمون ويُشيرون إلى البحر البعيد . فاقترب من امرأةٍ عجوز وقال لها : « ماذا حدث يا سيِّدتى ، ولماذا يزْدَحِمُ الناس بجوار البحر ؟ » .

قالت العجوز : « إنّ أباً مسكيناً فقدَ ابنه ، وقد ركب البحر فى قارب صغير ليذهب إلى البلاد البعيدة ، وراء البحار ، للبحث عنه . لكن الأمواج العالية ستقلب القارب ، أو هى قلَبتْه فعلا » .

ــ وأين القارب ؟

ـ هناك ، أمامك ،
فى اتجاه إصبعى !
وأشارت المرأة
بإصبعها إلى قارب



صغير فى داخل البحر البعيد ، كأنه قشرة اللوزة ، وفيه رجل صغير الحجم جداً . فصاح پينوكيو : « إنه أبى ! » .

وما لبث القارب الصغير أن غالبته الأمواج فقلبته فاختفى، ثم عاد فظهر على سطح الماء . فوقف پينوكيو فوق صخرة ، ونادى أباه باسمه مرة ومرة ومرة ، وأشار له بيديه ولوّح بمنديله .

كان جيبتو بعيداً جداً فى داخل البحر،ولكن يلوح أنه مع ذلك قد عرف ابنه ، لأنه رفع قبعته ولوّح بها ، وصار يشير هو أيضاً بيديه كأنه يسرّه أن يعود إلى البر . لكن البحر العالى الهائج ، لم يمكنه من استعمال مجدافيه، ولم يلبث أن جاءته موجة ضخمة كأنها

الجبل الشاهق ، فلطمتْه لطمة قوية ، اختفى بعدها القارب بمن فيه !
وانتظر الناس المحْتَشِدُون عند الشاطئ ظهورَه فوق الماء مرة ثانية ، لكن انتظارَهم طال وطال ، ولم يظهر الرجل ولا قاربه !

قال الصيادون الواقفون هناك : «مسكين ! ». ثم تَمْتَمُوا بكلمات قليلة ، وطلبوا له من الله الرحمة !

وفجأةً سمع الناس صرخةٍ عالية يائسة ، فلما التفتوا ، رأوا صبيًّا يرمى نفسه فى البحر من فوق صخرة عالية ويقول : « أبى ، أبى ، ! سوف أنقذ أبى ! » .

استطاع پينوكيو ، وهو كما تعلمون مصنوع من الخشب ، أن يَطْفُوَ بسهولة فوق سطح الماء ، وأن يسبح كأنه السمكة . ونظر له الناس المجتمعون ، فرأوه يَنْطَلِق فى الماء كالسهم ، يعلُو مرة فوق سطح الماء ، ثم لا يلبث الموجُ أن يلطمه فيختفى ، ثم يعود فيظهر ، وهكذا . وبعد قليل رأوه بعيداً ، بعيداً ، بعيداً ، بعيداً ، حتى أصبحوا لا يرون منه شيئاً .

قال الصيادون الواقفون هناك : « مسكين ! » . ثم تمتموا بكلمات قليلة ، وطلبوا له من الله الرحمة !

وانصرف الناس عائدين .

٢٤

بقىَ بينوكيو يسبَح طول الليل ، لا يُشجِّعُه على ذلك غير الأمل فى أن يصل فى اللحظة المناسبة لإنقاذ أبيه المسكين .

كان المطر ينزل على رأسه كالسَّيْل ، وكانت عواصف الثلج تكاد تجعل وجهه يتجمَّد ، حتى أوشك أن يصبح كقطعة الرخام الصُّلبة . وكان البرق كثيراً ، والرعد عالياً مدويًّا ، يصمّ أذنيه ، وينشر الخوف فى نفسه !

فلما اقترب الصُّبح ، رأى على البُعد أرضاً يابسة : جزيرة فى وسط الماء ، أعاد إليه منظرُها الأمل قويًّا ، وشجّعه على بذل الجهد للوصول إلى شاطئها . ولكن ذهبت جهوده عبثاً ، فإن الأمواج العالية كالجبال كانت ترميه إلى الوراء ، كأنه قطعة من القشّ لا وزن لها .

وأخيراً ، وبعد أن يئس ، وفكر فى أن يَسْتَسْلِمَ لقضاء الله ، جاءته موجة قوية ضخمة ، فلطمته لطمة شديدة ، ورمته فوق الجزيرة .

اصطدم بينوكيو بالأرض صدمة مؤلمة ، كادتُ تهشِّمُ عظامَهُ ، « فطقطقت » ضلوعه ومفاصِلُه . ولكنه مع ذلك كان مسروراً بالنجاة ، فقال : « الحمد لله الذى أنجانى من الكرب والخوف والمخاطر ! أفّ ! لقد كانت ليلتى ليلاء ، لم أكن أتصور قط أن أخرج منها

سليما ! لك الحمد يا ستار يا رب ! » .

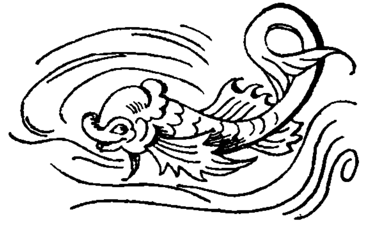
وخلع ثيابه ونشرها لتجِفَّ فى شمس الصباح . وتلفّت فى كل ناحية واتّجاه لعله يرى فى البحر الواسع قارباً صغيراً فيه رجل . وبقى ساعة ينظر ، وينظر ، وينظر ، لكنه لم يرَ غير الماء والسماء ، وشراع بعض السفن البعيدة تبدو كأنها الذباب الصغير .

قال الأرجوز : « لو أنى أعرف اسم هذه الجزيرة ! وهل يسكنها ناس مؤدبون لا يعلّقون الأولاد بالحبال فى الشجر ؟ هل أجد هنا أحداً أستطيع أن أعرف منه كل ما أريد معرفته ؟ » .

وأحسَّ أنه وحيدٌ فى بلد بعيد مجهول لا يسكنه أحد . وأحزنه شعورُه بالوحدة ، حتى كاد يبكى ، لولا أنَّ رأس سمكة كبيرة جدًّا ، ظهر فوق سطح الماء بجوار الشاطئ ، وكانت السمكة تسبح فى اتّجاه البر ، وكأنها تريد أن تصل إليه . فلما اقتربتْ من الشاطئ ، دارت وأرادت أن ترجع من حيث جاءت . لكن پينوكيو أسرع فناداها وقال :

– يا حضرة السمكة المُهذّبة ، هل تسمحين لى بأن أسألك سؤالا ؟ »

قالت السمكة (وكانت فى الحقيقة حوتاً كبيراً مُؤدّباً مُهذّباً ، لا يجد الإنسان فى جميع البحار مثيلا له فى أدبه وكريم أخلاقه) :



– بل بسؤالين .

– هل تسمحين لى (فإنه كان

يظن الحوت سمكة) بأن أعرف اسم هذه الجزيرة ، وهل فيها دكان أستطيع أن أجد فيه شيئاً آكله ، من غير أن يأكلنى أحد ؟

قال الحوت : « أما الجزيرة فلا اسم لها ! وأما الدكان فتستطيع أن تأكل فيه شيئاً من غير أن يأكلك أحد ، فهذا طبيعى ؟ » .

— وأين هذا الدكان ؟

— قريبٌ منك .

— فى أىّ ناحية ؟ وأىّ طريق أسلك ؟

— امْشِ فى هذا الطريق الصغير الذى إلى شمالك ، فستجد الدكان بعد قليل .

— شكراً ، شكراً ! أريد أن أسألكِ سؤالا آخر . إنكِ تسبحين فى الماء طول النهار وطول الليل ، فهل رأيتِ مُصادفة فى الماء قارباً صغيراً فيه أبى ؟

— ومن أبوك ؟

— إنه أحسن الآباء جميعاً فى هذه الدنيا ، وأطيبهم قلباً ، فى حين أننى شَرٌّ من فيها من الأبناء وأكثرهم عُقُوقاً .

— يُمكن أن يكون قد غرق ، بسبب العاصفة الشديدة التى مرّت بنا فى الليلة الماضية .

— وأبى ؟

— يمكن أن يكون الآن قد أكله « القَرْشُ » وحش البحر الكبير ، الذى ينشر الموت والخراب والفزع فى هذه المياه من زمن طويل .

فلما سمع پينوكيو كلام الحوت عن « القَرْش » وحش البحر الكبير ، ملأ قلبه الخوف الشديد وقال :

— وهل هو كبير جدًّا جدًّا ، هذا « القرش » ؟

— كبير ؟ ! ! إنه كبير جدًّا جدًّا . إنه أكبر من بيت ذى خمس « طبقات » . فأما فمه فواسع جدًّا ، وعميق جدًّا ، بحيث يتسع بسهولة لقطار كبير من قطر سكة الحديد بجميع عرباته !

— يا ساتر يا رب !

أسرع پينوكيو خائفاً إلى ثيابه فجمعها ، ثم التفت إلى الحوت وقال :

— وداعاً يا حضرة السمكة المحترمة ، ولا تواخذينى إن أنا أزعجتُك ، واقبلى كل تشكراتى .

ثم راح يجرى فى الطريق الصغير . وكان كلما سمع همساً أو حركة خفيفة أو صوتاً يكاد لا يسمع ، تلفَّت وراءه ، خشية أن يرى القَرْشَ يجرى وراءه ، القرش الفظيع الكبير مثل البيت ذى الطبقات الخمس ، وفى فمه قطار سكة الحديد !

وبقى سائراً نصف ساعة ، وصل بعدها إلى « مدينة النحل الشّغال » ، فوجد شوارعها مَلأى ، بأفراد النحل يجرون فيها هنا وهناك مسرعين عاملين وكل منهم له عمل يعمله ، ولا يهتمُّ بشىء غيره ، وليس فيها من يجلس

كسلا ، لا يعمل شيئاً ، ولو فتشتَ عنه بمصباح ! !

وتحركت عظام پينوكيو الكسلى وقالت له : « آ ... ه ، هذا مكان لا يصلح لى ، إنه بلد لا يمكننى أن أعيش فيه ، فأنا لم أولَدْ لأشتغل! » .

وكان الأرجوز فى هذا الوقت يُحس جوعاً شديداً جدًّا ، لأنه منذ أربع وعشرين ساعة لم يأكل شيئاً .

ما العمل إذن ؟

لم يكن أمامه إلا إحدى طريقتين للحُصول على بعض الأكل : فإما أن يبحث عن عمل يعمله ، أو أن يشحذ ملاليم أو قطعة من الخبز .

لكنه عند ما خطرت بباله فكرة الشّحاذة ، خجل خجلا شديداً . فإن أباه كان قد قال له مرة : « إن العجزة والمُتَقَدِّمين فى السن هم وحدهم الذين يحق لهم أن يَتَسَوَّلوا ، لأن المساكين فى هذه الدنيا ، المحتاجين إلى العطف والمساعدة ، هم الذين يعجزون عجزاً حقيقيًّا عن كسب قُوتِهم بعَرَق جبينهم ، مثل المتقدمين فى السن والمرضى وذَوِى العاهات الذين لا يقدِرون بسبب ذلك على الشغل . أما غيرهم ، فيجب أن يشتغلوا . فإن رفضوا ذلك وشكوا الجوع ، فيجب أن لا يعطِف عليهم أحد ، بل — على العكس — يجب أن يتركهم الناس وشأنهم ! » .

وكان پينوكيو غارِقاً فى أفكاره هذه ، حين مرّ به رجل يلهَث ويتصبّب العرقُ من جبينه ، وكان يجرُّ وراءه (بصعوبة شديدة) عربتين محمّلتين فحماً .

فلما نظر إليه پينوكيو ، رأى فى ملامحه علامات الطّيبة . فتقدم منه وقال فى صوت واطئ ، وقد خفض عَيْنَيْه خجلا .

– هل تسمح يا سيدى فتعطينى مليما ، فإنى أكاد أموت من الجوع ؟

قال الفحام : « بل أعطيك أربعة مليمات ، إن أنت ساعدْتَنى على جر هذا الفحم إلى البيت » .

فقال پينوكيو غاضباً : « عجباً لك ، اسمح لى أن أقول لك إنى لست حماراً ! » .

قال الفحام : « تقول إنك تكاد تموت من الجوع . فعليك أن تأكل إذن قطعتين من كِبْرِيائك هذه تسدُّ بهما جوعك الشديد. وحاذِر التّخمة وسوء الهضم » .

ثم انصرف الرجل .

وجلس پينوكيو وحيداً يكاد الجوع يقتله .

ومضت دقائق ، مرّ به بعدها بنّاء يحمل « قصعة » من « الأسمنت » فوق كتفه . فتقدم منه پينوكيو وقال فى صوت واطئ ، وقد خفض عينيه خجلا :

– هل تسمح يا سيدى بمليم واحد لِوَلَد يكاد يموت من شدّة الجوع ؟

– بكل سرور ! تعالَ واحمِل معى الأسمنت ، وأنا أعطيك بدل المليم خمسة .

– لكن الأسمنت ثقيل ، ولا أريد أن أشتغل .

ـ وهو كذلك ! ما دمت لا تريد أن تشتغل فيمكنكَ أن تتسلّى بجوعك ، وأنا واثق أن هذا الجوع سوف يفيدك إن شاء الله .

ثم انصرف الرجل .

وجلس پينوكيو وحيداً يكاد الجوع الشديد يقتله .

وانْقَضَتْ ساعة مرّ به خِلالها أكثر من عشرين رجلا . فكان كلما تقدّم من واحد منهم طالبًا مليمًا قال له :

ـ « ألا تخجل ؟ ! يجب عليك أن تشتغل وتكسب قُوتَك بعرق جبينك ، بدلا من التَّسَوُّلِ فى الشوارع » .

وأخيراً ظهرت امرأة عجوز تحمل جرّتين من الماء . فتقدم منها پينوكيو ، وقد كاد العطش الشديد يحرقه ، وقال : « يا سيدتى الكريمة ، هل تسمحين لى بجرعة ماء واحدة من جَرَّتِكِ ؟ » .

فوضعتِ المرأة الجرتين على الأرض وقالت : « نعم يا ولدى ، اشربْ » .

وصار پينوكيو يشرب كأنه الإسفنجة ، حتى كاد الماء يفرغ . فلما امتلأ وارْتَوَى ، مسح فمه بظهر يده وقال : « آ ... ه ، لو كان بإمكانى أن أسدّ جوعى كذلك ! ! ! »

فلما سمعت العجوز ذلك ـ وكانت امرأة طيبةَ القلب كريمة ـ قالت :

ـ « إن حملتَ لى إحدى هاتين الجرتين إلى البيت ، أعطيتُك قطعةً من الخبز كبيرة » .

فنظر پينوكيو إلى الجرة ، وسكت. فقالت المرأة : « وأعطيتُك مع



الخبز كميةً من القُنَّبيط « (القرنبيط) بالخل والزيت » .

فنظر پينوكيو إلى الجرة نظرة ثانية ، وبقى ساكتاً . فقالت المرأة : « ثم أعطيك بعد القنبيط قطعة من الكعك الفاخرِ وكثيراً من الحلوى اللذيذة ! » .

فلما سمع پينوكيو حديث الكعك الفاخر والحلوى اللذيذة ، ذاب عِنادُه كما يذوب السكر فى الماء ، فشدّ نَفَساً طويلا ، ثم قال فى عَزْمٍ وحزم : « مَهْلاً يا سيدتى ، سأحمل لك هذه الجرة إلى البيت » .

وكانت الجرة ثقيلة جداً . ولما لم تكن يدا پينوكيو من القوة بحيث تقدران على حَمْلِ الجرّة وإمساكها بينهما فترة طويلة ، فقد وضعها على رأسه.

ولما وصلا إلى البيت ، أجلست المرأةُ العجوز ضيفَها إلى مائدة ، كانت مجهّزه من قبل ، ووضعت فوقها أمامَه كثيراً من الخبز والقنبيط والكعك والحلوى والفطائر .

وراح پينوكيو يأكل — لا كإنسان — ولكن كحلُّوف أو خنزير برّىّ ، وكأنما كانت معدته بيتاً خاوياً خالياً ، لم يسكنه أحد من أشهر وأشهر .

وبدأت آلام الجوع تخفُّ شيئاً فشيئاً ، حتى هدأتْ تماماً آخر الأمر . فرفع رأسه لكى يشكر لتلك السيدة كَرَمَها وجميلها .

لكنه ما إن رفع إليها نظره ، حتى صاح مدهوشاً :

« أو ... و ... و ... و ... ه ! » . » وبقى جالساً مكانه لا يتحرك كأنه حجر ، فى حين كانت عيناه تُحَمْلِقان فى السيدة ، وكأنهما تريدان الخروج من رأسه ، وكان لا يزال ممسكاً فى يده بالشوكة ، ولا يزال فمه مملوءاً بالخبز والقنبيط .

قالت المرأة الطيبة مبتسمة : « ما لك ؟ ! » .

قال پينوكيو ، وقد كاد يعجز عن الكلام : « مالى ...



مالى .... إنك .... إنك تُشبهين.... تشبهين....تُذكرينى....نعم ، نعم .... نفس الصوت.... ونفس العينين.... ونفس الشعر.... ، أنتِ أيضاً شعرُك أزرق كشعرها ... إنك تُشبهينها تماماً ... تشبهينها كل الشبه ! أوه أيتها الإنسية العزيزة ، أيتها الإنسية العزيزة ، قولى لى ، هل أنتِ ..؟ هل صحيح أنك ...؟ لا تجعلينى أبكى أكثر مما بكيت ، آه لو علمتِ ! لقد بكيت كثيراً ، كثيراً ، وتألمت كثيراً ، كثيراً ! » .

ثم أجهش المسكين بالبكاء ، وفاضت دموعه كأنهار الماء . وركع على ركبتيه ، ورفع ذراعه تَوَسُّلا إلىتلك السيدة الصغيرة الغامضة.

٢٥

رفضت المرأة ذات الجسم الصغير — أول الأمر — أن تَعْتَرِف بأنها الإنسية ذات الشعر الأزرق ، ولكنها لما رأت أن پينوكيو قد عرفها ، وأنه لا فائدة من الإنكار والاستمرار فى اللعبة إلى نهايتها ، كشفتْ عن حقيقة أمرها ، وقالت :

— أيها الأرجوز الشيطان ، كيف عرفتْنى ؟

— إننى لم أعرفْكِ ، بل عرفك قلبى ، لأنه يحبك حبًّا شديداً .

— هل تتذكر ؟ كنتُ طفلة صغيرة حينما تركتنى ، فأصبحت الآن امرأةً ، حتى صار بالإمكان أن أكون أمك !

ـ إنى أفضّل ذلك كثيراً . وعلى هذا ، فبدلا من أن أناديك بيا « أختى » العزيزة ، يمكننى أن أناديك بيا « أمّاه ! » لقد تمنيتُ دائماً أن تكون لى أم ، كغيرى من الأولاد ، لكن قولى لى ، كيف أمكنك أن تكبرى بهذه السرعة ؟

ـ هذا سرّ !

ـ علّمينى هذا السرّ ، فإننى أتمنى أن أكون أكبر قليلا ، إنى فى حياتى كلها لم يزِدْ طولى على ما يعلو الرّكبة !

ـ ليس فى إمكانك أن تكبر !

ـ ولماذا ؟

ـ لأنك أرجوز ، والأرجوز لا يكبر أبداً . فالأرجوزات تُولَدُ أرجوزات ، وتعيش أرجوزات ثم تموت أرجوزات .

فصاح بينوكيو وهو يضرب رأسه الخشبى بيديه ، وقال :

ـ لكننى سئمتُ حياة الأرجوزات سأماً شديداً . إننى لا أريد أن أكون أرجوزاً بعد اليوم . لقد آن الأوان لأن أصبح رجلا ككل الرجال .

ـ لو أنك كنت تستأهل ذلك ، لأمكنك أن تصبح رجلا .

ـ وما الذى يجب أن أفعله لكى أستأهل أن أكون رجلا ؟

ـ تكون ولداً طيباً عاقلا مطيعاً .

ـ وهل تريدين أن تقولى إنى لستُ طيباً عاقلا ؟

ـ الأولاد الطيبون مطيعون ، وأنت ....

ـ وأنا لا أطيع قطّ ....

ـ والأولاد الطيبون يحبون المدرسة والتعليم ، والشغل ، وأنت ....

ـ وأنا غبيٌّ متسكّعٌ طول الوقت . . .

ـ والأولاد الطيبون لا يقولون دائماً إلا الصدق . . .

ـ وأنا لا أقول الصدق أبداً . إنني دائماً أكذب . . .

ـ والأولاد الطيبون يذهبون إلى المدرسة ....

ـ والمدرسة تُضايقني وتوجع رأسي . لكنني منذ اليوم ستتغيّر حالي وتتبدّل حياتي .

ـ هل تَعِدُني بذلك ؟

ـ نعم أعدك . إنني أريد أن أكون ولداً طيباً ، وأن أصبح عزاءً لأبي. أين يمكن أن يكون الآن أبي المسكين ؟ !

ـ من يعرف ؟

ـ هل يُسعِدُني الحظ يوماً فأراه ؟

ـ أرجو ذلك ، بل أنا واثقة من ذلك !

فشعر پينوكيو بالسعادة تَغمُر قلبه حين سمع من الإنسية هذا الكلام الذى بعث فيه الأمل برُؤيةِ أبيه، فأمسك يديها فقلبهما فرحاً وشكراناً . ثم نظر إليها نظرة ملؤها الحب وقال :

ـ قولي يا أماه إنه لم يكن صحيحاً أنكِ متِّ يوماً .

ـ قالت الإنسيّة مبتسمة :

– الظاهر أنه غير صحيح .

– آه ، لو عرفت كم حزنتُ وتألمت ، وكم كان قلبي يوجعني وأنا أقرأ « هنا ترقد .... » .

– أعرف ذلك ، ولهذا السبب سامحتك . لقد تألمتَ حقيقة ، فعرفتُ حينئذ أن لكَ قلباً طيباً . وعند ما يكون للطفل قلبٌ طيب (ولو كان طفلا شرّيراً) فبالإمكان أن يأمل الإنسانُ صلاحه يوماً ما . وهذا هو السبب الذى من أجله جئت الآن هنا أبحث عنك . إننى سأكون أمك . .

فقفز پينوكيو فرحاً وصفّق بيديه ابتهاجاً وقال :

– أوه ، هذا حسن جداً ، حسن جداً جداً ،

– إذن فسوف تطيعنى دائماً ، وتعمل كلّ ما آمرك به .

– نعم ، نعم ، نعم ، بكل تأكيد !

– وإذن فستذهبُ غداً إلى المدرسة ....

فخفّ فرح پينوكيو قليلا .

– .... ثم تختار لك مهنة أو حرفة ، كيفما تحب .

فتعقّد وجه پينوكيو . فسألته الإنسية غاضبة ؟

– ما الذى تقوله من تحت ضرسك ؟

– أقول إننى أرى وقت الذهاب إلى المدرسة قد فات .

– لا ، إنه بالتأكد لم يفت . لا تنس أنّ الإنسان يمكنه ، فى كل وقت ، وفى أى وقت ، أن يتعلم ويتهذب ويتربّى ، إذا شاء .

– لكننى لا أريد تَعَلُّمَ صناعة أو حرفة أو مهنة ....

– ولماذا ؟

– لأننى لا أحب أن أشتغل .

– إن الذين يقولون مثل ما تقول الآن ، ينتهى بهم الحال دائماً إما إلى المستشفى أو إلى السجن. تذكَّر أن الإنسان – سواء وُلِد غنيًّا أم فقيراً – من واجبه أن يجد شيئاً فى الحياة يعمله ! يجب عليه أن يشغلَ نفسَه بشىء وَوَيْلٌ للذين يضيعون وقتَهم كسلا وتَسَكُّعاً ، فالكسل مرض مُخيف ، يجب على الإنسان أن يعالج نفسه منه وهو طفل لم يكبر ، وإلاّ أصبح من الصعب جدًّا – بل من المستحيل – فيما بعد أن يَشْفَى منه .

أثَّرت هذه الكلمات فى قلب بينوكيو تأثيراً شديداً . فرفع بصره وقال بسرعة :

– سأذهب إلى المدرسة وأتعلم صناعة ، وسأفعل كل ما تأمريننى به ، لأننى سئِمتُ حياةَ الأرجوزات هذه . إنى أريد أن أصبح ولداً حقيقيًّا مَهْما كَلَّفَنِى ذلك . لقد وعدْتِنِى بهذا ، أليس كذلك

– نعم وعدْتُك . والآن كل شىء مُتَوَقِّفٌ عليك أنت .

٢٦

وفى اليوم التالى مباشرة ، ذهب بينوكيو إلى المدرسة .

تصوَّروا ما فعله أولئك الأطفال الملاعين — تلاميذ المدرسة — حين رأوا أرجوزاً يدخل المدرسة ، وقد حمل تحت إبطه كتباً كثيرة ! ! !

لقد أخذوا يضحكون ويضحكون ، كأنهم لا يُريدون أبداً أن يتوقَّفوا عن الضحك ، وبدأ أحدُهم ، ثم تلاه آخر ، ثم ثالث ورابع ، بدأوا جميعهم يعاكسونه ، ويخرجون له ألسِنَتَهم ، ويخطفون من يده طاقيَّته ، ويشدُّون سترته من الوراء . ثم حاولوا أن يرسموا له بالطباشير تحت أنفه شارباً ضخماً . وأخيراً حاولوا أن يربطوا بيديه ورجليه خيوطاً ليجعلوه يرقص ويلعب كالبهلوانات .

وتظاهر بينوكيو أول الأمر ، أنه غير مُهْتَمّ بما يفعلون ، غير مهتم إلا بعمله المدرسى وحده . لكنه آخر الأمر ، تضايق ، ونفد صبرُه ، فالتفت إلى أرذلهم ، وصاح مُهَدِّداً متوعداً وقال :

— حاذِروا ، يا أولاد ، فأنا لم أجئ إلى المدرسة لأضحِكَكم ، إنّى أحترم غيرى ، وأريد أن تحترمونى جميعاً .

— عال ، عال ، أيها الماجنُ المِهذار ! إنك تتكلم كالكتب تماماً !

ثم زاد ضحكهم وصياحهم ، واقترب منه أكثرهم وقاحة ، وأراد أن

يمسكه من أنفه . لكنه لم يكن من السرعة بحيث يريد ، فإن پينوكيو سبقه فرفسه من تحت المقعد رفسة شديدة أصابت ساقه . فصاح الغلام صياحاً عالياً ، وحك ساقه بيده وهو يقول : « آیْ آیْ ! أية قدم ناشفة قدمك تلك ! » .

وصاح آخر (بعد أن ضربه پينوكيو فى بطنه ضربة شديدة لمزاحه الثقيل) قال : « آیْ آیْ ، ويَدُه ، ما أقساها ! إنها أنشف من قدمه! ».

وبقى پينوكيو على هذه الحال فترة ، يعاكسونه ويضايقونه ، فيردُّ عليهم مُضايقاتهم ، ويضربهم ضرباً موجعاً ، ويدافع عن نفسه بمهارة، حتى أصبح كلُّ التلاميذ يخافونه ويحترمونه . ثم ما لبثوا أن أحبوه جميعاً حبًّا كثيراً .

حتى المدرس نفسه ، كان يمدحه ، لأنه كان فى أثناء الدرس وبعده منتَبهاً ذكيًّا مجتهداً مؤدَّباً .

لقد كان دائماً أول من يصل إلى المدرسة فى الصباح ، وآخر من يخرج منها آخر النهار . ولم يكن به عيب إلا أن أصحابه كثيرون ، وأن منهم من اشتهر بالكسل والبلادة وكُرْه المدرسة والتعليم. ولذلك كان المدرس يحذِّرهُ كلما رآه . وكذلك الإنسية لم يفُتْها أن تقول له فى يوم من الأيام :

« حاذر يا پينوكيو رفاق السُّوء هؤلاء . إنهم سيجعلونك يوماً مثلهم ، كسولا بليداً ، تكره الكتب والمدرسة ! بل إنهم قد يسببون لك يوماً كثيراً من المتاعب . فلا تُصاحِبْهُمْ ! » .

فقال پينوكيو : « لا تخافى يا أماه ، لا تخافى ! » . ثم هزّ كتفيه ، ولمس بيده جبهته كأنما يريد أن يقول : نعم ، معها حق ! إن كلامها فيه كثير من الحق » .

وحدث ذات صباح ، بينما كان فى طريقه إلى المدرسة أن قابله بعض زملائه ، فقالوا له :

– هل بلغتْك الأخبارُ العجيبة ؟

– أيَّةُ أخبار؟

– ألم تسمع أن فى البحر قَرْشاً كبيراً جداً جداً كالجبل ؟

– وهل هذا معقول ؟ لا أظن إلا أنه نفس القَرْش الذى سمعتُ الناس يتكلّمون عنه فى نفس الليلة التى غرق فيها أبى المسكين .

– إنّا ذاهبون إلى شاطئ البحر كيما نراه . هل تجىء معنا ؟

– لا ، إنى ذاهبٌ إلى المدرسة .

– ولماذا كل ذلك الاهتمام بالمدرسة ؟ إنك تستطيع أنْ تذهب إليها غداً ، وبعد غد ، وبعد بعد غد . ثم ماذا نخسر إن ضاع علينا درس وماذا نكسب إن زاد علينا درس ؟ سنظلُّ مع ذلك كما نحن الآن ، أغبياء .

– ولكن ، ماذا يقول المدرس إن أنا تغيَّبْتُ عن المدرسة ؟

– أوه ، دَع المدرس يقول ما يشاء . إنه يتناول مرتبه كل شهر ليجد فينا عيوباً فى كل لحظة ، وسواء ذهبنا للمدرسة أم لم نذهب !

– وأمّى ؟ !

— أوه ، ومن ذا الذى سيخبرها بهذا ؟ إنها لن تعرف ذلك أبداً .

— أنا أعرف ما سأفعله . إن عندى أسباباً خاصة تدعونى لرؤية القَرْش . ومع ذلك فلن أذهب لِرُؤْيَتِهِ الآن ! بل سأذهب إليه بعد فراغى من المدرسة .

— أيها المسكين الأبْلَه ، هل تحسَب أن سمكةً كبيرة بهذا الحجم ، تنتظر إلى آخر النهار ، حتى تفرغ حضرتُك من يومك المدرسى ، لتُشَرِّفها بزيارتك ؟

— وكم من الوقت يستغرق ذهابنا إلى الشاطئ ؟

— ساعة فى الذهاب ومثلها فى الرجوع ، لا أكثر .

— إذن فهيا بنا . ومن رأيى أن نجرى ، لنرى أينا يسبق أصحابه .

وجرى هؤلاء الشياطين من وسط الحقول ، بكتبهم وألواحهم وكراساتهم وأقلامهم .

كان بينوكيو يجرى وكأنما لقدَميْه جناحان ، فتمكَّن فى لحظات من سَبْقهم جميعاً . وكان من لحظة لأخرى ، يتلفَّت وراءه ليُخرج لسانَه لزملائه المتأخرين عنه . فلما رأى التعب قد أنهكهم وأنهم أخذوا يَلْهَثُون حتى تدلَّت ألسنتهم ، وغطاهم الغبار ، ضحك من كل قلبه .

لقد كان المسكين فى تلك اللحظة يجهل المتاعب والمخاوف ، بل الكوارِث والمصائب ، التى كانت تنتظره ، لتنزل به شديدة قاسية . . .

٢٧

لما وصل پينوكيو مع أصحابه إلى شاطئ البحر ، تلفت حوله بسرعة باحثاً عن القرش ، لكنه لم يره ! لقد كان البحر هادئاً ناعماً كأنه مرآة عظيمة .

والتفت الأرجوز إلى زملائه وقال : « أين هو ذلك القرش ؟ » .

فضحكوا جميعاً مُقَهقِهين بصوت عال . وقال أحدهم : « ربما ذهب ليتناول فطوره » .

وقال آخر : « أو أنه ذهب ليستريح قليلا فى فراشه » .

ففهم پينوكيو من إجاباتهم البَلْهاء ، وضحكهم السخيف ، أن الأمر كله كان مزاحاً ، وأنهم كذبوا عليه . فغضب غضباً شديداً وقال محتَدّاً :

– « والآن؟ هل كان لكم غرض من هذه الحكاية التى اخترعتموها ، حكاية القرش ؟ »

قالوا جميعاً فى صوت واحد : « نعم ، بالتأكيد ! » .

– وما غرَضُكم هذا ؟

– أردْنا أن تهرب من المدرسة وتجيء معنا . ألا تخجل من مُواظبتك وانتظامك كل يوم واجتهادك ؟ ألا تخجل من استذكارك دروسك بهذه العناية الشديدة ؟

– وما شأنكم أنتم واستذكاري دروسي واجتهادي ؟

– بل هو شأننا بالتأكيد، لأنك بهذا تقفنا من المدرس والمدرسة موقفاً مخجلا .

– والسبب ؟

– السبب أن التلاميذ المجتهدين الذين يستذكرون دروسهم ، يجعلون موقف أمثالنا الذين لا يستذكرون موقفاً مخجلا. ولن نقبل نحن أن تخجلنا أنت فنحن أيضاً لنا كبرياء وعندنا عزة .

– وما الذي يمكنني إذن أن أفعله من أجلكم ؟

– شيء واحد بسيط جداً : أن تكره المدرسة والمدرس والدروس جميعاً ، هؤلاء الثلاثة أعظم أعدائنا .

– وافرضوا أني أفضل أن استمر في اجتهادي .

– إذن نقطع من اليوم علاقتنا بك ، ثم ننتهز بعد ذلك أول فرصة لنصفي حسابنا معك . فهز بينوكيو رأسه وقال :

– صحيح ؟ ! إنكم تضحكونني !!!

فمشى نحوه واحد من الأولاد الكبار وقال :

– كو ... كو ... !

فصاح أكثرهم جرأة وقال : «إذن فسنعطيك "كو ... كو ... !" خذ هذه على الحساب ، واحتفظ بها لعشائك! » . وإذ قال هذا لطمه على رأسه .

وطبعاً لا يمكن أن ننتظرَ من پينوكيو أن يسكت على مثل هذا ، فقد ردّ اللطمةَ بأشدّ منها ، وما لبثتِ المعركة أنْ حميتْ واشتدت واشتركوا فيها جميعاً ، وأصبح الأمر بينهم هجوماً من ناحية ، وهجوماً مضاداً من الناحية الأخرى .

كان پينوكيو وحيداً ، ولكنه دافع عن نفسه دفاع الأبطال . وكانت قدماه الخشبيّتان تعملان بسرعةفائقة ، حتى اضْطُرَّ أعداؤه جميعاً إلى الرجوع والابتِعاد عنه . فإن هاتين القدمين كانتا إن لمستا من أعدائه مكاناً ، تركتا فيه فى الحال علامة زرقاء سوداء ، وآلاماً ليس من السّهل نِسيانها. . . !

وغضب الأولاد بعد أن عجزوا عن إصابته بسوء ، بل عن الاقتراب منه ، فأخذوا يرمونه بكلّ ما تصل إليه أيديهم من أشياء ، لقد فكوا رباطَ كتبهم المدرسية و بدأوا يرمونه بها ، الواحد بعد الآخر : رموه بكتب الحساب والمطالعة والقواعد وغير ذلك . لكن عيْنَيْ پينوكيو الحادّتين ، كانتا ترْقُبان كلّ شيء ، فكان يتحرك بسرعة من مكان إلى مكان ، وأمكنه بذلك أن يتجنَّب القذائف ، فكانت الكتبُ تتطاير من فوق رأسه دون أن تُصيبه ، ثم تسقط فى البحر .

ثم ماذا تَظنُّون الأسماك قد فعلت بهذه الكتب؟ إنها عندما رأتها تتساقط عليها فى الماء حَسبتها شيئاً يؤكلُ . فجاءت إلى سطح الماء قرب رمال الشاطئ لتلتهمها ، ولكنها ما إن ذاقت طعم صفحة أو

صفحتين ، حتى بصقتها مُشْمَئِزَّةً ، وقد تَعَقَّدَتْ ملامحُها ، وكأنها تقول : « ما هذا ؟ لقد تعوّدنا طعاماً أفضل من هذا وأشهى ! » .

وكانت المعركة تزداد شدة حين خرج من الماء « أبو جلمبو » كبير ، يزحف على أقدامه الكثيرة ، وصاح فى المتعاركين بصوت عال كأنه صوت النفير ، قال : « ما هذا القتال أيها الملاعين ؟ كفى عراكاً يا شياطين . إن عراك التلاميذ ينتهى دائماً بشرّ : فلا بد أن يجرح البعض أو يُصاب بسوء ! كفى عراكاً ، كفى ، كفى ! » .

مسكين : « أبو جلمبو » الكبير ! لقد راحت صيْحته وذهب كلامه مع الريح ، كأنه كان يكلم الهواء ! ! بل لقد صاح به ذلك « الشيطان » پينوكيو قال : « أقفل فمك يا أبا جلمبو يا كريه ! ثم أنصحك أن تتناول حبوباً للحلق لتحسين صوتك القبيح ، ولتشفى من البرد الذى بحلقك . اذهبْ فى الحال إلى فراشك وتناول مغلىّ اليانسون ، ونمْ ! » .

قذف الأولاد پينوكيو بكل ما كان معهم من كتب وأدوات مدرسية حتى لم يبقَ معهم منها شىء . لكنهم ما لبثوا أن رأوْا على الأرض كتبَ پينوكيو . فأسرعوا إليها ، وفى أقل من لمح البصر ، كانوا قد أمسكوها ، وبدوا يرمونه بها ، الواحد بعد الآخر .

وكان بين كتب پينوكيو هذه كتابٌ للحساب كبير ثقيل ، مغلفٌ بغُلاف متين ذى « كعب » من الجلد السميك القوىّ .

لقد سدّد أحد أولئك الشياطين هذا الكتاب الثقيل إلى رأس پينوكيو ،



فلما اطمأن إلى أن الإصابة محكمة لا شكّ فيها ، قذف الكتاب ، وتركه طائراً فى الهواء .

وبقى الكتابُ طائراً فى الهواء إلى رأس پينوكيو ، حتى إذا أوشك أن يُصيبه، مال پينوكيو برأسه قليلا ، فلم يُصِبْهُ الكتاب ، بل أصاب — بدلا منه — تلميذاً آخر كان واقفاً وراءه ، وأصابه فى رأسه إصابةً شديدة ، لم يلبث المسكين بعدها أن ابيضّ لونُه حتى أصبح كالشمع ، وصرخ صرخة عالية من شدة الألم «آ . . . ىْ ! ساعدينى يا أماه ! إنى أموت ! آ ... ىْ ! » ثم سقط على الأرض يابساً كالحجر .

وفزع الأطفال لهذا المنظر ، وهربوا مُسْرِعين .

هربوا جميعاً ما عدا پينوكيو . فقد بقى واقفاً مكانه ، يكاد الخوف والأسف يقتلانه . ثم ما لبث أن جرى إلى البحر فبلّ منديله ، وعاد فوضعه على صدغ الولد المسكين ، فى حين كان هو يبكى بكاء شديداً مرًّا، ويناديه باسمه ويقول :

« أوجين ! أوجين ! أيها المسكين أوجين ! افتح عينيك وانظُر إلىّ ! لماذا لا تجيب يا أوجين؟ بالله عليك إلا أجَبْتَنى ! إنى لم أُصبْك . لست أنا الذى أصابك . صدقنى فأنا برىء من ذلك . افتح عينَيكَ يا أوجين ، وإلامت أنا من الحزن عليك . واحَسْرَتاه،واحسرتاه! آه ، لو أنى متُّ قبل هذا ! كيف يمكننى الآن أن أرجع إلى البيت ؟ ! كيف أجد من الشجاعة ما يكفى للرجوع إلى أمى ؟ ما الذى يحدُث لى

حينئذ ؟ وأين أهرب؟ أين أختبئ ؟ كان الأفضل لى ألف مرة لو أننى ذهبت إلى المدرسة ! إذن لَمَا وقعتُ فيما أنا فيه الآن . لماذا استمعتُ إلى رُفقائى الفاسدين ؟ إنهم سبب مصائبى ! لقد قالى لى المدرس ذلك ، وقالته لى أمى كذلك. لقد قالت : «حاذِرْ زُملاء السوء والرفاق الفاسدين!». لكننى عنيد ورأسى ناشف ! إننى أستمع لكل ما يقولون ، وأفعل كل ما أريد ! ثم أدفعُ ثمن ذلك غالياً . هذا شأنى منذ وُلِدْتُ ! لم أكن يوماً طيباً أو عاقلاً . آه ، يا الله ، يا الله ! ما الذى سيحدث لى ؟ » .

وبقى پينوكيو على هذه الحال ساعة يبكى ويتألم ، ويضرب رأسه وينادى صاحبَه : « أوجين ، أوجين! » ، حتى سمع وراءه وقع أقدام تقترب .

فلما رفع رأسه ونظر وراءه ، رأى شرطيين يمشيان نحوه . فلما اقْتَربا منه قالا : « ماذا تصنع هنا ، ولماذا ترقد على الأرض ؟ ومن هذا الذى معك ؟ وما باله ؟ » .

— هو زميلى بالمدرسة ، وكنت أساعده .

— وماذا جرى له ؟ هل أصابه مكروه ؟

— أظن ذلك !

فمال أحد الرجلين على أوجين وفحصه ثم قال :

— وأنا أيضاً أظن ذلك ! لقد جُرِح فى صدغه . فمن الذى فعل هذا ؟ فعقد الخوفُ لسان پينوكيو ، لكنه مع ذلك قال : مُتَمْتِمًا : « لَسْتُ أنا »

وظلَّ يتنفَّس بصعوبة شديدة .

- إذن مَن ، إن لم تكن أنت ؟

- لست أنا .

- وكيف أصيب ؟

- أصابه هذا الكتاب برأسه . والظاهر أن اللطمةَ كانت شديدة .

وأمسك پينوكيو في يده كتاب الحساب المغلف بالجلد السميك القوي ، وأراه للشرطيين فقالا : « وكتاب من هذا ؟ »

- كتابي أنا .

- هذا يكفي ، إننا لا نريد أكثر من هذا . قم بسرعة ، وتعال معنا .

- لكنّني ...

- تعال معنا .

- لكنّني بريء ...

- تعال معنا .

ثم نادى الشرطيّان بعض الصيادين الموجودين في أحد القوارب القريبة من الشاطئ ، وقالا لهم : « نتركُ معكم هذا الغلامَ المجروح . خذُوه إلى البيت وابذلوا له من العناية ما ترون ، حتى نرجع إليكم غداً » .

ثم التفتا إلى پينوكيو وقالا : « امشِ معنا ، وامش بسرعة ، وإلا ساءت عاقبتك ! » .

فمشى پينوكيو بينهما وكأنه يحلم أحلاماً مُفزِعة مخيفة . لقد كان

يائساً خجلا أشد الخجل . وكانت عيناه ترى الأشياء مزْدَوجة ، ورجلاه ترجُفان تحته ، ولا تقْويان على حمله ، ولسانه معقوداً ملصوقاً بسقف فمه ، لا يستطيع أن يقول كلمة واحدة .

ومرّت بخاطره فكرةٌ انقبض لها قلبه ، وكأنما قد اخترقه سهم مسموم . تلك الفكرة هي أنه سوف يمر الآن ببيت الإنسية ، ومن تحت نافذتها ، ماشياً بين شرطيين !

آه لو أنه مات قبل هذا !

واقتربوا من القرية . وإذ كانوا على أبوابها ، هبَّت عليهم ريح عاصفة شديدة انتزَعت كل شيء من مكانه ، حتى طاقية پينوكيو انتزعتها من رأسه ، وأطارتها بعيداً ، بعيداً ، نحو عشر خطوات أو عشرين .

قال پينوكيو للشرطيين : « هل تسمحان لى بأن أذهب إلى طاقيتى فألتقطها ؟ » :

— نعم ، اذهبْ وأسرعْ ! .

فذهب پينوكيو إلى طاقيته والتقطها .

لكنه بدلا من أن يعود للشرطيين ، وضع الطاقية بين أسنانه ، وانطلق يجرى بكل قوته نحو البحر كالسهم .

ورأى الشرطيان أنْ ليس من السهل عليهما أن يلحقا به . فأمرا كلباً ضخماً مخيفاً بأن يجرى وراءه يمسكه ، كلباً من كلاب البوليس الماهرة

المشهورة بالجرى السريع ، بل لقد ربح هذا الكلب الجائزة الأولى في سباق كبير أقيم ذات يوم بملعب المدينة .

انطلق الكلب يجرى وراء پينوكيو . وظلّ يجرى ، وپينوكيو يجرى ، ويجرى وپينوكيو يجرى أمامه ، ويجرى وپينوكيو يجرى أمامه .

وأطلّ الناس من النوافذ ليروا هذا السباق العجيب ، بعد أن سمعوا صراخ الشرطيين . لكنهم لم يروا شيئاً ، ذلك لأن الغبار الذى أثاره پينوكيو والكلب الذى يتبعه ، حجبهما تماماً عن الأنظار .

٢٨

مرت بپينوكيو فى أثناء السباق لحظة أحسّ فيها أنه ضائع !

فقد كاد « أليدورو » (وهو اسم الكلب) يلحق به ، حتّى كان يسمع أنفاسه وراءه مباشرة ، بل إنه كان يحسّ حرارة هذه الأنفاس الساخنة تهب على قفاه !

لكن پينوكيو كان قد اقترب — لحسن حظه — من شاطئ البحر ، لا يبعُد عنه إلا خطوات .

فلما وصل إلى الماء قفز قفزة عظيمة – كأنه الضفدعة – فنزل فى الماء بعيداً عن الشاطئ !

كان الواجب أن يقف أليدورو عن الجرى بعد ذلك ، لولا أنه كان يجرى بسرعة هائلة عظيمة دفعته إلى الماء دفعاً ! ولما لم يكن المسكين قادراً على السباحة ، فقد راح يضرب الماء بيديه وقدميه و« يطبّش » فى الماء يائساً ، محاولا أن يحتفظ بأنفه فوق سطح الماء . لكنه كان كلما بذل جهدَه ، زاد نزولا تحت سطح الماء . ثم عاد فبذل جهداً جديداً تمكن بفَضْلَه لحظة أن يرفع أنفه فوق سطح الماء قليلا . فلما رأى پينوكيو وهو فى هذه الحال الشديدة ، صاح به قائلا : « إنى أغرق يا پينوكيو ! إنى أغرق ! » .

وكان پينوكيو قد ابتعد عنه مسافة كبيرة، وأصبح آمِناً من كل خطر ، فأجابه بقوله : « إذن فاغرقْ ! ما الذى يَمنعك ؟ » .

– ساعدْنى يا پينوكيو . أنقذْ حياتى وإلا غرقتُ ! .

وكان پينوكيو كما تعلمون يحمل بين جنبيه قلباً طيباً كريماً ، فلما سمع صيحات الكلب اليائسة رقّ له قلبه فقال له :

– إنْ أنا أنقذتُ حياتك، فهل تعِدُنى بألا تضايقنى بعد ذلك أبداً ، أو تجرى ورائى بعد اليوم مهما حدث ؟

– نعم أعدُك ، أعدك ! لكن أسرعْ بالله عليك ، أسرع وإلا

غرقت ! لم يبق لى إلا دقيقة واحدة ، بل نصف دقيقة ، بل ربع دقيقة لا أكثر ، آ ... !

وتردّد پينوكيو قليلا . ثم تذكرّ أن أباه كان يُوصيه دائماً بفعل الخير مهما كانت الظروف ، وأنّ فاعل الخير ينال دائماً جزاء إحسانه حسنات ، فسبح فى الحال إلى أليدورو ، وأمسكه من ذيله بيديه ، وشدّه إلى الأرض سالماً مُعافىً .

عجز الكلبُ المسكين عن الوقوف قائماً على قوائمه ؛ فإن ما شربه من ماء البحر المالح نفخ بطنَه حتى جعله ككرة المطّاط المتفخة (البلّون) . ومع ذلك فقد كان پينوكيو يشك فى إخلاصه وصِدْقِ كلامه وأفعاله ؛ ولهذا فلم يَكدْ يتركه على الرمل النّاشف ، حتى رجع إلى البحر مسرعاً فرمى نفسَه فى الماء ، وسبح مبتعداً من الشاطئ ، وصاح بصاحبه الكلب وقال :

— وداعاً يا أليدورو ! وداعاً ! أرجو لك رحلة طيبة ، وأبلغْ سلامى إلى الأهل والأصحاب .

— وداعاً يا پينوكيو ، شكراً لك ألفَ شكر ، لقد أنقذت حياتى وأنجيتَنى من الموت . وهو معروف لن أنساه . فإن احتجتَ إلىّ يوماً يا پينوكيو فلن أخذُلَكَ !

استمرّ پينوكيو يسبح ، لكنه مع ذلك ، بقى قريباً من الشاطئ ، حتى رأى أخيراً أنه وصل إلى مكان آمِن . وإذ نظر إلى البر رأى فى الصخر كهفاً يخرج منه دخان كثيف ، يعلو فى الجو كأنه عمود أسود كبير .

فقال لنفسه : « لابد أن بهذا الكهف ناراً . حسن جداً جداً . إننى أستطيع إذن أن أنشف ثيابى وأدفئ نفسى .... ثم ... ثم نرى بعد ذلك ما يكون! ».

وإذ قرّ على هذا قراره ، اقترب من الشاطئ الصخرى .

لكنه لما استعدّ للخروج من الماء ، أحس أن شيئاً تحت الماء يرتفع به وظلّ يرتفع ، ويرتفع ، ويرتفع ، حتى رفعه إلى البر!

وحاول أن يجرى هرباً ، لكن الفرصة كانت قد فاتت ، لأنه — لدهشته العظيمة — وجد نفسه فى شبكة كبيرة هائلة ، وفى وسط مجموعة كبيرة جدا من السمك من كل نوع ولون وحجم ، ينتفض حوله فى الشبكة هنا وهناك ، كأنما قد أصيب جميعه بالجنون!

كذلك رأى — فى الوقت نفسه — صياداً مخيفة هيئته ، يخرج من الكهف .

لقد كان منظره قبيحاً شبيهاً بمنظر وحوش البحر . ولم يكن له برأسه مثلا شعر ككل الناس ، بل كانت تنبت برأسه — بدل الشعر — شجيرة كثيفة تغطيها أوراق خضر . كذلك جلده كان أخضر اللون ، وعيناه خضراوين ولحيته الطويلة التى تصل إلى الأرض كانت كذلك خضراء .

كان كل ما به أخضر حتى صار كأنه سحلاة (سحلية) كبيرة خضراء واقفة على رجليها الخلفيتين .

وحين شد هذا الصياد الأخضر الشبكة الكبيرة من الماء ، ورأى فيها كل هذا السمك ، صاح فرحاً ، قال : « الحمد لله ! الحمد لله ، إن غذائى

اليوم من السمك سيكون فخماً بديعاً ! » .

وقال بينوكيو يحدّث نفسه وقد استعاد شجاعتَه : «من حُسْنِ حظى أنى لست سمكة ! » .

وحمل الرجلُ الأخضرُ الشبكةَ الهائلة بما فيها إلى الكهف ، وكان مُظْلِماً يملؤه الدُّخان الأسود الكثيف ، وفى وسطه نار هائلة ، فوقها مقلاة كبيرة ملأى بالزيت يغلى وتخرج منه رائحة مُقبِضة تقطع النفس كرائحة الشمعة عند إطفائها .

قال الصياد الأخضر : « سنرى الآن أى نوع من السمك جاءتْنا به الشبكة اليوم ! » . ثم وضع فى الشبكة يده الضخمة القبيحة المنظر كأنها « الجاروف » الكبير ، وأخرج حفنة كبيرة من سمك « المرجان » فنظر إليها وشمها وقال : « هذا نوع طيب من " المرجان " ! نوع طيب جداً ! عال ، عال ! » . ثم ألقى الحفنة كلها فى حوض لا ماء فيه .

وأعاد هذه الفعلة مرات . وكان كلما أخرج نوعاً جديداً من السمك سال لُعابُه سروراً وقال :

« هذا "البورى" سيكون شهياً ! » .....

« وهذا "القاروص" سيكون لذيذاً ! » . . . .

« وهذا " السردين" سيكون مُمتعاً ! » . . . .

« وهذه "الأنشوجة" سنأكلها برأسها وذيلها ! » . . . .

« وأما "سمك موسى" هذا فإنه فاخر ! » . . . .

وطبعاً ذهبت كل هذه الأنواع العجيبة من مختلف الأسماك إلى الحوض الجاف مع « المرجان » .

وأخيراً . . . . جاء دور پينوكيو !

فلما أخرجه الصياد الأخضر من الشبكة ، فتح عينيه وحملق فيه دهشة ، وكأنما فزع لرؤيته بين السماك ، فقال : « أى نوع من السمك هذا ؟ إننى فى حياتى لم أر هذا النوع من السمك ! » .

وراح يقلبه فى يده يمنياً ، ويقلبه شمالا ، ويفحصه بعناية ، ويشمه . وأخيراً قال : « آ . . . ه ! لا بد أنه نوع جديد من "أبى جلمبو" لم أره من قبل ! » .

وأحس پينوكيو المسكين بشىء من الذلة والمهانة عندما شعر أن الصياد الأخضر يحسبه نوعاً من «أبى جلمبو » ، فغضب وقال فى صوت عال :

ــ ماذا تعنى بقولك إننى أبو جلمبو؟ هذه طريقة جميلة جداً فى معاملتى! اسمح لى بأن أقول لك ــ ولفائدتك شخصياً ــ إننى لست أبا جلمبو ، بل أنا أرجوز !

ــ أرجوز ؟ ! أقول لك الحق إن « سمك الأرجوز » هذا ، نوع جديد على ، لم يمر بى فى حياتى ، ولا أعرفه . وهو كذلك، فليكن ! هذا أمر يسرنى كل السرور. وعلى ذلك فسآكلك بمنتهى اللذة وعظيم الشهية !

– تأكلنى ؟ ! ما هذا ؟ ألا تفهم أنى لستُ سمكة حتى تأكلنى ؟ ألا ترى أنى مثلك تماماً ، لى عقل أفكِّر به ، ولسان أتكلم به ؟

– هذا صحيح ! فعلا ! وهو أمر مدهش حقًّا . وما دمتَ سمكة ذات عقل تفكِّر به ولسان تتكلم به ، فإنى سأعاملكَ بعظيم الاحترام والاعتبار .

– وما معنى هذا ؟

– هذا دليل المودَّة والتقدير العظيم من جهتى أنا لشخصك الكريم . أعنى أنى أترك لك اختيارَ الطريقة التى تحب أنت أن أطبخك بها : هل تريد أن آكلك مقليًّا فى الزيت بالمقلاة ، أو تفضّل أن أطبخك فى الحلة « بصلصة » الطماطم ؟ أخبرنى بما تريد .

– أقول لك الحق : لو تركتَ لى الاختيار لاخترتُ أن تتركنى حرًّا لأرجع إلى البيت .

– إنك تمزح من غير شك ! هل تظننى أضيع مثل هذه الفرصة النادرة ، أتذوّق فيها طعم سمكة نادرة مثلك ؟ ! إنها فرصة لا تصادفنى كل يوم ، فهذه أول مرة تجيئنى فيها شبكتى بواحدة من « سمك الأرجوز » . فاترك لى إذنْ الاختيار . وعلى ذلك فسأقليك بالزيت فى المقلاة مع باقى السمك ، وتأكد أنك ستكون سعيداً مسروراً ، لأن القتلى فى صحبة الزملاء الأعزاء تسلية وعزاء جميل !

فلما سمع بينوكيو هذا ، صرخ وصاح طالباً الرحمة قال : « ألم يكنْ



أفضل لى لو أنى ذهبت إلى المدرسة ؟! آ ...ه ، أو...ه، آ ... ه ! »

وراح يتلوّى بين يدَى الصياد الأخضر ، وينتفِض كأنه واحد من ثعابين البحر ، ويبذل كل جهده للتخلص من مخالبه . فلما رأى الصيادُ الأخضر ذلك شدّ قبضته عليه ، وربط يديه ورجليه بهيئة «السُّجق» ثم رماه فى الحوض الجاف مع باقى السمك .

ثم إن الصياد الأخضر أحضر وعاء خشبيًّا فيه دقيق ، وراح يقلّب السمك فى الدقيق ثم يرميه فى الزيت المغلى بالمقلاة .

وكان « البورى » أول من نزل بالمقلاة ، فرقص وانتفض وتلوّى ثم تبعه « المرجان » ثم « سمك موسى » ثم « أبو جلمبو » ثم «السردين» حتى جاء — آخر الأمر — دور بينوكيو . فلما رأى نفسه قريباً من الموت على هذه الصورة الفظيعة ، ارتعد وأخذته رجفة شديدة ، وأصابه فزع هائل حتى لم يَعُدِ المسكين قادراً حتى على التنفس أو الكلام ليطلب من الرجل الرحمةَ .

كل ما أمكنه أن يفعله إذ ذاك هو أن ينظر إلى الرجل بعينيه متوسِّلا. لكن الصياد الأخضر لم ينظر إليه أو يلتفت إلى ما يريد أن يقوله . بل رماه فى الدقيق وقلّبه فيه خمس مرات أو ستًّا ، ثم أخرجه منه ، تكسوه طبقة خفيفة من الدقيق المبلول ، صار بفضلها أرجوزاً من عجين ...

ثم أمسكه الرجل من رأسه ، و ...

٢٩

... ولكن فى اللحظة التى همّ الصياد فيها أن يرمى پينوكيو فى الزيت الساخن بالمقلاة ، دخل الكهف كلبٌ ضخم كبير ،ساقَتْه إلى الكهف رائحة السمك المقلىّ الفائحة .

فلما رآه الصياد الأخضر ، صاح به غاضباً مهدّداً وقال : «امْشِ» وكان لا يزال ممسكاً فى يده الأرجوز يكسوه العجين ! !

لكن الكلب المسكين كان يشعر بالجوع الشديد يكاد يموت منه ، فنبح وهزّ ذيله وكأنه أراد أن يقول : « أعطنى لقمة واحدة ، وأعدك بأن أمشى بعدها » .

لكن الصياد الأخضر صاح به مرة ثانية ، وقد جرّ رجله ليرفسه بها وقال : « امش ، وإلا ضربتُك ! » .

غير أن الجوع الشديد كان قد بلغ من الكلب مبلغاً كاد يقتله ، حتى أصبح مصمماً ألا يتحرك من مكانه أوْ أن يسمح لأحد بإخراجه من الكهف قبل أن يأكل شيئاً . فكشّر للصياد عن أنيابه الحادّة وزمجر مهدّداً .

وهنا سُمِعَ صوتٌ خافت واطئٌ يقول : «أنقِذْنى يا أليدورو ! أنقذنى وإلا فإنى مَقلِىٌّ من غير شك ! » .

عرف الكلب فى الحال صوت صديقه پينوكيو . لكن أدهشه أن صوته يخرج من تلك الحزمة التى يكسوها العجين والتى يمسكها الصياد بيده .

ماذا تظنُّونه يا قُرَّائى الأعِزَّاء قد فعل إذ ذاك ؟

إنه قفز فى الهواء قفزة عالية فخمة ، وخطف بأسنانه من الصياد الحزمة التى كانت بيده ، وأمسك الحزمة بين أسنانه بعناية زائدة ، وانطلق خارجاً من الكهف يجرى كالرّيح !

وغضب الصياد غضباً شديداً مخيفاً ، لما رأى السمكة – التى انتظرَ أكلها بفروغ صبر – تُختَطَفُ من يده، فانطلق يجرى وراء الكلب .

ولكنه ما إن جرى بضع خطوات حتى سعل سعُالا شديداً، فوقف مكانه حتى انقضَتْ نوبةُ السعال الشديدة هذه ، ثم عاد إلى الكهف ...

ونجا پينوكيو .

ولما وصل أليدورو إلى طريق القرية ، وقف ، ووضع پينوكيو على الأرض بِرِفقٍ . فقال پينوكيو :

– كيف لى أن أشكر معروفَك ؟

– لا حاجة بك للشكر. لقد أنقذتَ حياتى مرة. والمعروف يستَوْجِبُ ردَّهُ معروفاً. وواجِبُنا فى هذه الحياة أن يساعد بعضُنا بعضاً.

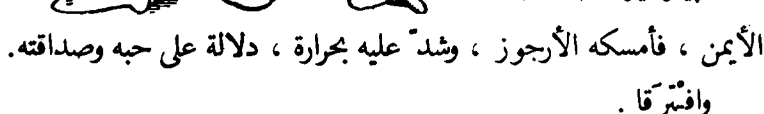
– وكيف جئتَ إلى الكهف ؟

– كنتُ مضطَجعاً على الرمل عند الشاطئ ميِّتاً أكثر منى حيًّا ، حين حملتِ الريح إلىّ رائحة السمك المقلىّ اللذيذة . فانفتحتْ شهوَتى ، وتتبّعت الرائحة ، حتى وصلتُ إلى الكهف . لو أننى تأخرت لحظة واحدة...

فقال پينوكيو ، وكان لا يزال يرتعد من الخوف الشديد الذى أصابه :

– لا تُذكِّرنى بهذا يا أليدورو ! لا تذكرنى به ! لو أنك تأخرت لحظة واحدة لكنتُ أنا فى نفس تلك اللحظة مقليًّا بالزيت ومأكولا ومهضوماً ... بُرّررررّ ! إن مجرد التفكير فى هذا الأمر يجعلنى أرتعد فزعاً . يا ساتر يارب! لقد نجوتُ بأعجوبة والحمد لله ! » .

وضحك أليدورو ومدّ لپينوكيو مخلبه الأيمن ، فأمسكه الأرجوز ، وشدّ عليه بحرارة ، دلالة على حبه وصداقته. وافترَقا .



ورجع الكلب إلى بيته . أما بينوكيو ، فإنه بعد أن بقيَ وحيداً ، راح إلى كوخ حقير مُجاور ، يسكنه رجل عجوز ، كان جالساً أمامه يتشمس عند الباب .

قال الأرجوز : « قل لى يا سيدى الكريم ، هل تعرف شيئاً عن ولد اسمه أوجين ، كان قد جُرِح فى رأسه ؟ » .

ـ نعم . أحضرَه هنا بعضُ الصيادين . لكنه الآن . . .

فقاطعه بينوكيو متألِّماً وقال : « لكنه الآن قد مات ... ؟ » .

ـ لا ، إنه حيّ ، وقد رجع الآن إلى البيت !

فقفز بينوكيو فرحاً وقال : « صحيح؟ إذن لم يكن جُرحه خطيراً ؟ » .

ـ كان من المُمكن أن يكون خطيراً ، بل قاتلا ، لأنهم رموه بكتابٍ كبيرٍ مُغلَّف بالجلد السّميك أصابه فى رأسه إصابة شديدة .

ـ ومن الذى رماه بهذا الكتاب ؟

ـ واحدٌ من زملائه بالمدرسة اسمه بينوكيو .

فقال بينوكيو ، وكأنه لم يسمع قط بهذا الاسم : « ومن بينوكيو هذا؟! »

ـ يقولون إنه ولد شرِّير فاسد مُتسكِّع .

ـ كذِب ! هذا كذب !

ـ وهل تعرفه أنت ؟

قال الأرجوز : « أعرفه شكْلا ! » .

ـ وما رأيك فيه ؟
ـ رأيي فيه أنه ولد طيب، مُطيع ، مجتهد ، يحبّ مدرسته ودروسه ، ويحبُّ أباه وعائلته .

وفي الوقت الذي كان بينوكيو يكذب فيه هذا الكذبَ الجريء ، تصادف أن لمستْ يدُه أنفه ، فلما وجد أنه يزداد طولا على طول صاح خائفاً وقال :

ـ لا ، لا سيدي الكريم ، لا تصدّق شيئاً مما قلتُه لك ! إني أعرف بينوكيو هذا معرفةً جيدة، وأؤكد لك أنه ولد فاسد شرير، كسول مُتسكع غير مطيع ، يقضي وقته مع الزملاء الأشرار ، بدلا من أنه يذهب إلى المدرسة يقضي فيها وقته ، ويهتمُّ بدروسه .

فعاد أنفُه يقصُر حتى صار كما كان . فسأله الرجل العجوز فجأة وقال :

ـ ولماذا ابيضّ وجهك حتى أصبح كالشمْع أو كالدقيق ؟
ـ أنا أخبرك بما حدث لي يا سيدي ، إنني ـ من غير أن أنتبه ـ احتككت بحائط طُليَ حديثاً بطِلاء أبيض .

وطبعاً فهمتُم ـ أيها القراء الأعزاء ـ من هذا الكلام ، أن بينوكيو قد خجل من ذكر الحقيقة ـ خجل أن يقول إن صياداً غمسه في الدقيق كما يُغمَس السمكُ ، استعداداً لِقَليه .

ـ وما الذى حدث لسُترتك وسِروالك (بنطلونك) وطاقيتك ؟ ما الذى فعلته بها جميعاً ؟

ـ قابلنى فى الطريق لصوص سرقوا جميع ثيابى . قل لى يا سيدى الكريم ، هل أجد عندك ثياباً قديمة تعطينى إياها لأتمكَّن من العودة إلى البيت ؟

ـ آسف يا ولدى ، فليس عندى إلا كيس صغير أحفظ فيه الفول ، بإمكانك أن تأخذه إن أردتَ . إنه هناك فى ذلك الركن ، خُذه إن أردتَ .

ولم يُطِلْ بينوكيو التفكير . لقد راح إلى كيس الفول فأخذه ، وأمسك المقص فقطع به فى قعر الكيس خرقاً كبيراً ، وفى كلٍّ من جانبيه خرقاً ، ثم لبسه ، فصار كأنه قميص قصير !!!

وفى هذا اللباس العجيب ، قصد الأرجوز إلى بيته !

لكنه فى أثناء مشيه ، بدأ يُحِس شيئاً من القلق وعدم الاطمِئنان ، فكان كلما تقدم إلى الأمام خطوة ، رجع إلى الوراء خطوة ، وكان يحدِّث نفسه ويقول : «كيف يمكننى أن أرِىَ نفسى للإنسية الرقيقة ، وأنا فى هذه الصورة ؟ ماذا تقول هى عند ما ترانى ؟ هل تعفو عنى وعن ذنبى الثانى هذا ، الذى ارتكبتُه بعد وعْدى لها ؟ لا أظن ذلك ! بل أنا واثِق أنها لن تسامحنى . إننى أستأهل ذلك كله ، لأنى ولد فاسد

لا أنْصَلِح. كم مرة وعدتُها بتغيير حالى وسُلوكى ؛ ثم لم أحافظْ على وُعودى ؟ » .

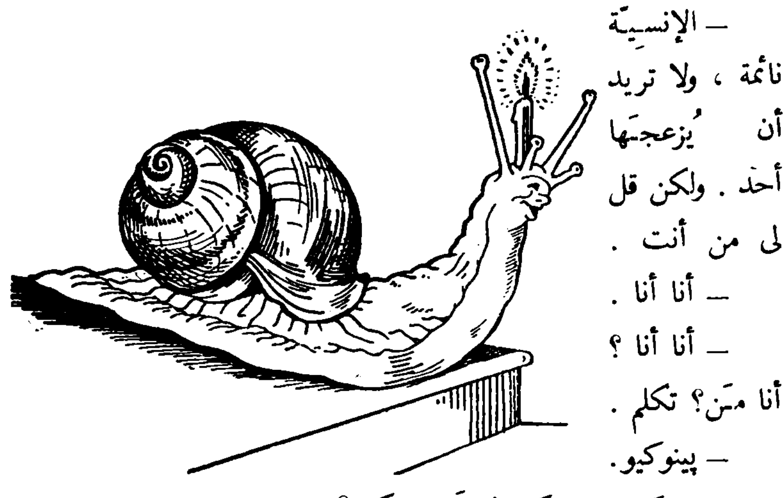
وصل الأرجوز إلى القرية بعد الظّلام، وكانتِ الليلة عاصفة ، والمطر شديداً مِدْراراً يملأ «الجرادل» حتّى تفيض ، فقصد مباشرة إلى بيت الإنسية، واعْتزم أن يدقّ الباب ويدخلَه ، ليتخلص من البرد والريح والأمطار .

لكنه عند ما وصل إلى الباب لم يَجِدْ فى نفسه الجرأة على دقّه : فتراجع إلى الوراء قليلا . ثم رجع إلى الباب ثانية . غير أنه لم يقدر على أن يُقنعَ نفسه بدَقّه. فتراجع إلى الوراء . ثم تقدم . ثم تراجع . ثم تقدم . وهكذا ... حتّى وجد (بعد تردّد دام زمناً) من الشجاعة ما يكفى لدقّ الباب ، فأمسك الدّقاقة الحديدية ، ورفعها ثم تركها تسقط بِرِفق ، فدّقتِ الباب دقًّا خفيفاً ، خفيفاً لا يكاد يُسمَعُ. وكان هو فى أثناء ذلك يرجف خوفاً وخجلا !

وبقى ينتظر ، وينتظر ، حتّى انقضت على ذلك نصف ساعة وأخيراً فُتِحَ شباك فى الطابق الأعلى من البيت (والبيت كما تعرفون ذو طبقات أربع) . وأطلت منه قوقعة كبيرة ، برأسها نورٌ ضعيف باهتٌ ، وقالت :

— من هذا الذى يدقّ الباب فى مثل هذه الساعة ؟

— هل الإنسية بالبيت ؟



ـ الإنسيّة نائمة ، ولا تريد أن يُزعجَها أحد . ولكن قل لى من أنت .

ـ أنا أنا .

ـ أنا أنا ؟ أنا مَن؟ تكلم .

ـ پينوكيو.

ـ پينوكيو ، پينوكيو ! مَن پينوكيو؟

ـ الأرجوز الذى يعيش مع الإنسيّة .

ـ آه ... ه ، فهمت. إذن انتظر ، فسأنزل إليك فى الحال لأفتح الباب

ـ أسْرعى بالله عليكِ ، وإلا متُّ من البرد .

ـ إننى يا بُنَىَّ قوقعة . ولا تنسَ أن القواقع غير قادرة على الجرى .

ومرّت ساعة وساعتان وثلاث ساعات ولم يُفْتَح الباب .

وكاد البرد والمطر يقتلانه .

فجمع شجاعته ودق الباب ثانية دقًّا أعلى . وحينئذ انفتح شباكٌ فى الطبقة الثالثة أطلّت منه القوقعة نفسها . فصاح بها پينوكيو من الشارع قالَ : « أيتّها القوقعة الكريمة ، لقد انقضت علىّ الآن ساعتان ، وما زِلْت

أنتظر ، وإن ساعتين فى هذا البرد القارس والمطر الشديد لأطوَلُ من سنتين ! ! أسرعى بالله عليكِ ، وإلا قتلَنى البرد والريح والأمطار .

فأجابته القوقعة البطيئة الهادئة بقولها : « مهلا يا ولدى مهلا ، إننى قوقعة ، والقواقع بطيئة لا تُسرع أبداً » .

وأقفلَ الشباك .

ومرَّتْ فترة ، دقت بعدها ساعةُ القرية اثنتى عشرة دقة . لقد انتَصف الليل . ومر زمن دقت بعده الساعة الواحدة ... فالساعة الثانية ... وما زال الباب مقفلا لم يُفتَح .

وفقد بينوكيو صبرَه وهدوءه . فأمسك الدقاقة غاضباً وهمَّ بدقة عالية جدًّا تهز البيت هزًّا ، لكنه ما لبث أن رأى الدقاقة تتحول فى يده ثعباناً بحريًّا حيًّا ، انساب من يده ، واختفى فى نهيرات ماء المطر الجارية فى الشارع

فصاح بينوكيو وقد أغضبه كلُّ هذا غضباً شديداً، وصار يغلى كالمِرْجل قال : « ما دامت الدقاقة قد هربت من يدى ، فسأوقع البيت بقدمى ! » .

وتراجع إلى الوراء قليلا ، ثم رفس الباب رفسة شديدة جدًّا جدًّا . بحيث نفذت قدمه من الباب ، فلما حاول شدها ، لم يقدر . لقد انغرزت بالباب ، كأنها مسمار دقه النجار فى الخشب المتين ، فأصبح من الصّعب إخراجه .

تصوّروا منظر المسكين بينوكيو ! لقد كان مُضطرًّا لقضاء الليل بطوله على هذه الحال ، إحدى قدميه على الأرض ، والأخرى مغروزة بالباب ! ! !

وأخيراً . . . أخيراً عند طُلوع الفجر ، انفتح الباب . فتحتْه له القوقعةُ الكريمة بعد أن استغرق نزولها من فوق إلى تحت تسع ساعات فقط ، لا غير !

لا شك أنها كانت مدهونة بالصابون ، حتى تمكنت من الانْزِلاق بهذه السرعة المدهشة . . . ! ! !

ولما فتحت له الباب قالت ضاحكة : « ما هذا الذى تفعله بقدمِكَ هذه المغروزة بالباب ؟ »

ــ هو حادثٌ حدث لى ! ألاَ تكَرَّمْتِ يا سيدتى القوقعة الكريمة بتخْليصى من هذا العذاب ؟

ــ هذه يا ولدى حالة تحتاج إلى نجار . وأنا طول حياتى لم أشتغل بأعمال النجارة .

ــ توَسَّلى إلى الإنسية لتُنقذَنى .

ــ هى نائمة ، ولا تريد أن يزعجَها أحد .

ــ وما الرأىُ إذن ، وماذا يمكننى أن أفعله أنا لأتخلصَ من هذا العذاب ؟ هل أبقى مغروزاً بالباب النهار بطوله ؟

ــ سَلِّ نفسك بعدّ النمل الذى يَمُرُّ قريباً منك .

ـ أحضري لى على الأقل شيئاً آكله ، فإننى يكاد يغمى علىّ من الجوع الشديد .

ـ حالا ، حالا !

وانصرفتِ القوقعة لتُحضر له شيئاً يأكله .

ومضت على ذلك ساعات ثلاث ونصف الساعة ، جاءته بعدها تحمل على رأسها « صينية » فيها خبز وكتكوت مشوى وأربع « برقوقات » ناضجات . وقالت :

« هذا فطورك ، أرسلته لك الإنسية » .

فلما رأى پينوكيو هذه « الوليمة » الشّهية شعر بالعزاء والراحة . لكنه ما إن مدّ يده ليأكل حتى تبيّن (وقد استاء كثيراً مما تبين) أن الخبز من القماش المشمّع ، والكتكوت من الورق المُقوّى ، وأن «البرقوقات» الأربع الناضجات من الرخام ، وأن كل هذه الأشياء ملوّنة تلويناً متقناً جدّاً ، جعلها تبدو لعينيه أول الأمر طبيعية تماماً !

اشتدّ به اليأسُ وأراد أن يُسلم أمرَه لله ، ليجد فى اليأس راحة . لكن غضبه كان شديداً ، فلما أراد أن يرمى الصينية بما فيها أُغمىَ عليه . ولا يمكننا أن نعرف ما لو كان هذا الإغماء سببه الغمّ الشديد ، أم الضعف الذى سبّبه الجوع الذى عضّ معدته وبطنه عضّاً .

فلما أفاق ، وجد نفسه نائماً على أريكة (كنبة) ، والإنسية بجانبه مائلة عليه فى حنان تقول : « سأسامحك للمرة الثانية ، لكن الويل لك إن

أنت ارْتكَبتَ بعد اليوم ذنباً جديداً ! »

فوعدها پينوكيو بأن يصلح من شأنه ليُصبح ولداً طيباً . وأن يجتهد ويستذكر دروسه .

ولقد حافظ پينوكيو على وعده طوال العام ، فكان أولَ زملائه فى جميع الامتحانات حتى نال لقب « أحسن تلاميذ المدرسة » . وكان سلوكُه على العموم مُرْضياً جداً ، جديراً بالإعجاب والثناء ، حتى صارت الإنسية مسرورة سروراً عظيما وقالت له يوماً :

ـــ غداً يتحقق كل ما تتمنّاه .

ـــ تعنين أنى . . .

ـــ غداً لن تكون أرجوزاً من الخشب ، بل ولداً حقيقيًّا من لحم ودم .

لا يستطيع أحد ممن لم يروا پينوكيو فى تلك اللحظة التى تلقَّى فيها هذا النّبأ السعيد أن يتصوّر مقدار فرحه وسروره .

ثم إنه دعا بعد ذلك كل أصحابه ومعارفه وزملائه بالمدرسة لتناوُل الفطور غداً ببيت الإنسية ، احتفالا بالحادث العجيب السعيد ! وأعدّت الإنسيةُ مائة فنجان من الشاى بالقشدة ، وأربعمائة قطعة من الكعك اللذيذ بالزبدة الطازجة .

وكان كل شيء يدل على أن غداً سيكون يوم سعادة وفرح وحبور ، لوْ لم ...

وكلمة « لوْ لم ... » هذه موجودة لسوء الحظ فى حياة الأرجوزات تفسد كلَّ ترتيب !

٣٠

استأذن بينوكيو الإنسية فى أن يمرَّ ببيوت القرية ليدعوَ أصحابه لتناوُل الفطور معه فى اليوم التالى . فقالت :

ـ بالتأكيد ، يمكنك أن تدعو أصحابك جميعاً لتناوُل الفطور معك غداً ، لكن لا تتأخَّرْ ، وارجع قبل غروب الشمس .

ـ أعِدُكِ بأن أرجع بعد ساعة لا أكثر .

ـ حاذِرْ يَا بينوكيو ، فمن السهل على الأطفال أن يُعطوا الوُعود كما يشاؤون ، لكن ليس من السهل عليهم المحافظة على وعودهم .

ـ لا ، لا ، لستُ كبقية الأطفال . إنى إن أعطيتُ وعداً حافظتُ عليه وأنجزْتُه .

ـ سنرى ذلك . فإنْ أنت عصيتَنى ، فلا تلومنّ بعد ذلك إلا نفسك .

ـ ولماذا ؟

ـ لأن الأطفال الذين لا يستمعون لنصْح مَنْ هم أعقلُ منهم ، تكون نهايتهم فى العادة محزنة .

ـ لقد برهنتُ بأفعالى فى كل ما سبق على صدق كلامِكِ هذا . لكننى منذ اليوم سأصْبحُ ولداً مطيعاً طيّباً .

— سنرى إن كان ما تقول صحيحاً .

لم يزِدْ پينوكيو على ما قال كلمةً واحدة ، بل اقْتَرب من الإنسية (التى كانت له أمًّا) فقبَّلها وخرج من البيت مُسرعاً . يرقص ويغنى .

وفى أقلَّ من ربع ساعة كان قد انتهى من دعوة أصحابه جميعاً . فمنهم من قَبِل فى الحال مسروراً ، ومنهم من تردّد فى قبول الدعوة ، حتى يُلِحَّ عليه پينوكيو ، لكنهم جميعاً حين علموا أن الفطائر اللذيذة التى تُغمَسُ فى الشاى ذى القشدة ، سيكون على كل من وجْهَيها طبقة من الزبدة الطازجة ، قالوا : « نعم ، نعم ، سنجىء بكل تأكيد ، من أجل خاطرك أنت فقط ! » .

* * *

وكان من بين زملائه بالمدرسة صاحبٌ يحبه هو حبًّا ، ويُغْرَمُ به غراماً . وكان اسم صاحبه هذا « روميو » لكنه كان مشهوراً بين زملائه وأصحابه جميعاً باسم «فَتيل القنديل» ، لأنه كان نحيفاً طويلا مُتَراخِياً كفتيل القنديل !

كان « فَتيلُ القنديل » هذا أكسلَ تلاميذ المدرسة ، وأكثرهم فِعلا للشرّ . ومع ذلك كان پينوكيو يحبّه ويُغْرَمُ به ! فلما ذهب إلى بيته ليدعوه لحفلة الغد ، لم يَجدْه بالبيت . فلما رجع إليه بعد قليل ، لم يجده كذلك . فرجع إليه مرة ثالثة . ولكن بلا فائدة !.

أين ذهب فَتيل القنديل ؟ وأين يُمْكن أن يكون ؟

لقد بحث عنه فى كل مكان ، هنا وهناك ، يمنياً وشمالا ، حتى وجده



أخيراً وبعد البحث الطويل مُختبئاً تحت سقيفة بيت واحد من الفلاحين . فحيّاه وقال له :

بحثتُ عنك فى كل مكان ، ماذا تعمل هنا ؟

ـ أنتظرُ منتصفَ الليل، لأرحل .

ـ ترحل ؟ إلى أين ؟

ـ بعيداً ، بعيداً جدًّا .

ـ لقد ذهبتُ إليك بالبيت ثلاث مرات .

ـ وماذا تريد منى ؟

ـ ألم تسمع بالخبر العظيم ؟ ألا تعرف ما سوف يجيئُنى من خير وسعد ؟

ـ ماذا ؟

ـ غداً ستتغيَّر حالى . فلن أصبح بعد اليوم أرجوزاً من خشب ، بل أصير ولداً حقيقيًّا مثلك وبقية الأولاد .

ـ عال ، عال ! مبارك عليك !

ـ ولهذا فسأنتظر مجيئك إلى بيتى غداً صباحاً لتناوُل الفطور معى .

– ألم أقُل ْ لك إنى راحل هذا المساء ؟

– فى أىِّ وقت ؟

– عند منتصف الليل .

– إلى أين ؟

– إلى مكان أعيش فيه ... إلى أجمل مكان فى الدنيا ... إلى الجنة الحقيقية !

– وما اسم هذا المكان ؟

– اسمه « بلاد اللعب » . لماذا لا تجىء أنت أيضاً معى ؟

– أنا ؟ بالطبع لا !

– مخطىءٌ يا پينوكيو ! صدّقنى إنْ قلتُ لك إنك إن لم تجىءْ معى فستندم ندماً شديداً . وهل يمكنك أن تجدَ فى هذه الدنيا مكاناً هو أجمل وأنسب للأطفال من هذا المكان ؟ إنه مكان لا مدارس فيه ولا كتب ولا مدرسين . إنه مكان لا يُضْطَرُّ فيه أحدٌ لاستذكار درس . فيوم الخميس هناك عطلة . والأسبوع هناك كله أيام الخميس : ستةٌ من أيام الخميس ويومُ جمعة واحد. تصوّر! فأما إجازات الأعياد فتبدأ فى الأول من يناير وتنتهى فى الآخر من ديسمبر . إنه المكان الوحيد الذى أحِبُّ من كل قلبى أن أعيش فيه طول حياتى! هكذا يجب أن تكون جميع البلاد المتمدينَة !

– ولكن كيف يمضى الناس وقتَهم هناك ، فى « بلاد اللعب» تلك ؟

– يلعبون ويُمتّعون أنفسهم طول النهار ، من الصباح إلى الليل ،

ثم يأوون إلى الفراش ، ثم يبدؤون ذلك ثانية فى الصباح ، وهكذا .
فما رأيك ؟

فزام پينوكيو قال : « مْ ... مْ ...م ... م ... م ! » . ثم هزّ رأسه كأنما يريد أن يقول : « إن هذا النَّوْع من الحياة يناسبنى أنا أيضاً » .

فقال صديقه « فَتيل القنديل » فى الحال :

ـ والآن ، هل تجىء معى ؟ نعم أم لا ؟

ـ لا ، لا ، لا ، بكل تأكيد ، لا ! لقد وعدتُ الإنسيَّة الرقيقة أن أكون ولداً طيباً ، وسأحافظ على وعْدى . والحقُّ أنى أرى أنَّ الغروب قد اقترب ، وأنى لهذا يجب أن أتركك وأن أسرع بالرجوع إلى البيت . وداعاً إذن ، وأرجو لك رحلة سعيدة وأوقاتاً طيبة هانِئَة .

ـ إلى أين تذهب بهذه السرعة ؟

ـ إلى البيت . إن الإنسيّة الرقيقة تريد أن أرجع إلى البيت قبل غروب الشمس .

ـ انتظر قليلا .

ـ أتأخرُ لو انتظرتُ .

ـ دقيقة واحدة

ـ وإذا الإنسيَّة وبختَنى ؟

فقال اللعين « فَتيل القنديل » :

ـ دعْها توَبخَك كما تشاء . إنها ، متى فرغ توْبيخها ، سكتتْ !

ـ وهل أنت ذاهب وحدك ؟

ـ وحدى ؟ إننا أكثر من مائة !

ـ وهل تذهبون مشياً على الأقدام ؟

ـ ستجيء إلى هنا ، عند منتصف الليل ، عربة فخْمة لتحمِلَنا إلى ذلك البلد المُدهش الجميل .

ـ لو أنّ الوقت كان الآن منتصفَ الليل ، لغيرتُ رأيي ونزلتُ عن كل شيء .

ـ ولماذا ؟

ـ لأراكُمْ حين تُسافرون .

ـ انتظِرْ قليلا ، وحينئذ يمكنك أن ترى سفرنا .

ـ لا ، لا . يجب أن أرجع إلى البيت .

ـ انتظر دقيقتين .

ـ لا ، لا ، لقد انتظرتُ أكثر مما يجب . وأنا متأكد أنّ الإنسية قَلِقَةٌ الآن من أجلْى .

ـ مِسكينة تلك الإنسّية ! الظاهر أنها تخاف عليك أن تأكُلك الوطاويط !

ـ ... وهل أنت متأكِّدٌ أنْ ليس بذلك البلد أية مدارس ؟

ـ ولا خيال المدارس !

ـ ولا مدرسون ؟

– لا تجد فيه منهم واحداً .
– وسكان ذلك البلد ، ألا يُضْطَرُّ أحدٌ منهم لاستذكار دروسه ؟
– أبداً ، أبداً !
فشهق پينوكيو شهيقاً عميقاً ، وبقى لحظة يفكر وقد سال لُعابُه لمجرد تصوُّر هذا ثم قال :
– عجيبٌ ذلك البلد ! عجيب ! أنا طبعاً لم أذهب هناك قط ، لكنني مع ذلك يمكنني أن أتصوَّره وأتصور الحياة فيه !
– ولماذا لا تجيء معنا أنت أيضاً ؟
– لا تُحاوِل إغرائى ، فلا فائدة من ذلك ! لقد وعدتُ إنسيَّتى الرقيقة بأن أكون ولداً عاقلا ، وليس فى نيتى أن أخلِفَ وعْدى .
– وداعاً إذنْ ، وأبْلغْ سلامى لجميع المدارس الابتدائية والثانوية والمدارس العالية أيضاً ، إنْ قابلتَها فى طريقك .
– وداعاً يا فتَيل القنديل . أرجو لك سفراً سارًّا وأوقاتاً سعيدة . واذكُرْ أصحابك هنا مرة فى كل يوم .
فلما انتهى پينوكيو من قوله هذا ، مشى بضع خطوات كأنه يُغادر صاحبه ويغادر المكان ، لكنه ما لبث أن وقف والتفت إلى صاحبه وقال :
– هل أنت متأكد تماماً أن إجازات الأعياد تبدأ فى الأول من يناير وتنتهى فى اليوم الأخير من ديسمبر ؟
– من غير أىّ شك !

ــ وهل أنت متأكد أن كلّ الأسابيع فى ذلك البلد العجيب أيام خميس ستة ، ويوم جمعة واحد ؟

ــ كل التّأكيد !

ــ عجيب ذلك البلد ! عجيب !

ثم تلمّظ بشفتيه وأحدث منهما صوتاً ، وقد كاد يجَنّ من فَرْط الدّهشة والسُّرور . وما لَبِث أن قال ــ بعد أن استَجْمع كل عزيمته :

ــ والآن وداعاً للمرة الأخيرة ، وداعاً ! أرجو لك سفراً طيباً .

ــ وداعاً يا پينوكيو .

ــ كم من الوقت بَقِيَ على موعد سفركم ؟

ــ ساعتان .

ــ شيء مُؤلمٌ حقًّا ! لو كان الباقى ساعة واحدة لا أكثر ، لأمكننى الانتظار لأرى رحيلكم .

ــ والإنسية ؟

ــ لقد انتظرتْ فعلا أكثر مما يجب ؛ وإن ساعة واحدة بعد هذا التأخير كله لا تهم .

ــ مسكين يا پينوكيو ! وما القولُ إذا وبختكَ ؟

ــ لا بأس ! سوف أدَعها توَبخ ، فإذا فرغ توبيخها ، سكتت !

وكان الظلام الحالك قد ساد المكان كله . وفجأة ، رأى الاثنان

من بعيد نوراً ، نوراً ضعيفاً يهتزّ ويتحرك ، وسمعا أجراساً رقيقة ترنّ ، وصوت نفير صغير خافت واطئ كأنه طنين النحلة . فما كان من فتَيل القنديل إلا أن قفز واقفاً على قدميه وقال : « ها هى ! » .

فقال بينوكيو فى صوت واطئ : « ما هى ! » .

ــ العربة الفخْمة إنها جاءت لتأخذنى . هل تريد أنت أيضاً أن تذهب معنا ؟ نعم أم لا ؟

ــ ولكن هل صحيح حقًّا أن الأطفال هناك ، فى ذلك البلد ، لا يضطرون أبداً لاستذكار دروسهم ؟

ــ أبداً ، أبداً !

ــ عجيبٌ ذلك البلد ! عجيب جدًّا ! بلد عجيب حقًّا !

٣١

وأخيراً وصلت العربة الفخمة .

كانت تمشى دون أن يُسمعَ لمشيها صوت (فإن عجلاتها كانت ملفوفة بالخرَق وخيوط الكتان) ويجرُّها اثنا عشر زوجاً من الحمير ، كلها من حجم واحد ، وإن اختلفتْ ألوانها .

لكن الغريب فى تلك الحمير ، أنها جميعاً ــ أعنى الاثنى عشر زوجاً، أو قل الأربعة والعشرين حماراً ــ لم تكن محْذُوّة كبقية الحمير ،

بل كانت تلبس أحذية كأحذيتنا نحن بنى آدم ، مصنوعة من جلد العُجول الأبيض .

والحوذى ؟

تصوّروا رجلا عرضُه أكبر من طوله ، طريًّا ناعماً ، كأنه كرة من الزُّبد ، له وجه صغير كأنه التفاحة الحمراء ، وفمٌ صغير ضاحك ، وصوتٌ ناعمٌ لطيف حُلو مُريح ، كصوت القطة حين تموء تطلب لبناً .

كان الأطفال جميعاً يقعون فى حبه عندما يرَوْنهُ لأول مرة ، ويتزاحمون على باب العربة ، كلٌ منهم يريد دخولها قبل غيره ، والذهاب معه إلى ذلك البلد الجميل العجيب ، المعروف على الخريطة بالاسم الجميل المُغرى ، اسم « بلد اللعب » .

وكانت العربة ممتلئة فعلا بالأولاد ، أعمارهم بين الثامنة والثانية عشرة ، مُزدحِمين فيها

كأنهم السردين فى العلبة . كانوا مزدحمين غير مُستريحين ، حتى ليكادون يعجزون عن التنفُّس ، لكنهم مع ذلك كانوا فرحين مسرورين ، لم يَقُلْ أحد منهم «آ . . . ىْ ! » .

كان يُعزّيهم علمُهم بأنهم بعد ساعات قليلات ، سيكونون فى بلد خال من الكتب والمدارس والمدرسين ، مما جعلهم يصبِرون على كلّ تعب ويتحمّلون كل مشقة .

كانوا سُعداء، سعداء جدًّا، لا يُحِسُّ أحدهم تعباً أو جوعاً أو عطشاً أو حاجة إلى النوم ، أو غير ذلك من الآلام .

وما إن وقفتِ العربةُ الفخْمة ، حتى التفتَ الرجل الصغير الضاحك إلى فَتيل القنديل ، وحياه وانحنَى له ألف مرة ، وقال مبتسماً أحلى الابْتِسامات :

ـ قلْ لى ، أيها الولد اللطيف ، هل أنت ذاهب إلى ذلك البلد السعيد؟

ـ بالتأكيد ، أنا ذاهب .

ـ لكن العربة ـ كما ترى ـ لم يَعُدْ بها مكان ، إنها امْتلأت.

ـ لا بأس ! إن لم أجد بداخلها مكاناً يسعُنى ، فسأركب فوق « العريش » .

ثم إنه قفز فركب فوق « العريش » .

فقال الرجل الصغير الضاحك لبينوكيو ، إذْ رآه ينظر إليه بإعجاب : « وأنت ، أيها الحبيب ، ماذا نوَيتَ ؟ أتجىء معنا ، أم أنك باقٍ هنا ؟ »

ــ بل أنا باقٍ هنا . إنى راجع إلى البيت ، فإنى أريد أن أستذكر دروسى ،وأن أكونَ تلميذاً طيباً كبقية الأولاد الذين حَسُنَتْ تربيتهم .

ــ عال ، عال ! مبارك عليك !

فصاح فتَيل القنديل وقال : « اسمع كلامى يا پينوكيو وتعالَ معنا ، سنكون جميعاً سعداء ، سُعَداء » .

ــ لا ، لا ! مستحيل !

فسمع پينوكيو أصواتاً من داخل العربة تصيح به قائلة :

ــ تعالَ معنا ، تعال معنا ! سنكون سعداء ، سعداء !

ــ لا يمكننى . إذ ماذا تقول الإنسيةُ إنْ أنا جئتُ معكم ؟

ــ لا تُزعجْ نفسك بمثل هذه الأفكار ، ولا تفكّر إلا فى أننا ذاهبون إلى بلد لن نعملَ فيه شيئاً ، إلا أن نلعب ونلْهُوَ ونمرحَ من الصباح إلى الليل .

لم يُجب پينوكيو ، بل شهق شهيقاً عميقاً ، وسال لُعابُه . ثم شهق ثانية وثالثة . وأخيراً قال : « وهوكذلك ! فَليكنْ ما يكون ! افسحُوا لى معكم مكاناً ، فإنى آتٍ معكم » .

فقال الرجل الصغير الضاحك : «كلُّ مكانٍ مملوء . لكننى مع ذلك، ــ ولكىْ أدُلكَ على مبلغ سرورى بمجيئك معنا ــ سأعطيك مكانى » .

ــ وأنت ، ماذا تفعل ؟

ــ سأمشى .

ـ لا ، لا ! لا يمكنني أن أتركك تفعل هذا ! سأركب أنا واحداً من هذه الحمير .

ولم يكد ينتهي بينوكيو من جُملته ، حتى كان قد اقترب من الحمار الأول الأيمن ، واستعدّ للقفز فوقه . لكن الحيوان جمح ورفسه في معدته رفسة أطارته في الهواء ، رأسُه إلى أسفل وقدماه إلى أعلى .

تصوّروا كيف راح كل هؤلاء الأطفال الملاعين يضحكون !

لكنّ الرجل الصغير لم يضحك . لقد ذهب إلى الحمار وتظاهر بأنه يُريد أن يقبّله ، ثم عضّ أذنه اليُمْنى فقطع نصفها .

وإذ كان الرجل يفعل ذلك ، كان بينوكيو غاضباً أشدّ الغضب لهذه المُعاملة التي لقيها من الحمار ! وقام واقفاً على قدميه من حيث رمَتْهُ الرفسة الشديدة ، ثم قفز قفزة واحدة بارعةً أجلستهُ على ظهر الحمار مُباشرة ! قفزة واحدة بارعة أمسكتِ الأطفال عن الضحك ، وبعثتْ فيهم الإعجاب بالأرجوز ، فصاحوا قائلين : « يعيش بينوكيو ! » ، وصفّقوا بأيديهم طويلا ، طويلا ، وكأنهم لا يريدون أن يُمسكوا عن التصفيق أبداً .

غير أن الحمار ما لَبثَ أن رفع رجليْه الخلْفيّتين فجأة في الهواء ، فرمى الأرجوز المسكين من فوقه بعيداً فوق كومة من الحجارة .

وراح الأولاد يضحكون مرة ثانية . لكن الرجل الصغير لم يضحك . لقد ذهب إلى الحمار الشرسِ من الجانب الآخر ، وتظاهر بأنه يُريد

أن يقبـّله ، ثم عض أذنه اليسرى فقطم نصفها قـَطماً . ثم التفت إلى پينوكيو وقال له : «اطلع الآن فوقه ولا تـَخفْ . إنه عنيد كالبغل . لكنني وضعت في أذنه برغوثاً ، وأظنـُّه سيكون من الآن أكثر أدباً » .

وركب پينوكيو الحمار ، وسارت العربة .

وبينما كانت سائرة ، والحميرُ تجري فوق حجارة الطريق وتركـُضُ ركـْضاً ، خـُيـِّل إلى پينوكيو أنه يسمع صوتاً واطئاً خافتاً ، يكاد لا يـُسمع ولا يبين ، ولا يكاد يـُفهـَم . وكان هذا الصوت يقول : « أيها الأبله المسكين ! لقد أردتَ أن تمشي حسب هواك ، وأن تفعل ما تريد ، لكنك ستندمُ على ذلك ندَماً شديداً » .

ففزع پينوكيو ، وتلفـَّت حوْله ليرى ذلك الذي يقول تلك الكلمات ، لكنه لم يرَ أحداً .

وبقيت العربة سائرة ، والحمير تجري فوق حجارة الطريق وتركض ركضاً .

ونام الأولاد بداخلها ، وراح فـَتيل القنديل يـَغـُط غطيطاً عالياً ، في حين بقي الرجل الصغير الضاحك يغني (وكأنه يُخرج الكلمات من بين أسنانه) ويقول :

« كل واحد منهم نائم ، ونائم طول الليل .

« إلا أنا ما ذُقتُ طعمَ النوم . . . »

ولم يلبث پينوكيو أن سمع بعد قليل ذلك الصوت الواطئ الخافت



يقول للمرة الثانية : « تذكَّر . أيها الصغير العنيد ، ذا الرأس الناشف ، أن الأولاد الذين لا يتعلمون ، والذين يُديرون ظهورَهم للمدرسة والكتب والمدرسين ، تكون نهايتهم فى العادة سيئة . لقد جرّبتُ أنا ذلك وعرفته ، فأنا أعرف ما أقول . سيجىء اليوم الذى تبكى فيه بدل الدموع دماً ، كما أفعل أنا الآن ، وستندم ندماً شديداً . ولكن سيكون ذلك بعد ضياع الفُرصة وفَوات الأوان ! » .

فلما سمع المسكين هذا زاد فزعُه ، وأصبح خائفاً خوفاً شديداً . فقفز إلى الأرض من فوق الحمار ، وأمسكه من لجامه .

تصوَّروا دهشةَ الأرجوز ، يا قرائى الأعزّاء ، حين نظر فرأى الحمار يبكى بُكاءً ، كما يبكى الأطفال .

لقد صاح پينوكيو بالرجل الصغير الضاحك وقال :

ــ هِيهْ ! أيها الرجل الصغير ! هل تعرف ما يحدُث ؟ إن هذا الحمار يبكى

ــ دَعْهُ يبكى ! سيكون بإمكانه أن يضحك فى الحادى والثلاثين من شهر يونية .

ــ هل علّمْته الكلام ؟

ــ لا ، لقد علَّم هو نفسه ، حتى صار قادراً على أن يُتمْتم بالكلمات. لقد صَاحبَ خِلال سنوات ثلاث كلاباً مدرَّبةً ماهرة .

ــ مسكين !

ـ تعالَ ، تعال! لا تُضيِّعْ وقتك فى النظر إليه ، ولنَمشِ ، فالليلة باردة ، والطريق طويلة .

ففعل پينوكيو ما أُمِر ، من غير أن يُجيب بكلمة واحدة .

وسارت العربة الفخمة .

فلما طلع الفجر كانوا قد وصلوا إلى « بلد اللعب » مُعافينَ سالمين .

لم يكن « بلد اللعب » هذا كأى بلد آخر من بلاد هذه الدنيا . لقد كان سكّانه جميعاً من الأطفال فقط ، أكبرهم لا يزيد عمره على الرابعة عشرة ، وأصغرهم لا يقل عن الثامنة .

فأما صياحُهم وضجيجُهم وتهليلهم فى الشوارع فقد كان كافياً لأن يصيب أعقلَ الناس بالجنون !

كان الأطفال مُتَجمِّعين فى كل مكان من المدينة ، بعضُهم يلعب بالكرة ، وبعضهم يلعب لعبة الاستخْفاء ، وبعضهم يلبس ملابس المهرجين ويأكل النار ويبلع الزجاج ويُدخل السيوف فى جوْفه ، وبعضهم يجرى وراء طوق من خشب أو صفيح ، وبعضهم على مسرح يلعب أدواراً فى روايات مضحكة ، وبعضهم يغنى ، وبعضهم « يتشقلب » أو يمشى على يديه ويرفع رجليه فى الهواء ، وبعضهم يلبس ثياب كبار قواد الجيوش ، ويمشى مشية الضباط العسكرية ، ويضع على رأسه قبعة فخْمة من الورق الملون المزخرف ، ويُصدِر الأوامر لجنْدٍ أمامه من الخشب. ومنهم من يهلل ، ومنهم من يصفق ويضحك ، ومنهم من يصفر أو يحْدث

صوتاً كصوت الفراخ حين تَبيض ، أو الكتاكيت حين تلعب أو تأكل .

لقد كان الهرَج شديداً والمرَج بالغاً ، والضَّجَّة عالية تصمُّ الآذان ، ما لم يُوضع فيها قطن !

وأما المسارح الصغيرة فقائمة فى كل مكان فسيح ، يزْدَحمُ الأطفال فيها طول النهار ، وكانت حيطان البيوت ملأى باللوحات اللطيفة المكتوبة بالفحم ، وفيها مثلا : « ليسقُط الحساب ! » أو « يعيش بلد اللعاب ! » (بدلا من اللعب) أو « لا مدارس ولا دروس بعض اليوم » (بدلا من « بعد ») . وهكذا من أمثال هذه اللوحات والهتافات الملأى بمثل تلك الأغلاط !

عند ما وصلتِ العربة الفخْمة (التى يقودها الرجل الصغير الضاحك) إلى أبواب المدينة خرجَ كل مَن فيها من الأطفال وسارعوا — وعلى رأسهم فَتيل القنديل — إلى الانضمام إلى من فى المدينة من الأطفال . وبعد دقيقة واحدة كان كل الأولاد فيها قد أصبحوا أصدقاء ، كأنهم يعرف بعضهم بعضاً من سنوات طوال .

كانت الساعات والأيام والأسابيع تمرّ مرور البرق الخاطف ، بفضْل هذه الملاهى ووسائل التَّسْلِية التى لا تنقطع .

وكان پينوكيو كلما لقىَ فتيل القنديل فى مكان من هذه المدينة حيّاه وقال : « أوه ! أية حياةٍ مدهشة هذه التى نحياها هنا فى هذا البلد الجميل ! » .

فيُجيبُه فتَيل القنديل بقوله : « هل رأيتَ أننى كنتُ على حق ؟ تصوّرْ أنك لم تكن تُريد أن تجيء معنا ! وأنك كنتَ تريد أن ترجع إلى بيت الإنسية ، لتضيع وقتك فى الدروس ! إنك إن كنتَ اليوم قد أصبحتَ حرًّا ، خليًّا من هموم الكتب ومضايقات المدارس ، فالفضلُ فى ذلك راجعٌ إلىّ أنا ، لنصيحتى ، لرغبتى الصادقة فى سعادتك ورفاهيتك . أليس كذلك ؟ إن الصديق المخلص هو وحده الذى يُقدم إليك مثل هذا الجميل العظيم » .

– نعم يا فتَيل القنديل، كل ما تقوله صحيح ! إننى إن كنت اليوم قد أصبحتُ سعيداً محظوظاً فإنما الفضل فى ذلك راجعٌ إليك أنت . ولكن هل تعرف الذى كان يقوله المدرس عنك؟ كان دائماً يقول لى : « لا تصاحِبْ هذا الولد الخائب ، فتيل القنديل ، فهو ولد فاسد شرير ، وسوف يؤدى بك إلى المتاعب » . تصور !

فهز فتيل القنديل رأسه ، وقال : « المسكين ! كنت أعرف تماماً أنه لا يحبنى ، وأنه كان يسره أن يتحدث عنى دائماً بعبارات الشر والسوء ، لكننى مع ذلك ولد كريم ، وإنى لذلك أسامحه » .

قال پينوكيو – وهو يقبِّل صاحبه على طرف أنفه قبلة أوْدَعها كلَّ حبه وإعجابه : « أيها الولد النّبيل ! » .

ومرّت أشهر خمسة ، قضاها پينوكيو فى هذا الفرْدَوْس الأرضى ، فِردوس اللعب والملاهى ووسائل التّسلية التى لا تنقطع ، دون أن تَقَع

عينُه على شيء مما يَكره ، حتى ولا غُلافة لكتاب ، أو خيال لمدرسة . حتى أصبح ذات يوم ، فإذا به يُفَاجأ مفاجأةً لا تسرُّه أبداً ، فَقَدَ بسببها كلَّ ما كان فيه من فرح ونشوة وحُبور ! !

٣٢

ما هذه المفاجأة التي حدَّثْتكم عنها ؟

لما صحا پينوكيو من نومه ذات صباح ، بدأ طبعاً يحُكُّ رأسه . وبينما كان يفعل ذلك ، لاحظ ...

هل يمكنكم أن تُخَمنوا ما لاحظهُ ؟

لاحظ – لدهشته العظيمة جدًّا جدًّا – أن أذنيه كبرتا ، وزادتا طولا بضعة عشر سنتيمتراً !

وأنتم تعرفون طبعاً أن الأرجوزات ، آذانهم صغيرة من يوم يولَدُون ، صغيرة جدًّا . صغيرة جدًّا حتى لتصْعبُ رُؤْيتها بالعين المجرَّدة ! وعلى هذا يمكنكم أن تتصوَّروا مقدار فزع پينوكيو حين لمس أذنيه ، فتأكد أنهما كبرتا وطالتا في أثناء نومه بالليل ، حتى صارتا كأنهما مِكْنَستان !

لقد قفز من فراشه مُسرعاً يبحث عن مِرآة يرى فيها نفسه. لكنَّه لم يَجدْ مرآة ولا ظِلاًّ لمرآة . فأسرع إلى الطشت فملأه ماء ، ونظر فيه ، فرأى

– وما أعجب ما رأى – رأى نفسه وقد زينَّت رأسَه أذُنان فخْمتان من آذان الحمير ! ! !

وأترك لكم أن تتصوروا مقدار حزنه وخجله !

لقدراح يبكى . ويصرخ ويضرب بالحائط رأسه . لكنه كلما زاد بُكاء وصراخاً ، زادت أذناه طولا ، ونبت فيهما الشَّعر .

وسمعه سِنجاب يصرخ هذا الصراخ العالى ، ويبكى هذا البكاء المؤلم . وكان هذا السنجاب يعيش فى نفس المنزل الذى يعيش هو فيه ، فى الطبقة العُليا . فنزل إليه يسأله عن سبب صراخه وعويله . فلما رآه على هذه الحال قال :

– ماذا جرى لك يا جارى العزيز ؟

– إنى مريض ، أيها السنجاب ، مريض جدًّا ، ومرضى خطير مخيف . هل يمكنك جسّ نبْضى ؟

– نعم ، أظن ذلك .

– إذن هل تسمح بجسِّه لترى هل أنا مُصاب بالحمَّى ؟

ومدَّ السِّنجاب مخلبه الأيمن الأمامى ، ووضعه على رُسغ الأرجوز ليجسَّ نبضَه . ثم شهق شهيقاً عميقاً ، وزفر زفيراً طويلا ، وهزَّ رأسه وقال :



– آسف يا صاحبي كلَّ الأسف ، فإن ما عندى من الأخبار لن يسرَّك أبداً .

– وما هذه الأخبار ؟

– إنك مُصاب بحمَّى حامية كالنار .

– أى نوع من الحمى ؟

– حمَّى الحمير .

فهم بينوكيو تماماً ما كان يريد السنجاب أن يقوله ، ولكنه تَظاهر بأنه لم يفهم شيئاً وقال :

– لم أسمع قطُّ فى حياتى بهذه الحمَّى .

– إذن أحدثُك أنا عنها . فقد يجب أن تعلم أنك بعد ساعة أو ساعتين ستتغيرُ حالك . فلن تكونَ بعد اليوم أرجوزاً ، أو ولداً ، بل ...

– بل ماذا ؟ . .

– ستصبح بعد ساعة أو ساعتين حماراً فخْماً كاملا ، كتلك الحمير التى تحمِل الأثقال وتجرّ عربات الكرنب والبطاطس وأنواع الخضر إلى السُّوق .

فصاح بينوكيو يائساً وقال : « أية مصيبة هذه ... ! » ثم أمسك أذُنيْه وصار يلويهما ويشدُّهما غاضباً غضباً شديداً ، وكأنهما ليْستا أذنيْه !

قال السنجاب مُعزِّياً : « إنك يا عزيزى لن تستطيع عمل شىء ما . هى قِسمتُك ، ونصيبُك كان مكتوباً لك فى الأزَل . فكلُّ الكسالى من

الأطفال الذين لا يُطيقون الصبر على الكتب والمدارس والمدرسين ، والذين يقضون أوقاتهم فى اللهو واللعب ينتهون دائماً هذه النهاية السيئة ، أعنى أنهم يصبحون حميراً صغيرة يوماً ما » .

فبكى الأرجوز وقال : « هل صحيح ما تقول أيها السنجاب ؟ » .

ــ بكلّ تأكيد يا ولدى ، صحيح جداً ! فلا فائدة إذن من البكاء الآن . كان الواجب أن تفكر فى هذا قبل فوات الأوان .

ــ لكنّ الغلطة لم تكن غلطتى ! صدّقنى ، أيها السنجاب ، بل غلطة فتيل القنديل .

ــ ومَن فتيل القنديل هذا ؟

ــ إنه أحد زملائى بالمدرسة . كنت أريد أن أرجع إلى البيت ، كنت أريد أن أكون ولداً عاقلاً مطيعاً . . . كنت أريد أن أتعلّم وأستذكر دروسى وأؤدّى واجباتى لأنفع نفسى ... لكن فتيل القنديل قال : « لماذا تضايق نفسك بالتفكير فى المدرسة والكتب والتعليم ؟ ما فائدة الذهاب إلى المدرسة ؟ إنى أنصحك ــ بدلا من ذلك ــ أن تجىء معى إلى بلد اللعب : إنه بلد لا توجد به مدارس ، ولا يطالبنا فيه أحد بالاستذكار والتعلم . سنقضى جميع وقتنا ، من الصباح إلى منتصف الليل ، فى اللعب بلا انقطاع . سنكون دائماً سُعداء ، سعداء ! » .

ــ ولماذا استمعتَ إلى نصائح هذا الصاحب الكاذب الخدّاع ، ذلك الزميل الفاسد الشرير ؟ .

ــ لأنني ... لأنني ، يا عزيزي السنجاب ، لأنني أرجوز لا عقل لي ولا قلب . أوه ! لو أنني كانت لي ذرّة من القلب ، لما تركتُ الإنسية الرقيقة التي أحبّتني كأنها أمي ، وصنعتْ لي كثيراً من المعروف والخير ! لو أنني استمعتُ لنصحها لما كنتُ الآن أرجوزاً ، بل لكنت قد أصبحتُ ولداً لطيفاً كبقيّةِ الأولاد ! آه ، لو أنني قابلتُ الآن فَتيل القنديل ، لأريتُه نتيجة ما فعل ! .

وأراد پينوكيو أن يخرج من الغرفة ، لكنه عند الباب تذكر أن له أذني حمار ، وخاف أن يراه الناس بهذه الحال فيخجل . فأخذ طاقية قطنية كبيرة ، وشدّها على رأسه إلى أنفه ، فغطت أذنيه .

ثم خرج يبحث عن فتيل القنديل .

بحث عنه في كل الشوارع والميادين والمسارح والملاعب وأماكنِ اللهو ، لكنه لم يجده . فسأل عنه كل من قابله من معارفه وأصحابه ، لكنْ ما من أحد منهم رآه . وأخيراً ذهب إلى بيته ودق الباب ، فصاح فتيل القنديل من الداخل وقال :

ــ مَن هذا الذي يدق الباب ؟

ــ پينوكيو !

ــ انتظرْ لحظة واحدة ، أفتحُ لك بعدها الباب .

ومرت ساعة كاملة ، فتح بعدها الباب .

تصوّروا دهشة پينوكيو حين رأى صاحبه ــ عند ما دخل ــ يلبس

على رأسه طاقية قطنية كبيرة تصل إلى أنفه وتغطى أذنيه ! لقد تعزى بينوكيو بعض العزاء عند ما رأى هذا المنظر ، وقال لنفسه : « ربما كان هو أيضاً مريضاً مثلى . هل يمكن أن يكون قد أصيب هو كذلك بحمى الحمير ؟ » . لكنه تظاهر بأنه لا يرى شيئاً وقال لصاحبه مبتسما :

— كيف حالُك يا عزيزى يا فَتيل القنديل ؟

— عال ، والحمد لله . إنى سعيد كالفأر فى مخزن الجبن الرومى .

— هل صحيح ما تقول ؟

— طبعاً صحيح . فما الذى يضْطَرُّنى للكذب ؟

— عفواً يا صاحبي . لكنْ قل لى لماذا تلبَس هذه الطاقية التى تغطى أذنيك ؟

— أمرنى الطبيب بلبسها ، لأننى جَرحتُ ركبتى . وأنت يا عزيزى الأرجوز ، لماذا تلبس هذه الطاقية التى تصل إلى أنفِك ؟

— أمرنى الطبيب بلبسها لأنى جرحتُ ساقى .

— مِسكينٌ ، مسكين أيها العزيز بينوكيو .

— مسكين ، مسكين يا عزيزى يا فتيل القنديل .

وأعقَب ذلك سكوت طويل ، كان الصديقان فى أثنائه ينظر كلٌّ منهما إلى صاحبه ، ويستهْزئُ به سرًّا .

وأخيراً قال بينوكيو فى صوت حلُو وتلميح :

— قل لى يا فتيل القنديل ، أريد أن أعرف ، ألمْ تمرض أذناك قط ؟

ــ كلاّ ، كلا . وأنت ؟

ــ كلاّ ، كلا . ولو أنى فى الواقع قد مرضتْ إحدى أذنىّ هذا الصباح ؛ لقد آلمتنى ألماً شديداً .

ــ وأنا أيضاً آلمتنى إحدى أذنى هذا الصباح ألماً شديداً .

ــ وأنت أيضاً ؟ أوه ! وأىّ أذنيك تلك التى تؤلمك ؟

ــ كلتاهما ، وأنت ؟

ــ كلتاهما كذلك . هل تظنّه المرض نفسه ؟

ــ أظن ذلك .

ــ هل تصنع لى جميلاً ومعروفاً يا فتيل القنديل ؟

ــ بكلّ تأكيد ، ومنْ كل قلبى .

ــ هل تسمح لى بأن أرى أذنيك ؟

ــ وهل تسمحُ لى أنت بأن أرى أذنيْك ؟

ــ بكل تأكيد ، ولكن أرنى أذنيك أوّلا .

ــ لا ، أرنى أنت أذنيك أولا .

ــ لا ، أرنى أذنيك أولا ، ثم أريك أنا أذنىّ من بعد ذلك .

ــ فلنتفقْ إذن على ذلك ، كأىّ صديقين مخلصين .

ــ أسمِعنى شروطك .

ــ نخلعُ طاقيّتيْنا معاً فى وقت واحد ، هل توافق ؟

ــ اتّفقنا .

– والآن ، استعدّ !

وبدأ بينوكيو يعدّ بصوت مسموع : واحد ، اثنان ، ثلاثة !

وما كان ينطق بالرقم الأخير ، حتى كان كل منهما قد خلع طاقيته ورماها بعيداً .

ربما لا تصدقون يا أصدقائى ما حدث بعد ذلك ، فإن كلاً منهما ما إنْ رأى صاحبه وقد نزلتْ به المصيبة نفسها ، حتى راح يهزأ به ويسخَر من أذنيه الطويلتين ويضحك ضحكاً عالياً ، ويُقهقه قهقهة مسموعة ، وذلك بدلا من أن يشعر بالخجل أو الحزن أو الأسف لتلك المصيبة .

وظلّ الاثنان يضحكان بلا انقطاع ، يضحكان ويضحكان ، حتى وجعتهما جُنوبهما .

لكنّ فتيل القنديل سكت فجأة ، وتراجع إلى الوراء وقد اصفرّ وجهه ، وصاح قائلا :

– النّجدة يا بينوكيو ، النجدة !

– ما بالك ؟

– ... آه ، إنى لا أستطيع أن أقف مُعْتدلا .

فقال بينوكيو وهو يتعثّر ويبكى : « وأنا أيضاً لا يمكننى الوقوف معتدلا . آ ... ى ... ! » .

ولم يلبثْ كلٌّ منهما أن انكفأ على وجهه فوقع على يديه ، وبدأ يجرى فى الغرفة على أربع ... !

وبينما كان يجريان ، انقلبتْ أذرعهما أرْجُلاً ، وطال وجهاهما ، وأصبحا وجهيْ حمارين . وتغطى ظهر كل منهما بشعر رمادى فاتح ، منقَّط بنقط سود .

وأفظعُ من كل ذلك، أنّ هذين الولدين التَّعِسين ، شعرا بالذلَّةِ والمرارة ، حين أحسّ كلٌّ منهما أنْ قد صار له ذيل ينبت ويطول . حينئذ غلبهما الخجل الشديد والحزن القاتل ، فراحا يبْكيان ويشهقان بالعويل ، ويندبان حظَّهما التعس .

آه ، لو أنهما بقيا ساكتين ، ولم يفتحا فميْهما للبكاء .

لقد وجدا أنهما – بدلا من البكاء والشهيق – ينهقان كالحمير ! وراح نهيقهما يعلو ويزيدُ وضوحاً : « هى ... ها ! هى ... ها ! هى ... ها ! » .

ودق الباب فى هذه اللحظة وقال قائل :

« افتحا الباب . إنى أنا الرجل الصغير الضاحك ، الذى جاء بكما إلى هذا المكان . افتحا لى بسرعة ، وإلا ساءتِ العاقبة جدًّا جدًّا » .

٣٣

عند ما رأى الرجل الصغير الضاحك أنهما لم يفتحا له الباب ، رفسه بقدمه ففتحه وقال ضاحكاً ضحكته المعتادة : « مَرْحى ، مرحى! إنكما تنهقان بمهارة ولباقة! لقد عرفتُ فى الحال أن النهيق نهيقكُما. والآن هأنذا هنا معكما ! »

فلما سمع « الحماران » هذا الكلام ، بقيا مكانهما واقفيْن ساكتين ، لا ينهقان ولا يقولان كلمة واحدة ، وقد تدلَّى رأساهما ، ودخل ذيلاهما بين فخذيْهما !

وراح الرجل الصغير الضاحك ، أول الأمر ، يُلاطفهما ويُداعبهما ويمسح بيديْه جلدهما ، ثم أخرج من جيبه « مِحَكَّةً » ومشطهما بها تمشيطاً جيِّداً ، إلى أن صارا يبرقان ويلمعان كالمرآة ، وحتى صار بالإمكان أن يرى الإنسان وجهه فى جلدهما ... ! وحينئذ وضع على ظهر كل منهما سرجاً وفى فمه لجاماً ، وساقهما إلى السوق ليبيعهما — كما كان أمله — بمبلغ كبير . فإن المشترين الذين يريدون حميراً كانوا فى الحقيقة كثيرين !

فأما فَتيل القنديل فقد اشتراه فلاّح كان حماره قد مات فى اليوم السابق .

وأما بينوكيو فقد اشتراه صاحبُ ملعب للحيوانات المفترسة (سِرْك)

وفرقة من المهرجين والبهلوانات ، اشتراه ليعلمه القفز والرقص مع غيره من حيوانات الفرقة !

هل فهمتم الآن يا قرائى الأعزاء تلك الصنعة اللطيفة التى يحترفها الرجل الصغير الضاحك ، هذا الوحش الصغير الحجم ، القاسى القلب ، الذى كان ظاهره لبناً وعسلا؟ لقد كان يدور فى الأرض بعربته الفخمة من وقت لآخر ، ليجمع بوعوده الجميلة ، وتلطفاته المؤدبة كل الأطفال الذين لا يحبون كتبهم ومدرستهم ، ولا يريدون الذهاب إليها ، ثم يحملهم إلى « بلد اللعب » لكى يقضوا أوقاتهم فيها بين اللهو واللعب والتسلية والمسرات ، إلى أن يصبحوا حميراً ، بسبب لهوهم ولعبهم وعدم اهتمامهم بالكتب والتعلم واستذكار الدروس ، فيفرح هو بذلك ويأخذهم إلى السوق ليبيعهم .

لقد أصبح هذا الرجل الملعون فى سنوات قليلة غنياً جداً جداً ، وصارت ثروته تعد بالملايين !

أنا لا أعرف ما جرى بعد ذلك لفتيل القنديل ، لكننى أعرف أن بينوكيو المسكين كانت حياته الجديدة هذه – من أول الأمر – شقاء فى شقاء ، حياة كلها تعب وسوء معاملة .

فإنه لما أُخذ – بعد شرائه – إلى الإصطبل الذى سيعيش فيه ، ملأ له سيده الجديد مخلاته بالتبن . لكن بينوكيو ما إن ذاق التبن حتى بصقه فى الحال .

حينئذ غضب سيده ، وملأ له المخلاة بالدّريس . لكن پينوكيو لم يعجبه الدريس أيضاً .

فزاد سيده غضباً ، وصاح قائلا : «آ ... ه ! حتى الدريس لا يعجبك ! اتركْ لى أنا هذا الأمر ، أيها الحمار الماهر ، فإن بإمكانى إن كنتَ تريد أن تُتعبنى برفضِك هذا العلَف وقبولك ذاك ، أن أسوّى الأمر معك ، وأشفيك من هذا الدّاء الوبيل ! . »

وبدأ معاملته السيئة بأن ضربه بسوطه على أقدامه ضربة مؤلمة ، حتى صاح پينوكيو من شدة الألم ونهق قائلا :

— هيه ... هو ! لا يمكننى أن أهضم التبن !

ففهم سيده ما أراد أن يقوله ، لأنه كان يعرف لغة الحمير ، وقال له :

— إذنْ فكل الدريس !

— هيه ... هو ! إن الدريس يوجع بطنى !

— وهل تظن أنى سوف أطعم حماراً مثلك صُدور الفراخ وفخذَ الخروف ؟

ثم أمسك سوطه غاضباً ، وضربه على أقدامه ضربة مُوجعة ، رأى پينوكيو بعدها من الأفضل أن يبقى هادئاً ساكتاً ، فلم يقل كلمة واحدة . فتركه الرجل وحده ، وأقفل باب الإصطبل .

وكان قد انقضى على أكلته آخر مرة — قبل أن يصير حماراً —

زمن طويل ، فاشتدّ به الجوع ، حتى جعله يتثاءب . فلما تثاءب فتح فمه الكبير فتحة واسعة كأنها فتحة الفرن .

ومضت مدة أخرى ، لم يَعُد المسكين بعدها يطيق آلام الجوع ، ولما لم يكن بالخلاة التى أمامه غير الدريس ، فقد قبل أن يأكل من الدريس شيئاً قليلا . فلما وضعه فى فمه مضغه مدة طويلة فلما أراد أن يبلعه ، أغمض عينيه وبلعه ، ثم قال لنفسه : « ليس الدريس شيئاً رديئاً جدًّا كما كنت أتصور ! لكن أما كان الأفضل لى من كل هذا ، أن أذهب إلى المدرسة لأتعلم ؟ لو أننى فعلت هذا لكنتُ فى هذا الوقت ، بدلا من هذا الدريس ، آكل خبزاً طازجاً لذيذاً ، فوقه قطعة فخْمة من السُّجقّ الفاخر الممتاز ! الصبر ، الصبر ، الصبر !

ثم إنه نام .

فلما صحا من نومه فى صباح اليوم التالى بحث عن كمية أخرى من الدريس ، لكنه لم يجد منه شيئاً ؛ فإنه كان قد أكل فى الليلة الماضية ، كل ما وضعه سيده أمامه من الدّريس .

واشتدّ به الجوع ، فأراد أن يجرِّب التِّبن . فلما ملأ به فمه ومضغه قال لنفسه : « لا فرق بين طعم التبن والأرز » . وكان فى أثناء أكل التبن ومضْغِه يقول : « الصبر ، الصبر ، الصبر ! إن ما بى من التَّعس والشقاء ، قد ينفع على الأقلّ غيرى من الأطفال الكسالى الذين لا يحبون الكتب

والمدرسة ، ويكون لهم عبْرَة وموعظة! آ ... ه ، الصبر ، الصبر، الصبر، الصبر ! » .

ودخل سيّده الإصطبل فى هذه اللحظة ، وسمعه يحدّث نفسه بهذا الكلام فقال له : « الصبر ، الصبر ؟ هل تظننى أيها الحمار الماهر قد اشتريتُك لأطعمك فقط ؟ لا ، لا! إنما اشتريتك لتشتغل لى ولتساعدنى على كسْبِ المال . تعالَ إذن الآن واعملْ وابذُلْ جهداً ! تعال إلى الملعب (السرْك) ، لأعلِّمك كيف تمرُّ قفْزاً من داخل الطوق ، فتُمزِّق برأسك قرصاً من الورق الملصوق بالطوق ، وأن ترقص رقصات الڤالس والپولكا والمازوركا على رجليك الخلفيَّتين ! » .

إذن فقد كان پينوكيو المسكين مُضطرًّا لأن يتعلم كل هذه الألاعيب .

لقد كلَّفه ذلك شغلا متواصلا ، وتعباً شديداً ، خلال أشهر ثلاثة ، تلقَّى فيها من الرجل كثيراً من الضربات بالسوط الموجع . وتمَّ تعليمه .

وجاء اليومُ الذى أعلن فيه سيده عن حفلة مدهشة حقًّا! فعلق فى أركان الشوارع أعمدة تحمِلُ ألواحاً كبيرة عليها إعلانات بالخطّ العريض والألوان الزاهية ، وقد كُتِب فيها :

حفلة عرضٍ مدهشة فريدة

هذا المساء

القفزات الخطِرة المعتادة والألاعيب العجيبة

يقوم بها كل أفراد الفرقة وكل خيول الملعب

وعلاوةً على ذلك

سيظهر فى الملعب لأولِ مرة أعجبُ ما رأيتم

الحمارُ الصغير پينوكيو

المسمَّى

نجم الرقص

وسيكون المسرح جميعه مُضاءً بالأنوار الجميلة الجذّابة

صدقونى يا إخوانى إنْ قلتُ لكم إنّ المسرحَ كان ممتلئاً مزدحماً حتى لم يعُد فيه مكان يضع الواحد فيه قدمه . ولم يكن بالإمكان ، قبل بدء الحفلة بزمان طويل ، شراء مقعد فى هذا الزحام ، ولو دفع الإنسان ثُقله ذهباً.

كانت كل المقاعد حول حلقة اللعب مملوءة بالبنات والصِّبيان الذين كانوا جميعاً يتحرّقون شوقاً لرؤية الحمار الشهير پينوكيو ، ومشاهدته يرقص ويقفز من خلال الطوق .

فلما انتهى الفصل الأول من الحفلة ، دخل المدير الحلقةَ ووقف أمام الجماهير .

وكان يلبس معطفاً أسود وسروالا ضيقاً مشدوداً على رجليه ، وحذاء يصل إلى ركبتيْه .

وبعد أن انحنى للجمهور انحناءة خفيفة ، خطب خطبة مضحكة جدًّا ، قال :

« حضرات المحترمين ، سيداتى وسادتى ! »

« إن الموقِّع هنا فى أدناه ، الموجود الآن بمدينتكم فترة من الزمان ، يوَدّ أن يكون له الشرف العظيم والسرور العميم ، بأن يقدم لهذا الجمهور الذكىّ النبيل ، حماراً صغيراً مشهوراً ذائع الصيت ، نال من قبلُ شرف الرقص والقفز ، أمام ملوك جميع البلاد المهمة فى أوروبا وأمريكا والهند والصين » .

« إنى أشكر لحضراتكم كلَّ الشكر تشريفكم الليلة ملعبنا . وأرجو أن تساعدونا بحضوركم الكريم ، وأن تشجعونا بتسامُحِكم إن وجدتم فينا عيباً أو نقصاً » .

وضحك الحاضرون كثيراً عند ما سمعوا هذه الخطبة وصفقوا كثيراً . لكن التصفيق زاد واشتدّ وعلا وتضاعف حتى أصبح عاصفةً حقيقية ، عند ما ظهر فى وسط الحلقة الحمارُ الصغير پينوكيو !

كان لابساً ثياباً فخمة نادرة : فلجامه جديد من الجلد اللامع ، بمماسك وأزرار من النحاس الأصفر البرّاق الجميل ، ووراء أذنه زهرة بديعة من الكاميلية البيضاء . وأما « معرفته » فكانت مجدلة ضفائر صغيرة ، يزين كلا منها شريط به زر أبيض من الحرير . وكان له حول وسطه شريط عريض من الذهب والفضة . وأما ذيله فمربوط بشرائط حُمر وخضر وزرق من القطيفة البديعة . وبالاختصار كان حماراً صغيراً أنيقاً رشيقاً لطيفاً جدًّا جدًّا ! ! !

فلما قدّمه مدير الملعب للجمهور ، أضاف إلى خطبته السابقة الكلمات الآتية قال : «حضرات السادةالمحترمين ! يهمّنى جدًّا ألا أخفى على حضراتكم ما لقيتُه من المتاعب الشديدة ، والمصاعب العظيمة ، فى اصطياد هذا الحيوان ، الذى كان يعيش فى البرّية حرًّا طليقاً ، يأكل ما يشاء،ويرعَى العُشب أينما شاء ، مُتَنقلا حسب هواه من جبل إلى جبل ومن سهل إلى سهل ، فى نواحى المناطق الحارّة . وأرجو أن تلاحظوا ما يبدو فى عينيه من توحُّش ، حتى إنى عند ما أخفقتُ إخفاقاً ذريعاً فى إخضاعه وتأنيسه ، وجدتُ نفسى مضطرًّا لاستخدام السوط . لكنه مع ذلك ، ومع كلّ ما كنت أظهره له من ألوان الشفقة به ومعاملته

معاملةً طيبة ، كنتُ أنتظر منه أن يقابلها بالشكر والحب — أقول إنه مع كل ذلك لم يزدْ إلا قسوةً ووحشيَّةً ، يوماً بعد يوم . فلما رأيتُ أنا كلَّ ذلك ، فكرتُ فى اتِّباع الطريقة التى اخترعها الأستاذ العظيم الدكتور « رُبِّسوس ». فلما طبقتُها عليه وجدتُ فى جمجمته وَرَماً ، هذا وتقول كلية الطب بجامعة باريس إنه هو (أعنى هذا الورم) الذى يسبب دائماً تجدُّد نموِّ الشعر ، كما كان السبب الحقيقىّ المباشر فى اختراع الرقص الدينى القديم ! فلما عرفتُ هذا ، رحتُ أعلمه الرقص فتعلمه ، ثم علمته القفز من داخل الطوق والبراميل المبطنة بالورق . وإنى أترك لكم الآن أن تُقدِّروا مهارته ورشاقته، وتحكموا له أو عليه ! لكننى قبل أن أنصرف أرجو أن تسمحوا لى بأن أدعوكم لحضور الحفلة النهارية التى نُقيمها غداً بالليل . فإذا أصبحتم فوجدتم الجو رديئاً يُنذر بالمطر ، فأعلموا أننا سوف نؤجل حفلتنا اليوم من الليل إلى الصباح ، فى الساعة الحادية عشرة بعد الظهر تماماً تماماً ، بلاَ أقلِّ تغيير أو تحوير ! ! ! » .

ولما انتهى المدير من إلقاء خطبته تلك ، انحنى للجماهير انحناءة خفيفة أخرى ، ثم التفت إلى پينوكيو وصَاح به قائلاً : « تعال يا پينوكيو وحَيِّ قبل العِرض هذا الجمهور المحترم : حضرات السيدات والسادة والأطفال والصِّبيان والبنات ! » .

فثنى پينوكيو فى طاعةٍ رجليه الأماميتين للجمهور احتراماً وتحية ، وبقى راكعاً ، إلى أن « قرقع » له المدير بسوطه وصاح : « سِرْ ! »

فوقف الحمار الصغير ، وراح يدور حول الحلقة ، ماشياً طول الوقت .
وبعد قليل ، صاح المدير مرة ثانية وقال :

ــ اجْرِ !

فأطاع پينوكيو الأمر . وضرب الأرض بحافره ، وبدأ يجرى .

ــ اُرْكضْ !

فراح المسكين يركض ركضاً .

ــ أسرِعْ !

فانطلق يجرى بكل قوته مسرعاً إسراعاً .

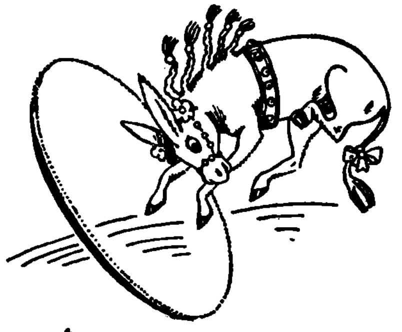
وفجأة رفع المدير يده فى الهواء ، وأطلق من مسدّسه رصاصة . وهنا تظاهر الحمار بأنه جُرِحَ ، ووقع على أرض الحلقة كأنه مات ...

وبعد قليل قام واقفاً وسط الهتاف العالى والتصفيق والتّهليل الصَّاخب ، حتى لكان فى الإمكان سماعُ كلّ ذلك من مسافات بعيدة جدّاً .

ورفع پينوكيو رأسه ونظر إلى الجماهير المجتمعة المطلّة على الحلقة ، فلفتتْ نظرَه فى إحدى المقاصير سيدةٌ جميلة ، تلبس حول عُنقها سلسلة ذهبية بديعة ، يتدلّى منها قلبٌ من الذهب بداخله صورةُ أرجوز ! فقال پينوكيو يحدّث نفسه ، وقد عرف السيدة فى الحال : « تلك صورتى أنا ! وأما السيدة فهى الإنسية العزيزة ! » .

وغلبه فرحه ، فحاول أن يصيح بها : « أيّتها الإنسية العزيزة ! أيّتها الإنسية العزيزة ! » .

لكنه ، بدلا من هذه الكلمات ، خرجتْ من فمه نهقةٌ طويلة عالية :



« هيه ... هوه ! » ، ضحك لسماعها الحاضرون جميعاً ، وخصوصاً الأطفال الصِّغار الذين كانوا موجودين .

ورأى المدير أن نهيقه بهذه الصورة سوءُ أدب ، فأراد أن ينبهَهُ حتى لا يعيد ذلك مرة ثانية ، فضربه بمقبض سوطه على أنفه ضربة خفيفة .

فأخرج الحمار المسكين لسانه ، وبقى يلحس أنفه مدة طويلة — أكثر من خمس دقائق — لكى يُريح نفسه من الألم الذى أحسّ به بعد تلك الضربة .

لكن ما كان أعظمَ يأسَهُ حين استدار بعد ذلك لينظر إلى إنسيته العزيزة فى المقصورة مرة ثانية فوجد المقصورة خالية . لقد اختفت الإنسية !

ودار رأسُه وشعر كأنه يموتُ ! ثم امتلأت عيناه بالدموع ، وراح يبكى بُكاء مرّاً . على أنه لم يلحظ ذلك أحدٌ من الحاضرين ، حتى ولا المدير نفسه ، الذى « طرقع » له بالسوط وصاح قائلا :

— مَرْحَى يا پينوكيو ، مرحى ! والآن فلنُرِ حضرات السيدات والسادة ، كيف يمكنك أن تقفز برشاقة من خلال الطوق .

حاول پينوكيو ذلك مرتين أو ثلاث مرات . لكنه كان كلّما وصل إلى

الطوق ، فضل أن يمرّ من تحته . غير أنه ــ آخر الأمر ــ قفز من خلاله ، لكن قدميه الخلفيتين اشتبكتا فى الطوق ، فوقع على الأرض بثقله كله .

ووقف ، لكنه كان قد أُصيب بالعرج ، بل كاد يعجز عن العودة إلى الإصطبل مشياً !

وصاح الأطفال جميعاً ، وقد تألّموا لما أصابه : « أخرِجوا پينوكيو ! إننا نُريد الحمار الصغير ! أخرِجوا الحمار الصغير ! » .

لكن الحمار الصغير لم يظهر بعد ذلك فى هذا المساء .

وحين جاء الطبيب المختصّ بالحيوانات لزيارته فى الصباح التالى قال: إنه سيظلّ أعرج ما بَقِيَ من حياته. وحينئذ قال المدير لصبيّ الإصطبل: « وماذا أفعلَ أنا بحمار أعرج ؟ هل أطعمه بغير أن أستفيد منه ؟ لا ، لا ! خذْهُ إلى السوق فَبِعْهُ ! »



ووصلا إلى السوق ، ووجدا شارياً ، قال :

ــ كم تُريدان ثمناً لهذا الحمار الأعرج ؟

ــ خمسة جنيهات .

ــ سأعطيكما خمسة قروش . فلا تتصوّرا أنى سأنتفع به . إنى لا أشتريه إلا من أجل جلده . فإنى أرى له جلداً سميكاً ، وأريد أن أصنع من جلده طبلة لفرقة الموسيقى بالمدينة .

بإمكانكم يا قرّائى الأعزاء أن تتصوروا ما شعر به پينوكيو إذ ذاك ، لمّا عرف أنه سيصبح طبلة !

ولما دفع سيده الجديد القروش الخمسة ، ساقه إلى صخرة بجوار البحر ، فربط فى رقبته حجراً كبيراً ، وحبلا طويلا فى قدمٍ من أقدامه ، ثم دفعه فجأة إلى البحر دفعة شديدة أوقعته فى الماء .

ونزل پينوكيو مباشرة إلى قاع البحر ، بفضْلِ الحجر الكبير المربوط فى رقبته . وجلس سيدُه على الصخرة — وقد أمسك بيده طرف الحبل — ينتظر موْتَهُ غرَقاً ، لكى يتمكن بعد ذلك من سلخ جلده !

٣٤

بعد أن بقِىَ الحمار الصغير تحت الماء ساعةً كاملة تقريباً ، قال صاحبه الجديد يحدّث نفسه : « لا بدّ أنه قد مات الآن غرَقاً ! فلنشدّهُ ولنُخرِجْه لنعمل من جلده طبلة فاخرة » .

وشدّ الحبل الذى كان مربوطاً بقدمه ، شدّ ، شد ، شد ، شد ، حتى ظهر طرفه على وجه الماء ...

هل يمكنكم يا أصدقائى الأعزاء أن تتصوروا ما حدث ؟ لقد وجد الرجل — بدلا من حمار ميت — أرجوزاً حيًّا يتلوّى وينتفض انتفاض السمك الكبير !

فلما رأى الرجل الأرجوز الخشبيّ ، ظن أنه يحلم . لقد صُعِقَ ، وانعقد لسانُه ، وانحبست الكلمات فى فمه ، وبقى فى دهشةٍ عظيمة ، تكاد عيناه تخرجان من رأسه .

وعاد إليه بعد قليل بعضُ وَعيِه ، فبكى وقال مُتأوِّهاً :

« أين ... أين ذهب الحمار الصغير الذى رميْتُه فى الماء ؟ »

فأجابه الأرجوز ضاحكاً قال : « أنا الحمار الصغير ! »

ـ أنت ؟ !

ـ نعم أنا !

ـ آه يا لعين ! لا تُحاوِل أن تلعب علىّ شيئاً من ألاعيبِك !

ـ ألعب عليك ألاعيبى ؟ لا يا سيِّدى ! بكلِّ تأكيدٍ ، لا ! إنى لا أقول إلاالصِّدق !

ـ ولكن كيف يمكن أن تكون أنت الحمار الذى رَميْتُه فى البحر من بِضع دقائق فأصبح الآن أرجوزاً من الخشب ؟ !

ـ لا بدّ أن ذلك قدتمّ بفعل ماء البحر ! فإنه يُؤَثِّر هذا التأثير فى بعض الأحيان !

ـ حاذِرْ ، حاذر يا أرجوز . لا تحاول أن تلعب علىّ شيئاً من ألاعيبك ! إننى أضُرُّك إنْ نفد صبرى !

ـ إذنْ يا سيدى ، هل تُريد أن تسمع حكايتى على حقيقتها ؟ لو خلَعتَ هذا الحبل من قدَمىَّ حكيتُها لك .

واشتاق الرجل إلى سماع حكاية الأرجوز ، ففكّ قدميه ، وأصبح بينوكيو حرًّا مرة ثانية . وحينئذ قال :

ـ اعلمْ أننى كنت يوماً أرجوزاً خشبيًّا ، كما ترانى الآن تماماً ، وكنتُ على وشك أن أصبح ولداً حقيقيًّا ، كغيرى من الأولاد . لكننى لم أكُنْ أحب المدرسة ولا أستذكر دروسى ، واستمعتُ لرفقاء السُّوء ، فهربت من المدرسة ، وفى صباح يوم جميل ، صحوت من نومى فوجدتنى قد أصبحتُ حماراً ، ذا أذُنين طويلتين وذيل طويل . أوه ! لشَدّ ما خجلتُ من منظرى هذا ! أُوه! ليحمِكَ الله وأولياؤه يا سيّدى العزيز من مثل هذا البلاء ، ليحمِكَ الله من أن تحس يوماً ما أحسستُ أنا به فى تلك الساعة من الخجل الشديد ! ثم إنى أُخذتُ إلى السوق مع بقية الحمير ، وباعونى لصاحب ملعب الوحوش . وعلّمنى الرجل الرقص والقفز من خلال طوق . لكن حدث ذات يوم مساءً ، فى أثناء حفلة العرض الكبيرة ، أن وقعت على الأرض فأصِبتُ بالعرج ، ولم يَعُدْ صاحب الملعب قادراً على الانتفاع بى ، أنا الحمار الأعرج ، فأرسلنى إلى السوق ليبيعنى ، فاشتريتنى أنت .

ـ أعرفُ ذلك . لكننى دفعت ثمنك خمسة قروش ، وأنا الآن أريد قروشى الخمسة ، فمن ذا الذى يُعيدها لى ؟

ـ ولماذا اشتريتنى ؟ ألِكَىْ تعمل طبلة من جلدى ؟ طبلة ؟

ـ نعم ، نعم ! والآن أين يمكننى أن أجد جلداً آخر ؟

ـ لا تيأس يا سيدى من رحمة الله ، فالدنيا مملوءة حميراً !
ـ أيها الحمار الوقح ، أهذه نهاية قصتك ؟
ـ لا ، فما زلتُ أريد أن أقول لك كلمتين اثنتين لا أكثر ، أختم بهما حديثى معك . إنك بعد أن اشتريتنى ، أحضرتنى هنا لتقتلنى . ولأنك قد أخذتك الشفقة بى ، ربطتَ حجراً برقبتى ، ورميتنى به فى البحر . إنّ هذا الشعور الجميل شرف كبير لك ، وإنى لهذا السبب سأبقى طول حياتى شاكراً لك جميلك ، عارفاً بصنيعك . لكنك يا سيدى العزيز ، لم تحسب فى هذه المرة حساب الإنسية .
ـ ومَن هذه الإنسية ؟
ـ إنها أمى ، وهى كبقية الأمهات اللاتى يُحببنَ أطفالهن ولا يبعدن عنهم أبداً ، ويساعدنهم فى كل متاعبهم ، حتى حين يستحقون أن يُهمَل شأنهم ، بسبب هروبهم المرة بعد المرة ، وبسبب عصيانهم وعدم استماعهم للنصائح ، وبسبب أفعالهم القبيحة المذمومة . فلما رأت الإنسية أننى معرّض لخطر الموت غرقاً ، أرسلت لى جماعة كبيرة جداً جداً من مختلف أنواع السمك . فلما اقتربت تلك الجماعة منى ، حسبتنى حماراً ميتاً ، فراحت تأكل لحمى بشراهة ونَهَم شديدين ! لم أكن أتصور قط يا سيدى أن السمك أكثر شراهة ونهماً من الأولاد ! لقد أكل بعضه أذنى ، وبعضُه أكل أنفى ، وأكل بعضه رقبتى ومعرَفتى وحوافرى بل جلدظهرى. وكانت بين الجماعة سمكة كبيرة مؤدبة رَضِيَتْ فأكلَتْ ذيلى!

قال الرجل وهو يستمع لحديث الأرجوز مفزوعاً :

– لن آكل منذ اليوم سمكاً أبداً ، أبداً ! إنه لَشَيءٌ جميلٌ حقّاً أن تفتح يوماً سمكة من « البورى » مثلا أو المرجان فتجد فى بطنها ذيل حمار !

قال الأرجوز ضاحكاً : « إننا مُتّفِقان فى هذا الأمر . ثم اعْلَمْ يا سيدى أن جماعة السمك حين انتهتْ من أكل جلد الحمار ولحمه (اللذين كانا يُغطّيانى من رأسى إلى أقدامى) وصلت طبعاً إلى عظامى ، أو إن أردتَ الدِّقة تماماً ، إلى الخشب الذى هو جسمى ، لأننى – كما ترى – مصنوع من الخشب . أقول لما وصلت جماعةُ السمك إلى هذا الخشب وعضّت العضّة الأولى رأتْ أننى لست لحماً يُؤْكَل ، فنفرتْ من هذا الطعام الذى لا يهضَم ، وانصرفت عنى سابحة إلى سبيلها فى كل اتّجاه ، دون أن تفكر حتى فى تقديم الشكر لى ، للأكلة الشهية التى كانت من نصيبها بفضْلى ! وهذا هو السبب الذى وجدتَ أنت – حين شددتَ الحبل – بدل الحمار الميت أرجوزاً حيّاً » .

فصاح الرجل غاضباً قال : « إن كل ما قلت لا يهمنى ! إنما الذى يَهمّنى هو أنى دفعتُ خمسة قروش ثمناً لك ، وأنى أريد أن أسترجع ما دفعت . إنى أعرف ما سأعمله ! سآخذك إلى السوق وأبيعك خشباً للحريق !

– بِعْنى إن أردت ، فذلك لن يهمنى !

وإذ قال الأرجوز هذا ، قفز قفزة عالية طويلة أنزلتْه فى البحر ،

فوق الأمواج ، ثم راح يسبح فرحاً ، وقال للرجل المسكين بأعلى صوته : « وداعاً يا سيدى ، وداعاً . عند ما تريد جلداً تصنع منه طبلة فاذكرنى ! ».

وظَلَّ يضحك وهو يبتعد سابحاً فى الماء ثم التفت – بعد قليل – إلى الرجل وقال بصوت أعلى : « وداعاً يا سيدى ، وداعاً ! عند ما تريد خشباً جميلا ناشفاً تُشعِلُ به ناراً فاذكرنى ! » .

وفى غمضة عين أصبح بعيداً عن الشاطئ بُعداً عظيما ، حتى صار من الصعب على الإنسان أن يراه .

إنه فى الواقع لم يَعُدْ إلا نقطة سوداء صغيرة فوق سطح الماء ، ترفع من وقت لآخر ذراعاً أو قدماً ، أو تقفز على وجه الأمواج كأنها « دلفين » مَرِح سعيد .

راح پينوكيو يسبح من غير أن يُعَيِّن لنفسه وجهةً أو مكاناً يقصد إليه ، حتى رأى فى وسط الماء صخرة ناصعة ، كأنها رخام أبيض ، تقف عليها عنزة تثغو (تُمأمئُ) وتشير إليه منادية .

وربما كان أعجب ما فى الأمر ، أن فرو العنزة لم يكن أسود أو أبيض أو مزيجاً من هذين اللونين كغيرها من الماعز ، بل كان لونه أزرق ، أزرق فاتحاً لامعاً ، ذكَّرَه بشعر تلك الطفلة التى عرفها من زمن بعيد .

لقد بدأ قلب الأرجوز يدق دقًّا شديداً ! فلم يلبثْ أن ضاعف جُهْدَه وسبح مسرعاً نحو الصخرة . لكنه لم يكد يبلغ منتصَف المسافة حتى رأى أمامه فوق صفحة الماء وحشاً بحريًّا مخيفاً ، ذا رأس مُرْعِبٍ ،

وفم مفتوح كأنه مغارة ، تَبينُ فيه ثلاث طبقات من الأسنان مُفْزعة ! وكان هذا الوحش المخيف يسبح



نحوه مسرعاً .

هل عرفتم يا قرائى الأعزاء ما هذا الوحش المخيف ؟

إنه القرْش الضخم الذى حدّثتكم عنه فى هذه القصة غير مرة ، والذى كان الناس يسمونه « غول السمك والسماكين » وذلك بما كان يُحْدِثُه من تخريب وتدمير ، وما كان ينشره من فزع ورُعب بقسوته ووحشيته .

فزع پينوكيو المسكين فزعاً شديداً عند ما رأى هذا الوحش الفظيع ،

وحاول أن يروغ منه أو أن يروح من طريق غير طريقه ، أو يُسرع يميناً أو شمالاً ، أو أن يسبقه حتى يخلص منه ، لكن ذلك الفم الواسع الضخم ، المفتوح كأنه المغارة ، لاحقَه من الوراء مسرعاً كأنه السهم المنطلق !

و « مأمأت » العنزة الصغيرة اللطيفة قالت : « أسرع يا پينوكيو ، أسرِعْ ، بالله عليك ! » .

وبذل پينوكيو كلَّ جُهده ، كل ذَرّة من جهده وطاقته .

« حاذرْ ، يا پينوكيو ، حاذر ، إن الوحش قد لحق بك ! ها هو ذا قد جاء ! أسرع ، أسرع ، بالله عليك ، وإلا ضِعتَ ! »

وبقي المسكين يسبح بأقصى قُوَّته ، حتى صار يمخر الماء كأنه الرصاصة المنطلِقة .

لقد صار قريباً من الصخرة جدًّا ، وكانت العنزة الصغيرة اللطيفة ماثلة على الماء ، وقد مدت له حافرَيْها الأماميين ، لتُساعده على الخروج من الماء !

لكن الفرصة فاتت ! فإن الوحش المخيف كان قد لحق به ، وما لبث أن شدَّ نفساً طويلاً ، فابتلعه كما يبتلعُ الإنسان بيضة مسلوقة .

وكان ابتلاعُه شديداً عنيفاً حتى اصطدم المسكين اصطداماً مؤلماً بجوف الوحش ، أصيب بعده بإغماء دام ربع ساعة !

ولما عاد إليه وعيه لم يعرف أين هو .... ! ! !

لقد كان كلُّ ما حوله ظلاماً حالكاً ، حتى لقد خُيِّلَ إليه أنه

غطس ، رأساً على عَقِب ، فى زجاجة كبيرة مملوءة بالحبر الأسود !

وبقى لحظة يتسمَّعُ ، لكنه لم يسمع شيئاً على الإطلاق .

وكانت من وقت إلى آخر تهبُّ عليه لفحة من الهواء البارد تلفح وجهه . وعجز أوَّل الأمر عن معرفة المكان الذى يجيئه منه هذا الهواء البارد ، لكنه ما لبث أن عرف أنه يخرج إليه من رئتى الوحش المخيف . ذلك لأن هذا الوحش المخيف كان مريضاً « بضيقٍ فى التنفس » ، فكانت أنفاسُه لهذا السبب أشبه شىءٍ بريح الشمال الباردة عند هُبوبها .

وحاول پينوكيو فى البداية أن يتشجع ، لكنه حين تأكد أنه محبوس فى جوف القرش بدأ يبكى ويعول ويصرخ قائلا :

« النَّجدة ، النجدة ! هلاَّ جاءنى أحد لِيُنقذَنى ؟ » .

فأجابه صوت فى الظلام بقوله : « مَن ذا الذى يمكنه إنقاذك أيها الشَّقىّ ؟ » .

كان الصوت أشبه شىء بصوت القيثارة الناشِزَة . فلما سمعه پينوكيو وسط هذا الظلام الحالك الشديد سَرَتْ فى جسمه رِعْدَةٌ شديدة ، وجَمُدَ الدم فى عروقه من شدّة الخوف وقال :

ـ مَن هذا الذى يتكلم هنا ؟

ـ أنا الذى أتكلم ، إنى « قاروص » مسكين ابْتُلِعْتُ معك . وأنت ؟ أىّ نوع من السمك أنت ؟

ـ ليست لى بالسمك أيَّةُ علاقة ، إننى أرجوز !

ـ إنْ لم تكن سمكاً ، فلماذا إذن جِئْتَ إلى هذا المكان ، فى جوْف هذا الوحش ؟ .

ـ لم أجِئْ ، بل هو الذى ابْتَلعنى ! ماذا ، فى رأيك ، يمكننا أن نعمل الآن فى هذا المكان المُظلم المخيف ؟

ـ نسلم أمرنا لله ، وننتظر حتى يهضِمَنا القَرْش !

فعاد بينوكيو يبكى ويقول : « لكننى لا أريد أن أُهضَمَ ! » .

ـ ومن قال لك إننى أنا أريد أن أُهضَم ؟ أنا أيضاً لاأريد أن أهضم. لكنى أمتاز عليك بأنّى على شىء من الفلسفة والتَّصَوُّف ، يُمكّنانى من أن أعزِّى نفسى عند ما أذكر ، وقد وُلِدْتُ فى أسرة « القاروص » ، أن الموت فى الماء أكرمُ ألف مرة من الموت مقليّـًا فى الزيت !

ـ هذا كلام فارغ .

ـ إنه رأيى . والآراء ، كما يقول رجال السّياسة عندنا فى أسرة القاروص ، يجب أن تُحترَم !

ـ مهما يكن الأمر ، فإننى أريد أن أخرج من هذا المكان . أريد أن أهرب ...

ـ اهرب إذن إنْ أمكنك ... !

ـ هل تظنه كبيراً جدًّا ، هذا القَرش الذى ابتلعنا ؟

ـ إن جسمه أطول من كيلومترين ، من غير أن نُدخِل فى حسابنا ذيله ورأسه .

ثم إنّ بينوكيو خُيِّلَ إليه فى أثناء هذا الحديث فى الظلام ، أنه يرى على البُعد بصيصاً من نور بعيد ، بعيد جدًّا ، فقال :

ـ ماذا يمكن أن يكون ذلك النور الخافِتُ الضعيف البعيد جدًّا هناك ؟ .

ـ ربما كان أحد زُملائنا فى البُؤْس ، ينتظر مثلنا الوقت الذى يتمُّ فيه هضمُه .

ـ إنى ذاهب لأتبيّن الأمر . فلعله يكون سمكة عجوزاً ، يمكنها أن تُرشِدَنا إلى طريق للهرب من هذا المكان الفظيع .

ـ أرجو أن يتحقَّق لك هذا الأمل يا عزيزى الأرجوز .

ـ وداعاً أيها القاروص العزيز .

ـ وداعاً يا أرجوز . أرجو لك توفيقاً وحظًّا سعيداً .

ـ أين نلتَقِى ثانية ؟ .

ـ من يدرى ؟ ربما كان الأفضل ألا نفكر فى شىءٍ من مثل هذا !

٣٥

عند ما ودَّع بينوكيو « القاروص» بدأ يتحسّس طريقه فى الظلام الحالك فى جوْف القرش ، كان يتقدم حذراً خطوة بعد خطوة فى ذلك الظلام الدّامس ، نحو النور الضئيل الذى كان يلمع ضعيفاً من بعيد.



وإذْ كان يتقدّم قليلا قليلا ، زلقت قدمه فى أكوام الشحم والماء والزيت المتراكمة ، وشم رائحةً قوية ، كرائحة الزيت المغلىّ والسمك المقلىّ .

وكان كلما تقدم خطوة زاد الضوء وُضوحاً . وبقى يمشى ويمشى ، وأخيراً وصل . فماذا رأى ؟

سأعطيكم يا قرائى الأعزاء ألف فرصة تخمنون فيها .

لقد وجد مائدة صغيرة ، عليها شمعةُ منيرة قائمة فى زجاجة خضراء . وإلى المائدة يجلس رجل عجوز أبيضُ اللون جداً ، كأنه من الجليد

أو القشدة ، وكان يأكل سمكاً حيًّا ، مُمتلِئاً بالحياة ، حتى لكان السمك يَنتفِضُ فيخرج من فمه مُنطلِقاً منزلقاً فى أثناء الأكل ! .

لما رأى بينوكيو هذا المنظر غمرَتْهُ موجةٌ من الفرح العظيم . وكانت الفرحة مفاجِئةً حتى كاد يُغمَى عليه .

لقد أراد أن يضحك وأن يبكى وأن يتكلم ، فيتحدث عن مائة شيء وشيء . لكنه بدلا من كل ذلك فأفأ وتأتأ بكلمات ناقصة ليس لها أى معنى . وأخيراً ، وبعد جُهْدٍ جهيد ، أمكنه أن يصرخ صرخةَ فرحٍ عالية ، وفتح ذراعيه إلى أبعد ما يمكنه ، ثم قذف بهما حول رقبة الرجل العجوز وهو يقول :

ـ آه يا أبى ، يا أبى العزيز ! هل وجدتُك أخيراً ؟ لن أتركَكَ بعد اليوم أبداً ، أبداً ، أبداً ....

ففرك الرجلِ عينيه فركاً شديداً وقال :

ـ إذن فعيْناى لا تغشّانى ! أأنت حقًّا ولدى العزيز بينوكيو ؟

ـ نعم ، نعم ، أنا بينوكيو ، أنا بينوكيو يا أبى العزيز . إنك إذن لم تنسَنى ، لم تنسنى! آه يا أبى ، ما أطْيبك وأكرمَك! إن مجرد ذِكرى لـ ... آه ! ولكنك يا أبى حين تعلم كم من المصائب نزلتْ بى ، وكم اضْطربتْ أمورى وأحوالى منذ ... ! هل تعرف يا أبى المسكين أننى فى نفس اليوم الذى بِعْتَ أنت فيه سُترتك لتشترى لى بثمنها كتاباً

أذهب به إلى المدرسة ، هربتُ لأتفرّج بالأرجوزات ، وأنّ صاحب الملعب كان على وشك أن يضَعنى فى النار ليتمّ شواء خروفه ؟ لقد أعطانى الرجل بعد ذلك خمسة جنيهات ذهبية لأحملها إليك بالبيت ، لكنى قابلتُ فى الطريق الثعلب والقط ، فأخذانى إلى فندق « أبى جلمبو الأحمر » . وهناك أكلا كالذّئاب الجائعة . ثم إنى مشيت بالليل وحدى ، فقابلت القاتليْن اللذين راحا يجريان ورائى ، وصرْتُ أجرى ، وهما من ورائى يجريان ، وأجرى وهما من ورائى يجريان ، وأجرى وهما من ورائى يجريان ، حتى لَحِقَا بى وعلّقانى بفرع شجرة كبيرة . وتركانى . فأرسلتْ لى الطفلةُ الجميلة ذاتُ الشعر الأزرق عربةً حملتْنى إلى بيتها . ولما رآنى الأطباءُ قالوا فى الحال : « إنه إنْ لم يكن ميتاً ، فهذا دليل على أنه حىّ ! » . ثم إنى كذبت فطال أنفى ، وبقى يطول حتى عجزتُ عن الخروج من الباب . وذهبتُ بعد ذلك مع الثعلب والقط لأدفن جنيهاتى الذهبية الأربعة — لأنى كنت قد أنْفقتُ الخامس فى الفندق . وضحك الببغاء منى . وبدلا من ألفين من الجنيهات الذهبية ، لم أجد شيئاً ! فلما سمع القاضى بذلك حبسنى فى الحال إرضاءً للّصّين . ولما خرجتُ من السجن رأيتُ عنقوداً من العنب فى الغيط ، وأمسكنى الفخ ، وكان الفلاح مُحقّاً جدّاً حين وضع فى رقبتى طوقاً ، وربطنى بسلسلة الكلاب ، وكلّفنى حراسة عشّ الفراخ . لكنه بعد ذلك تَبيَّن أنى برىء ، فأطلق سَراحى . ثم إنّ الثعبان ذا الذيل الطويل الذى كان يُخرِج دخاناً كثيفاً ،

بدأ يضحك ويقهقه حتى انفجر شريان دمه . وبعدئذ وصلتُ إلى بيت الطفلة الجميلة ، لكنها كانت قد ماتت . ورأتني الحمامة أبكى فقالت : « رأيتُ أباك يصنع قارباً ليذهب به للبحث عنك » . فقلت لها : « آه ، لو أننى كان لى جناحاك ! » فقالت : « هل تريد أن تذهب إلى أبيك؟». قلت : « هل أريد ؟؟! طبعاً أريد ! لكن من ذا الذى يأخذنى إليه هناك ؟ » . قالت : « أنا آخذك » . فقلت : « كيف؟». قالت : «تركب على ظهرى ! » وبقينا طائرين الليل بطوله ، حتى إذا طلع الصبح ، رأينا صيادين ينظرون إلى البحر ويقولون : « هناك رجل مسكين فى قارب صغير يكاد يغرق ! » . وعرفتُك أنا فى الحال ، لأن قلبى قال لى إنك الشخص الذى فى القارب ، مع أنك كنتَ بعيداً ، بعيداً جداً . وأشرتُ إليك بيدى لكى ترجع إلىّ ... » .

قال جيپتو : « وأنا أيضاً عرفتُك فى الحال . وكان الواجب أن أرجع فرحاً مسروراً ، لكن الأمواج كانت عالية هائجة فقلبتْ قاربى . وكان بجوارى إذ ذاك قرش ضخم فظيع مخيف . فلما رآنى ، سبح إلىّ مسرعاً ، ثم أخرج لسانه ولحسنى مرة واحدة ، كأننى قطعة من الكعك اللذيذ » .

– وكم من الوقت بقيتَ محبوساً فى هذا المكان ؟

– أكثر من سنتين ، سنتين يا ولدى پينوكيو كأنهما مائة عام .

– وكيف أمكنك أن تبقى حيًّا هنا كل هذا الوقت ؟ وأين وجدتَ

الشمعة والكبريت تشعلها به ؟ من الذى أعطاك كل هذا ؟

— سأقصُّ عليك القصة كلها . لقد أغرقت العاصفة التى قلبتْ قاربى ، سفينةً تجارية كبيرة فى الوقت نفسه . ونجا الملاّحون جميعاً . لكنّ السفينة تحطّمتْ وغرقت . وكانت شهوة القرش مفتوحة فى ذلك اليوم ، فابتلع السفينة بما فيها بعد أن ابتلعنى .

فقال پينوكيو مدهوشاً : « ماذا تقول ؟ ابتلع السفينة دفعةً واحدة ؟ »

— دفعةً واحدة يا ولدى ، لم يرْم منها إلا السّارى ، لأنه اشتبك بأسنانه كما تشتبك شوكةُ السمك بأسناننا ، وكانت السفينة لحسن حظّى محملة باللحم المحفوظ والخبز المجمَّر و « البسكويت » وزجاجات الماء والزيت المجفف والجبن والبن والسكر والشمع والكبريت . كل هذا الزّاد مكّننى من العيش عامين . لكننى الآن قد فرغ كل ما عندى من زاد ، ولم يَعُدْ فى « مخزنى » شىء ، وهذه الشمعة آخر ما عندى من الشمع .

— وبعد ؟

— وبعد يا بنىَّ سنبقى فى الظلام .

— ليس لدينا يا أبى من الوقت ما نضيعه . فلنبحثْ عن طريق للهرب فى الحال !

— للهرب ... ! ؟ كيف ؟

— بإمكاننا أن نهرب من فم القرش — نقذف بأنفسنا منه إلى البحر ثم نسبح إلى الشاطئ .

– هذا كلام جميل يا عزيزى پينوكيو ، لكنى لم أتعلمْ السباحة .

– هذا لا يهم ، فإنى سباح ماهر ، وتستطيع أنت أن تركب على ظهرى ، وسأحملك أنا فى أمانٍ إلى الشاطىء سليماً معافىً .

فهز جيپتو رأسه ، وابتسم ابتسامة حزينة وقال :

– لا فائدة من ذلك يا ولدى . فهل تظنُّ أن أرجوزاً مثلك لا يزيد طولُه على مترٍ واحد ، يمكنه أن يحمل على ظهره مثلى ، ويعبر البحر سابحاً ؟

– جرِّبنى وسترى ؟ وعلى أىِّ حال إن كان مكتوباً لنا أن نموت فسيكون عزاؤنا إذ ذاك أننا نموت معاً ، وقد احتضَن أحدُنا الآخر .

وسكت پينوكيو ولم يقُلْ أكثر من هذا ، بل راح إلى الشمعة فأمسكها بيده ، وسار أمام أبيه ليرشده إلى الطريق ، وهو يقول :

– اتْبَعْنى ولا تخَفْ !

وسار الاثنان فترة من الوقت فى جوف القرش وخلال معدته . فلما وصلا إلى حلقِهِ الضخم ، وقفا قليلا ونظرا حولهما انتظاراً للفرصة المناسبة للهرب .

كان القَرش قَرشاً عجوزاً جداً ، مريضاً – كما تعرفون – « بضيق التنفس » كما كان مُصاباً بلغَطٍ فى القلب ، فكان لهذا السبب مُضطرّاً حين ينام أن يترك فمه مفتوحاً لكى يتمكن من التنفس .

فلما وصل پينوكيو إلى حلقه ونظر إلى أعلى ، أمكنه أن يرى السماء

ذات النجوم ، وقمراً كبيراً مُشرقاً ، فالتفت إلى أبيه وقال :

ـ هذه أنسب لحظة للهرب ، فالقرشُ نائم ، والبحر هادئ والقمر مُشرق منير ، كأنه شمس النهار . تعالَ إذن يا أبى ، اتبَعنى وسنكون حُرَّين فى بضع دقائق .

وأتبعَ پينوكيو القول بالعمل. فقد تسلَّق هو وأبوه حلقَ الوحش، حتى إذا أصبحا فى ذلك الفم الواسع الشاسع ، مشيا فوق لسانه على أطراف أصابع أقدامهما . وكان لسان الوحش طويلا جداً ، وعريضاً جداً ، كأنه ممرٌّ طويل عريض من ممرّات حدائق الحيوان .

وهمَّا بالقفز إلى البحر . لكنّ القرش عطس فى تلك اللحظة فهزّهما هزة عنيفة شديدة ، أوقعتهما وردّتهما إلى معدته !

وانطفأت الشمعة إذ ذاك ، وتُرِك الأب وابنه فى الظلام الحالك !

قال پينوكيو قلقاً :

ـ والآن ما العمل ؟

ـ لقد ضِعنا تماماً !

ـ ولماذا ضِعنا ؟ أعطنى يدك يا أبى ، وحاذِرْ أن تنزلق .

ـ أين أنت ذاهب ؟

ـ يجب أن نحاول مرة ثانية . تعالَ معى ولا تخَفْ !

وأمسك پينوكيو أباه من يده . وسار الاثنان على أطراف أصابع أقدامهما . وتسلَّقا حلقَ الوحش مرة ثانية . وسارا فوق لسانه ، وتسلَّقا

صفوف الأسنان الثلاثة . فلما اقتربا من البحر وَهمَّا بالقفز قال الأرجوز لأبيه :

— ارْكبْ فوق ظهرى وامسكْ بى جيداً . وعلىّ أنا ما تبقى .

ولما استقرّ جيبتُّو فوق ظهر ابنه ، قفز هذا بأبيه إلى الماء وراح يسبحُ كالسمكة .

وكان البحر هادئاً كأنّ ماءَه زيت ، والقمر مُشرقاً منيراً جميلا كأنه شمس النهار . وبقى القرش المخيف نائماً نوماً عميقاً ، حتى لتَعجزُ المدافع — إن هى أطلِقتْ — عن أن تُوقِظَهُ .

٣٦

بينما كان پينوكيو يسبَح فى الماء مُتجهاً إلى الشاطئ بأسرع ما يستطيع ، لاحظ آنّ أباه كان يرجف رجفَاناً شديداً ، كأنه مصاب بالملاريا .

فهل كان يرجف من البرد الشديد أو أنه كان خائفاً ؟ ربما كان ذلك من البرد والجوع معاً. على أن پينوكيو ظنّه خائفاً فقال مُطَمْئِناً :

— تشجَّع يا أبى ، تشجع ! سنصل إلى الشاطئ فى بضع دقائق .

لكنّ الرجل العجوز كان يزداد قلقاً فى كل لحظة ، وقال :

— ولكنْ أين ذلك الشاطئ المبارك ؟ إنى أنظر فى كلّ اتّجاه فلا أرى غير الماء والسماء !

— لكنّى أنا أراه . فإنى — كما تعرف — كالقِطّ تماماً ، يقوى بصرى بالليل عنه بالنهار .

كان پينوكيو يتظاهَرُ بالفرح والسُّرور والمرح . لكنه كان فى الحقيقة قلقاً مضطرباً ، وبدأتْ تخونُه شجاعته ، ويغلُب عليه التعب وتضعُفُ قوّتُه ، وتتقطع أنفاسه ، ولم يزَلِ الشاطئ بعيداً ... لكنه مع ذلك ظلّ يسبح ، حتى انقطعتْ أنفاسُه تماماً ، وحينئذ التفتَ إلى أبيه وقال خائراً :

— ساعِدْنى يا أبى ... إنى أموت !

لما أوشك الأب وابنه أن يموتا غرقاً ، سمعا صوتاً كالقيثارة الناشِزَة يقول :

— من هذا الذى يموت ؟

— أنا وأبى !

— إنى أعرف هذا الصوت ، أنت پينوكيو !

— بالضبط ، وأنت ؟

— أنا « القاروص » زميلُك فى جوف القرش .

— كيف هربتَ ؟

– عملت مثل ما عملتما . لقد أريتـَنى أنت الطريق فتبعتكما ، حتى تمكنت أنا أيضاً من الهرب .

– أيها « القاروص » العزيز ، لقد وصلتَ فى أنسب وقت . فبالله عليك ، وبحياة أطفالك الصغار ، إلا ساعدْتـَنا على النجاة !

– مِن قلبي وبكل سرور ! أمسِكا ذيلى ، واتركانى أسبح بكما إلى البر . وستصلان إلى الشاطىء فى أربع دقائق .

بإمكانكم يا قرائى الأعزاء أن تـَطمـَئنُّوا إلى أن جيپتو وپينوكيو قـَبلا الفكرة فى الحال . لكنهما بدلا من أن يمسكا ذيل السمكة ، وَجـَدا الأفضل و « الأرْيَح » أن يجلسا فوق ظهرها . . . . .

وقال پينوكيو بعد قليل :

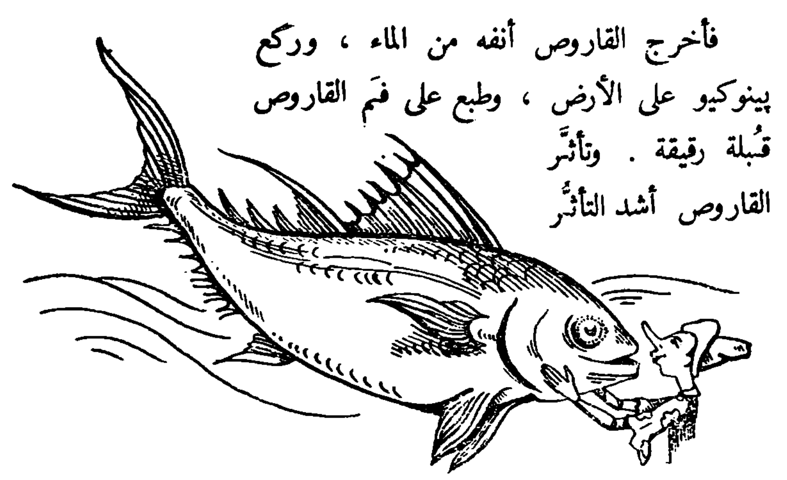
– هل وزنُنا ثقيل ؟

– ثقيل ؟ ! إنكما أخف من الريشة ! إنى أحِس كما لو كانت على ظهرى صدَفتان فارغتان من أصداف البحر .

ووصل ثلاثتهم إلى الشاطىء بعد قليل ، فنزل پينوكيو أولا ثم ساعد أباه على النزول . ثم التفت إلى القاروص وقال فى صوت به رعشة من فرْط التأثر .

– يا صديقى ، لقد أنقذتَ حياةَ أبى. ولا أجدُ من الكلمات ما أعـَبـِّر به عن شكرى لك وعـِرْفانى بجميلك . فهل تسمح لى بأن أقبـِّلك قـُبلة أضمـِّنها كلَّ شكرى وعرفانى بالجميل ؟

فأخرج القاروص أنفه من الماء ، وركع
پينوكيو على الأرض ، وطبع على فَمِ القاروص
قُبلة رقيقة . وتأثَّر
القاروص أشد التأثُّر



لهذا الصَّنيع الجميل ، الدَّالّ على الحب الخالص — ولم يكن قد اعتاد مثل ذلك من قبل — وخشى أن يغلبه التأثر وأن يُرَى والدموع فى عينيه باكياً كالأطفال ، فأسرع بالغَوْص فى الماء واختفى عن الأنظار !

وطلعت الشمس .

وقدَّم پينوكيو ذراعه لأبيه ، الذى كان قد بلغ من الضَّعف حدّ العجز عن الوقوف على قدميْه وقال :

— اتكىءْ علىَّ يا أبى العزيز ، ولنذهبْ ! سنمشى على مهل كالقواقع ، وسنقف حين نتعبُ لنستريح .

— وأين نحن ذاهبان ؟

— سنبحث عن بيت أو كوخ نستطيع أن نطلب من أهله قطعة خبز نأكلها ، وقشاً ننام عليه .

وسارا مائةً من الخطوات لا أكثر ، رأيا بعدها فى جانب الطريق وجهين قبيحين يشحذان .

إنهما الثعلب والقط ، ساءتْ حالُهُما وتغيَّرت ملامحهما ، كان القط فيما مضى يتظاهر بالعمى ، حتى عمى فِعلا ، وهرِم الثعلب وأكلت « العثة » شعرَ فروته جميعاً . حتى ذيله نفسه لم يعُدْ له وُجود : لقد نزل هذا اللص التاعس إلى أعماق الفقر ، حتى اضْطُرَّ يوماً إلى أن يبيع ذيله لتاجر جَوَّال ، كان يريد أن يصنع منه « منشة » لطرد الذباب !

قال الثعلب مُتَوَسِّلاً مستغيثاً : « يا پينوكيو أعْطِ هذين المريضين المسكينين شيئاً من فضلك وكرمك ! »

وقال القط بعده : « فضلك وكرمك ! »

قال پينوكيو : « وداعاً أيها المحتالان الخبيثان ! لقد خدعتُمانى مرةً ولن تخدعانى بعد ذلك أبداً » .

ــ صَدِّقْنى يا پينوكيو ، أصبحنا بائسيْن تاعسيْن !

وقال القط بعده : « بائسين تاعسين ! » .

ــ إنكما تستحقَّان ذلك . يقول المثل : « المالُ الخبيثُ يذهب من حيث أتى » . وداعاً ، وداعاً أيها المحتالان الخبيثان .

ــ رحمةً بنا !

قال القط : « بنا ! » .

ــ وداعاً أيها المحتالان الخبيثان . تذكرا المثل القائل : « دقيقُ إبليس كلُّه نخالة » ! .

ـ لا تحرِمنا معونتَك !

قال القط : « معونتك ! »

ـ وداعاً ، أيها المحتالان الخبيثان. تذكّرا المثل القائل: « مَن سرق سترةَ جارِه ، مات عريان » .

ثم إن پينوكيو وأباه سارا من بعد ذلك هادئين مطمئنَّين فى طريقهما ، فوجدا بعد ما لا يزيد على مائة من الخطوات ، روضة لطيفة بوسطها كوخ صغير جميل ، مصنوع من القش . وأما سقفه فمن « الطوب » الأحمر والبلاط اللامع .

قال پينوكيو : « لا بد أن بهذا الكوخ أحداً ، فلنَطرْق الباب ! »

ودق الباب فسمع بداخل الكوخ صوتاً رقيقاً يقول :

ـ من الذى يدقُ الباب ؟

ـ رجلٌ مسكين وابنه المسكين ، وليس معهما طعام ، ولا لهما بيت.

ـ لفّا المفتاح فينفتح الباب .

ولفّ پينوكيو المفتاح فانفتح الباب . فلما دخلا الكوخ بحثاً فى كل ركن من أركانه عن صاحب الصوت ، لكنهما لم يجدا أحداً . وحينئذ قال پينوكيو متعجّباً .

ـ عجباً ! أين صاحبُ البيت ؟

ـ ها أنذا ، هنا ، فوق !

فلما نظر الأب وابنه إلى فوق ، وجدا « الصرصور المتكلم » واقفاً

على « عرق » خشب ، فانحنى له پينوكيو بأدب وقال :

ــ أوه ، أيها الصرصور العزيز .

ــ إذنْ أصبحتُ الآن صرصورك العزيز ؟ ! هل تذكُرُ اليوم الذى طردْتنى فيه من بيتك ورميتَ علىّ القدوم ؟

ــ معك الحق أيها الصرصور . ولك الآن أن تطردنى كما طردتُك . لكن ارْحَمْ أبى بالله عليك ، ولتأخُذْك الشفقةُ به ، فإنه عجوز مسكين .

ــ سأشفق عليكما ، على الأب وابنه ، فأنا لم أردْ بكلامى إلا أن أذكِّرَك بما نالنى منك من المعاملة الخشنة القاسية ، ولأعلِّمَك أننا فى هذه الدنيا واجبٌ علينا أن نعامل كلّ مخلوق بالرَّحمة واللُّطف ، لكىْ يعاملنا الناس بالرحمة يوم نحتاج .

ــ معَك الحقُّ أيها الصرصور ، معك الحق تماماً . وسأذكُرُ درسك هذا . ولكنْ قلْ لى كيف أمكنك أن تشترى هذا الكوخ الجميل ؟

ــ هذا الكوخ أُهْدِىَ إلىّ بالأمس ، أهدتهُ لى عنزة لطيفة ذاتُ شعر أزرق جميل .

ــ وأين هى هذه العنزة ؟

ــ لا أعرف .

ــ ومتى تعود ؟

ــ لن تعود أبداً . لقد رحلتْ بالأمس حزينةً متألمة تثغو ثغاء (تمأمئ) وكأنما تقول : « أيها المسكين پينوكيو ! لن أراك بعد اليوم أبداً ،

فلا بد أن القَرش المـُخيف قد أكلك ! » .

ــ هل قالت ذلك ؟ إذن فهى الإنسية ، هى الإنسية بالتأكيد ، إنسيتى الصغيرة العزيزة المحبوبة !

وبكى پينوكيو وسالتْ دموعـُه غزيرة كأنها الفيضان . ودام بكاؤه فترةً لا بأس بها ، مسح بعدها عينيه ، ثم أعدَّ لجيپتُّو فراشاً مُريحاً من القشِّ ، وقال للصرصور المتكلم :

ــ قل لى أيها الصرصور ، أين يمكن أن أجد لأبى فنجاناً من اللبن ؟

ــ إن « چانچو » البُستانى ، يعيش على بعد ثلاثة غيطان من هذا المكان ، وعنده بقرة حَلُوب. فإن ذهبتَ إليه أعطاك ماتطلبُ من اللبن .

راح پينوكيو جرْياً إلى بيت البستانى ، لكنَّ الرجل قال له :

ــ ما مِقدار ما تريده من اللبن؟

ــ أريد فنجاناً واحداً .

ــ الفنجان ثمنه قرش . أعطنى القِرش أوّلا ، تأخذ اللبن .

فقال پينوكيو حزيناً خجلاً : « لا أملك مليمًا واحداً » .

قال البستانى : « هذا شىءٌ مؤلمٌ حقًّا ، فإن كنتَ لا تملكُ مليما واحداً فأنا لا أملك أن أُعطيك من اللبن نقطة واحدة » .

ــ قال پينوكيو : « صبراً إذن ، صبراً ! » واستَدار لينصرف ، فقال چانچو :

ــ انتظِرْ ، فربما أمكننا أن نتّفق . هل تُدير لى « الطُّلُمبة » ؟

– وما « الطلمبة » ؟

– إنها الآلة التى ترفع الماء من « الصهريج » لرىِّ البستان .

– أُحاوِل .

– عال ، عال . إن رفعتَ من الماء مائة « جردل » ، أعطيتك فنجاناً من اللبن .

– وهو كذلك .

وأخذ چانچو الأرجوز إلى البستان وعلَّمه كيف يُدير « الطلمبة » .

وبدأ پينوكيو العمل فى الحال ، لكنه قبل أن يتمّ رفع المائة « جردل » ، كان العرق قد راح يتصبَّب من جسمه جميعاً ، من رأسه إلى قدميه ! فهو – كما تعلمون – لم يشتغِلْ طول حياته يوماً واحداً .

قال البستانى : « لقد كان حِمارى يقوم لى بهذا العمل ، لكن المسكين يموت اليوم » .

– وأين هو الآن ؟

– فى الإصطبل .

– وهل يُمكننى أن أذهب لأراه ؟

– طبعاً ، طبعاً .

ذهب پينوكيو إلى الإصطبل ، فلما دخله رأى حماراً صغيراً لطيفاً نائماً فوق القش ، على وشك الموت من شِدَّةِ الجوع والتعب . فلما نظر إليه من قريب مُدقِّقاً ، شعر بما يُشبه القلق وقال لنفسه : «أظنُّنى أعرِف

هذا الحِمار ، فليسَت ملامحُه جديدة عليّ » .

وانْحنى فوقه وكلّمه بلغة الحمير قال :

ــ من أنت ؟

فلما سمع الحمار كلاماً بلغة الحمير فتح عينيه ، وقال باللغة نفسها مُتَمتِماً :

ــ أنا ... أنا ... أنا فَتيل ... القنديل ...

ثم أغمض عينيه ومات !

ــ أُوه ، فَتيل القنديل المسكين !

ثم تناول حفنة من القشّ مسح بها دمعةً تحدّرت على خدّه .

قال البستانى : « هل تأسف على حمار لا يساوى شيئاً ؟ إذن فماذا أفعل أنا ، أنا الذى اشتريته ودفعت ثمنه نقداً ؟ »

ــ أقول لك إنه ... كان صاحبى .

ــ صاحبُك ؟ !

ــ نعم ، زميلى بالمدرسة .

فقهقه چانچو وقال : « ماذا تقول ؟ زميلك بالمدرسة حمار ؟! شىءٌ جميلٌ جدًّا جدًّا ! لا بد أنك تَتلقّى بالمدرسة دروساً جميلة جدًّا ! ! »

فشعر بينوكيو بالخجل الشديد ، ولم يُجِبْ بكلمة واحدة ، بل أخذ فنجان اللبن وعاد للكوخ .

ظلّ بينوكيو مُواظباً على هذا العمل خمسة أشهر طوال ، يصحو كلّ



يوم عند مطلع الفجر فيذهب إلى البستان ليُدير « طلمبة » الماء ، فإذا انتهى من ذلك عاد لأبيه بفنجان اللبن .

ونفع اللبن أباه نفعاً عظيما .

ولم يكتفِ پينوكيو بذلك العمل ، بل لقد تعلّم فى أوقات فراغه صناعة السِّلال والمقاطف من الخوص والبوص ، وكان يبيعها بالسوق ليضمن نفقاته ونفقات أبيه جميعاً . كذلك صنع لنفسه ولأبيه عربة صغيرة لطيفة ، يركبانها للنزهة فى الأماكن الخلوِيَّة، حين يكون الجو صحْواً جميلا .

وأمّا المساء ، فكان الأرجوز يقضيه فى تعلُّم القراءة والكتابة لقد اشترى بملاليم كتاباً كبيراً من القرية المجاورة .

كذلك صنع پينوكيو من « الغاب » قلماً يكتب به . فلما لم يجدْ حبراً ولا محبرة ، وضع فى زجاجة صغيرة بعض عصير التوت ، واستعمله مداداً ...

والحقُّ أنه بفضْلِ مَهارة پينوكيو وتفننه، ورغبتِهِ فى العمل وابتكاره ، تمكَّن أبوه – وكان لا يزال ضعيفاً ، تحتاج صحتُه إلى عناية – من أن يحيا حياة هانئة مُريحة ، استعاد بفضلها صحته أخيراً . بل لقد تمكن

الأرجوز من أن يقتصد عشرة قروش ، اشترى بها لنفسه « بذلة » جديدة.

وذات صباح قال بينوكيو لأبيه : « إنى ذاهبٌ اليوم إلى السوق لأشترى لنفسى بذلة جديدة وطاقية وحذاء » . ثم ضحك وقال : « وعندما أرجع سأكون وجيهاً وجاهة ليس مثلها وجاهةً ، رشيقاً أنيقاً فخْماً ، وستحسبُنى متى رأيتَنى سيِّداً من كبار القَوْم » .

وانطلق يجرى إلى السوق سعيداً راضِياً فرحاً . وفجأة سمع صوتاً خافتاً يناديه من خلال الزرع . فلما التفت ليرى الذى يكلمه ، رأى قوقعة لطيفة تزحف على الأرض وتقول : « ألاَ تعرفنى ؟ » .

ــ ربما ، لكننى لستُ متأكداً ...

ــ ألا تتذكَّرُ القوقعةَ التى كانت وصيفة للإنسية ذات الشعر الأزرق؟ ألا تذكّرُ الوقتَ الذى نزلتُ فيه السلم لأفتحَ لك البابَ لكى تدخُلَ ، فوجدتُكَ وقد انغرزتْ قدمُك فى الباب ؟

ــ أذكُر ، أذكر كلَّ شىء . وأين تركت إنسيّى الرقيقة ؟ وماذا تعمل الآن ؟ وهل سامحَتْنى ؟ ألا تزال تذكرنى ؟ أوَلا تزال تُحبنى ؟ وهل هى الآن بعيدة جدًّا عن هذا المكان ؟ وهل بإمكانى أن أذهبَ إليها لأراها ؟

سأل بينوكيو هذه الأسئلة جميعاً بغاية السرعة ، ودون أن يتوقف لحظة واحدة . لكن القوقعة بِبُطْئها المعهود قالت له : « إنّ الإنسية ياعزيزى بينوكيو مريضة بالمستشفى » .

– بالمستشفى ؟ !

– نعم ، مع الأسف الشديد ! لقد نزلتْ بها المصائب فمرضتْ مرضاً شديداً ، مرضاً شديداً جداً. فضلاً عن أنها – المسكينة – لا تملكُ من النقود شيئاً . بل إنما لا تملك كسْرَةً ناشفة من الخبز !

– هل هذا ممكن ؟! أُوه ، هذه أخبار سيئة جداً ! الإنسية المسكينة مريضة! لو أنني كنت أملكُ من الجنيهات مليوناً لأعطيتها إياها جميعاً. لكن كل ما أملكه الآن عشرة قروش لا أكثر ... عشرة قروش لا أكثر ! وهذه هي ! لقد كنتُ ذاهباً إلى السوق لأشترى لنفسى بذلة جديدة . خُذى إذنْ هذه القروش العشرة ، أيتها القوقعة ، واحمليها إليها بسرعة . احمليها بسرعة للإنسية الرفيقة الرقيقة .

– وبذلتُك الجديدة .

– لا يهمُّنى أن أبقَى بغير بذلة جديدة ما دامت هى بخير . بل إنى لأفضّل ألف مرة أن أبيع كل شىء حتى هذه الخرق القديمة التى ألبسها لكى أساعدها . اذهبى إليها أيتها القوقعة وأسرعى فى مشيك . فإذا رجعتِ إلىَّ بعد يومين ، فسأعطيك لها نقوداً أخرى . لقد اشتغلتُ حتى اليوم لكى أعُول أبى . لكنى من الآن سأزيد ساعات عملى خمساً فى كل يوم لأتمكن من أن أعُول أمى الرقيقة كذلك. وداعاً إذن أيتها القوقعة ، وأسرعى بالله عليكِ ، وسأنتظر مجيئك إلىَّ بعد يومين .

وأسرعتِ القوقعة ، خِلافاً لعادتها ، وراحت تجرى كسِحلاةِ

(سحلية) الصيف .

ولما رجع پينوكيو إلى أبيه سأله أبوه :

– أين بذلتُك الجديدة ؟

– لم أجدْ واحدة تُناسب قدّى .

وبقِيَ پينوكيو يشتغل فى تلك الليلة حتى الفجر . لقد صنع ستَّ عشرة سلة بدلا من ثمانى سلال .

وذهب إلى فراشه ونام . فرأى فيما يرى النائمُ الإنسية جميلةً مبتسمة ، تميل عليه فى حب وحنان وتُقبلُه وتقول :

– مَرْحَى! يا پينوكيو مَرْحى ! إنى ردًّا لجميلك وكَرَمِ خُلُقك ، قد سامحتُك وعفَوْتُ عن كلٍّ ما كان منك من هرب وغيرَ ذلك . فالأطفالُ الذين يُحِبون والديهم ، ويساعدونهم عند مايمرضون أو يحتاجون ، يستحِقُّون المدح والحب والثَّناء ، ولو لم يكونوا كما يجب من حيث الطاعة والسلوك الجميل . كُنْ عاقلا فى المستقبل تكُنْ سعيداً .

وانتهى كلامُها ، فانتهى الحلم ، وصحا پينوكيو متعجّباً كلَّ العجب .

ويمكنكم يا قرائى الأعزاء أن تتصوَّروا مبلغ دهشة پينوكيو وسروره ، حين رأى نفسَه فى الصباح وقد صار ولداً حقيقيّاً ، لا أرجوزاً من الخشب ! !

ونظر حوْله فوجد كوخ القش قد صار غرفةً جميلة صغيرة أثاثُها بسيط ، لكنه جميل مزوَّق مزَخرف .

وقفز من السرير واقفاً على قدميه ، فوجد على أحد المقاعد بذلةً



جديدة فاخرة جميلة ، وطاقية بديعة ، وحذاءً لامعاً برّاقاً كأنه صورة مرسومة .

وأسرع بلبس هذا كله ، وطبعاً وضع يديه في جيبه فوجد ... وجد كيسَ نقود صغير من العاج النادر البديع ، وقد نُقِشتْ عليه هذه الكلمات :

« الإنسية ذات الشعر الأزرق تعيد لپينوكيو قروشَه العشرة ، وتشكر له كرمه » .

وفتح پينوكيو الكيس فرأى فيه – لا قطعةً فضية من ذات العشرة القروش ، كما كان ينتظر – بل عشرين قطعةً ذهبية جديدة لامعة ، لم يَمسسْها من قبله أحد .

وذهب إلى المرآة ليرى نفسه ، فلم يعرِفْها ! إنه لم ير الصورة التي يعرفها من قبل ، صورةَ الأرجوز الخشبي ، بل رأى ولداً مَليحاً ، تدلُّ ملامِحُهُ على الحبّ والذكاء والرقة ، ذا شعر ذهبيّ وعينين زرقاويْن ، تنظران إليه نظرات سعيدة راضية ، مليئة بالفرح والمرح كأيام العيد السعيد .

وجاءته العجائب والمفاجآت السارة يتلو بعضُها بعضاً ، حتى لم يَعُدْ پينوكيو يعرف أمُستَيقِظٌ هو حقًّا أم نائم يحلم هذا الحلم الجميل بكل ما فيه !

وصاح فجأة وقال : « وأبى ، أين هو ؟ » .

ثم راح إلى الغرفة المجاورة ، فرأى فيها جيپتو صحيحاً مُعافى نشيطاً طيِّباً كما كان فيما مضى ، وقد عاود فنَّهُ القديم ، فن الحفر على الخشب. وكان فى تلك اللحظة يعمل إطاراً جميلا مزَخرفاً بالنقوش البديعة من أوراق الشجر والزهر ورُءوس الحيوان .

فألقى پينوكيو ذراعيْه حول رقبته وقبله وقال : « فسِّرْ لى يا أبى كل هذا ، فسر لى هذا التَّغير المفاجئ العجيب! » .

– الفضل فى كل ما حدثَ راجعٌ إليك أنت ؟

– راجعٌ إلىَّ أنا ؟ ! وكيف كان ذلك ؟



– إنَّ الأطفال الذين يُصبحون طيبين مطيعين بعدأن كانوا أشراراً « أشقياء » يُكسبون العائلة بطاعتهم وطِيبتهم وحُسن سُلوكهم ، مظهراً جديداً ، وحياةً سعيدة بسَّامة.

– و پينوكيو الخشبىّ

القديم ، أين هو ؟ .

قال جيپتو « إنه هناك ! » وأشار بإصبعه إلى أرجوز خشبيٍّ كبير مسنود إلى كرسي ، وقد مال رأسه على كتفيه ، وتدلتْ ذراعاه ورجلاه الواحدة فوق الأخرى .

كان مُدهشاً حقّاً أن يكون الأرجوز هناك فى تلك اللحظة .

وتلفَّت پينوكيو ونظر إلى الأرجوز لحظة ، ثم قال لنفسه راضياً سعيداً مسروراً :

« كنت مسخرة وهُزُؤاً حين كنت أرجوزاً ! فما أسْعدَنى الآن وقد أصْبحتُ . . . . ولداً حقيقيّاً ! » . . .

رقم الإيداع	١٩٩٣ / ١٠٦١٢
الترقيم الدولى	ISBN 977 - 02 - 4302 - 7

١ / ٩١ / ٣٧٨
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)


٢١٢٥٣١